



تأملات مع الحياة
مختارات نادرة وقصائد لم تنشر
لشاعر البراري
محمد السيد شحاتة

جمعت المادة الشعرية ابنة الشاعر
توبة محمد السيد شحاتة

اختارها وقدم لها وأعدّها للنشر
أ.د. محمد مصطفى أبوشوارب

الكويت

2 0 1 3

التدقيق الطباعي

محمود إبراهيم البجالي
ريم محمود معروف
إسلام هجرس

الصف والتنفيذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

الإخراج وتصميم الغلاف

محمد العلي



جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود آل بطين للدراسات الإسلامية

هاتف: 22430514 فاكس: 22455039 (+965)

E-mail kw@albabtainprize.org

تصدير

لم يقتصر جهد مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في إضاءة المشهد الشعري العربي على الشعراء المشهورين فقط بل وجدت أن من واجبها التعريف بشعراء لم ينالوا حظهم في الشهرة والانتشار، لإدراكها أن شهرة الشاعر تتحكم فيها عوامل متعددة إذ ليست القيمة الفنية لشعره هي العامل الوحيد، فهناك عوامل أخرى من بينها تفاعل الشاعر مع محيطه الاجتماعي وتهيؤ الفرص لنشر شعره، وهذا مما لم يتح لجميع الشعراء.

والشاعر الذي اختارت المؤسسة أن تنشر مختارات من مجموعته الشعرية وهو محمد السيد شحاتة والذي عرف بشاعر البراري من بين الشعراء الذين لم ينالوا حظهم في الشهرة والانتشار، ولكن قراءة شعره توجب على المهتمين بالشعر العربي التعريف بهذا الشاعر ونتاجه الشعري الغزير لما يتميز به شعره من نكهة خاصة ترفع من قيمته، وتجعل من الاطلاع عليه من قبل القراء العرب ضرورة ماسة للتعرف إلى المبدعين في المشهد العربي المعاصر، ولعل اختيار الشاعر للقبه «شاعر البراري» ينبئ عن السمة الخاصة التي تميز شعره، فقد أغرم الشاعر بالطبيعة، ووجد فيها خلاصاً لنفسه المفعمة بالقلق والتوتر. ومرتكزاً أساسياً لتعامله مع العالم.

لم تعد الطبيعة أمام عيني الشاعر مجرد منظر خارجي يريح النفس، أو إطاراً يحيط به، بل غدت معلماً جوهرياً من وجوده الداخلي، كما لم يتعامل الشاعر مع هذه الطبيعة باعتبارها مادة خاماً، ومظهرًا جاهزاً للتناول، بل أعاد صياغتها من خلال صبره وبصيرته، لتصبح طبيعة إنسانية.

وعندما نتطلع مع الشاعر إلى مفردات الطبيعة التي تناولها كثيراً في شعره «الربيع - الورد - الفيضان - القمر - القطن - الروض - النحلة - النجوم إلخ»

فإننا نقرأ في هذه المفردات صفحات من سيرة الشاعر، ونرى من خلال صورها لقطات مختلفة لعالم الشاعر الداخلي وهو يتأرجح بين الشك واليقين، وبين الرضا والقنوط. فالشعر لم يعد صناعة لفظية، وربطاً بين كلمات كما يفعل فاقدو الموهبة، بل هو عملية اكتشاف للعالمين الداخلي والخارجي وتوحيد بينهما في منظومة فكرية شعرية متكاملة.

والمؤسسة وهي تنشر هذه المختارات الشعرية نأمل أن يتعرف فيها هواة الشعر العربي إلى صورة شاعر لم تسلط عليه الأضواء التي يستحقها من قبل، وأن يجدوا فيها إلى جانب المتعة الفنية التي يوفرها كل شعر مميز ما يدفعهم إلى تخطي حدود المألوف والثابت والجاهز في إبداعهم الشعري، وأن يصبح الشعر لديهم إعادة اكتشاف للعالم من حولهم، وللعالم في داخلهم.

وفي الأخير.. تشكر المؤسسة ابنة الشاعر السيدة توبة محمد السيد شحاتة التي ضربت مثلاً نادراً على وفاء الابنة لأبيها وبرها به بعد وفاته، فقد كانت حريصة على جمع تراث والدها ما تجمّع منه وما تناثر، وكانت حريصة أكثر على نشره.

وتشكر المؤسسة كذلك الدكتور محمد مصطفى أبوشوارب الذي بذل جهداً مشكوراً في مراجعة ما جمعته ابنة الشاعر ومقابلته بالمشور والمخطوط من إنتاجه الشعري، ثم توثيقه وتخريجه والتعريف به، وترتيب نصوصه وتبويبها والتقديم لها بمقدمة ضافية.

والله ولي التوفيق

عبدالعزیز سعود البابطين

٢١ من جمادى الأولى ١٤٢٣هـ

الموافق ١٢ أبريل ٢٠١٢م

شكر وتحية

إلى الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين

الشاعر الإنسان

والفارس النبيل

والمجاهد المخلص

صاحب الإنجاز الكبير في خدمة وطننا وأمتنا

نشكركم على كل ما تقدمونه للشعر وللشعراء

فلولاكم ما ظهر هذا الديوان

أسرة شاعر البراري

محمد السيد شحاتة

إهداء

إلى

«معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»
وعاء حافظاً لكنوز شعرنا العربي الحـيث، ومـرّاً سـلمها
للباحثين والـلـارسيـن على مر الأجيال

محمد مصطفى أبو شوارب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الرسل والأنبياء، سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، خير صلاة وأزكى سلام وبعد؛

فإن نصوص هذا الديوان تمثل صفحة مطوية من صفحات الشعر العربي الحديث في مصر، نستعيد بنشرها مشاهد وصور ألفتها العين والأذن والذائقة في كثير من قرى الريف المصري ومدنه أواسط القرن الماضي، وإن غابت عن واقعنا اليوم أغلب معالمها ومفرداتها، واختفت من حياتنا أكثر طقوسها الاجتماعية بقدر ما اختفت أكثر طرائقها الفنية إلا ما نجد في مثل هذا الشعر وأضرابه.

وأول الفضل في صدور هذا الديوان يرجع إلى السيدة توبة ابنة الشاعر محمد السيد شحاتة الذي ارتضى لنفسه لقب «شاعر البراري»^(١)، التي بدأت رحلة جمع شعر أبيها الراحل منذ ما يزيد على ثلاثين سنة، وقد دفعت ما استطاعت جمعه إلى الناقد الراحل الدكتور إسماعيل الصيفي، فانتخب مما وقع إليه من شعرٍ ما ارتأى، ورتبه حسب خطة مرسومة وصدره، وأخرجه عن دار ذات السلاسل بالكويت سنة ١٩٨٦م تحت عنوان «الديوان الكبير لشاعر البراري.. محمد السيد شحاتة».

(١) محمد السيد شحاتة، شاعر مصري ولد بقرية كفر الجرايدة من محافظة كفر الشيخ سنة ١٩٠١م؛ حصل على شهادة الكفاءة للتعليم الأولي، وعمل بالتدريس، كما عمل بمكتبة بلدية طنطا؛ أمضى أغلب حياته متنقلاً بين مدن دلتا مصر وقراها؛ توفي سنة ١٩٦٣م. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٢٠٣/١٦ - ٢٠٦.

ولم تفتأ ابنة الشاعر يعاونها زوجها الراحل الأستاذ أحمد عيسوي تواصل جمع ما تفرق من نصوص شعر والدها هنا وهناك، وشجعها صدور «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» عن مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري سنة ٢٠٠٨م مشتملاً على ترجمة أبيها - على معاودة الكرة مرة أخرى مقترحة على المؤسسة إصدار ديوان ثانٍ لشاعر البراري يضم ما وقعت عليه بعد صدور الديوان الكبير وما استطاعت جمعه من شعره على مدى ما يقرب من ربع قرن.

فاستحسن الشاعر الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين رئيس المؤسسة مقترح الابنة الوفية لأبيها، وارتأت المؤسسة في نصوصه صورة تستحق أن تحفظها ذاكرة الشعر، وهو هدف رئيس من أهدافها الوافرة، فكان أن شرفت بأن أسندت إلى المؤسسة أمر إخراج هذا الديوان وإعداده للنشر؛ غير أن مشاغل البحث ومتطلبات العمل وأولوياته حالت دون أن نفرغ لشعر محمد السيد شحاتة، ودون أن نوليه ما يستحقه من عناية واجبة متصلة، فكان عملنا فيه منجّماً، يدهمنا خلاله متطلب مرهون بوقت محدود، ما إن ننجزه حتى نهرع إلى شاعر البراري نعكف على قراءته وتوثيقه وعلى مراجعته وتبويبه، إلى أن تنتزعنا منه ضرورات وحاجات آخر، فننصرف إليها حتى نفرغ منها فنعود إلى صاحبنا من جديد، وهكذا شوط بعد شوط على مدى أربع سنوات كاملة حتى استوى هذا الديوان على نحو ما هو عليه بين أيديكم.

وكان من الواجب أن يبدأ عملنا بحصر المادة الشعرية المجموعة، ومقابلتها بما هو منشور وما هو مخطوط؛ حيث توزعت نصوص شاعر البراري (١٩٠١-١٩٦٣) بين أربعة ألوان:

الدواوين المطبوعة:

- ديوان شاعر البراري، الجزء الأول، ط المطبعة الأهلية الكبرى بطنطا، مصر ١٩٢٨م .
- ديوان شاعر البراري، الجزء الثاني، ط مطبعة عروس الزقازيق، مصر ١٩٢٩م .
- ديوان خمر وجمر، ط مطبعة الوفاق، بلقاس، مصر ١٩٣٥م .

- ديوان نجوم ورجوم، ط مطبعة الوفاق، بلقاس، مصر ١٩٣٦ م .
- ديوان وحي البراري، ط مطبعة الوفاق، بلقاس، مصر ١٩٣٩ م .
- ديوان بين أحضان الطبيعة، الجزء الأول، ط مكتبة نهضة مصر، القاهرة، مصر ١٩٤٢ م .
- ديوان بين أحضان الطبيعة، الجزء الثاني، ط القاهرة ١٩٤٨ م .
- ديوان مع الدين، الجزء الأول، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٥٤ م .
- ديوان مع الدين، الجزء الثاني، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٥٤ م .
- ديوان مع الدين، الجزء الثالث، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٥٥ م .
- ديوان بين الماضي والحاضر، ط ١٩٥٦ م .
- ديوان مع مجلس الأمة.. حول ملابس النساء، ط ١٩٥٧ م .
- ديوان مع الطبيعة، ط ١٩٦١ م .

المجلات الثقافية والدوريات الأدبية:

وأكثر شعره المنشور في الدوريات بين جريدة الوفاق، ومجلة الثقافة، وإن كان نشر بعض نصوصه في الأهرام، والأخبار، والمقتطف، وغيرها .

ج - المخطوطات:

لشاعر البراري وفرة من النصوص المخطوطة جمع بعضها في ديوان لم يضع له عنواناً ولم يعمل على نشره، وبقي كثير منها متناثراً بين أوراقه .

د- الديوان الكبير لشاعر البراري :

الديوان الكبير لشاعر البراري محمد السيد شحاتة، جمعت مادته الشعرية ابنة الشاعر توبة محمد السيد شحاتة، وأعدده للنشر إسماعيل الصيفي، وصدر عن دار ذات السلاسل بالكويت ١٩٨٦ م .

وقد قسم الصيفي ما جمعته توبة ابنة الشاعر على قسمين أساسيين:

القسم الأول- المختارات: ونشر فيه ما تخيره، وارتأى فيه مثلاً لنضج الملامح الفنية والجمالية في شعر محمد السيد شحاتة من دواوينه الأربعة الأولى الصادرة ما بين عامي ١٩٢٨-١٩٣٦م (ديوان شاعر البراري بجزئيه، وديوان خمر وجمر، وديوان نجوم ورجوم) وبعض منشورات الشاعر في الدوريات وبعض مخطوطاته مستبعداً ما رأى فيه أمارات الطفولة الشعرية، وعلامات الضعف الفني لمرحلة البدايات.

القسم الثاني- الدواوين الكاملة: ونشر الصيفي في هذا القسم النصوص الكاملة لدواوين شاعر البراري الأخيرة التي تمثل في نظره مرحلة اكتمال أدوات الشاعر الفنية وبلوغه تخوم النضج الشعري. وهي الدواوين التي بدأ صدورها عام ١٩٣٩م بديوان وحي البراري، ثم ديوان بين أحضان الطبيعة بجزئيه، ثم ديوان مع الدين بأجزائه الثلاثة، وديوان بين الماضي والحاضر، وديوان مع مجلس الأمة، وديوان مع الطبعة الصادر عام ١٩٦١م وختمها بنشر الديوان المخطوط الذي تركه شاعر البراري دون عنوان.

وليس من شك في قيمة الجهد الوافر الذي بذله إسماعيل الصيفي في إعداد الديوان الكبير لشاعر البراري، مرتكزاً في ذلك على مبدأ تغليب القيمة الفنية على القيمة التاريخية في اختيار نصوص الديوان، بحيث استبعد كما أشرنا من قبل ما بدت عليه آثار الدوزنة الشعرية إن صح التعبير، محافظاً على النسق الفني الذي غلب على رأيه وذوقه، أنه يمثل أبدع ما كتب شاعر البراري.

وقد اشتمل الديوان الكبير على أربعة وتسعين وأربعمائة نص شعري (٤٩٤) مثلت القسم الأكبر من إنتاج محمد السيد شحاتة الشعري، فكان لزاماً علينا مقابلة ما بأيدينا مما جمعته ابنة الشاعر من شعر أبيها مخطوطاً ومطبوعاً، بما

نشره الصيفي في الديوان الكبير لشاعر البراري. فكتشفت المقابلة عن وفرة من نصوص الشاعر خلا منها الديوان الكبير، وهذه النصوص على تنوعها تتدرج تحت لونين رئيسين:

أكثرهما- من الأشعار المخطوطة، والمنشورة في الدوريات، مما يقوى معه الظن بأن الصيفي لم يطلع عليها أثناء إعداده الديوان الكبير.

وأقلهما- من نصوص ديوان شاعر البراري بجزئيه الأول والثاني، وديوان خمر وجمر، وغيرها من قصائد ومقطوعات نشرها محمد السيد شحاتة ما بين عامي ١٩٢٨-١٩٣٨م، ومثلت في رأي الصيفي محاولات أولى حملت كثيرًا من القيم السالبة التي تحد من طاقات النص الشعري وتتقص من جماليته.

وعلى أساس من هذا التصور رتب الصيفي نصوص «الديوان الكبير لشاعر البراري» ترتيباً زمنياً تتوالى فيه النصوص المختارة على نحو يكشف عن تطور القيم الفنية لشعر صاحب الديوان منذ صدور أولى أعماله الشعرية عام ١٩٢٨م وحتى وفاته عام ١٩٦٣م.

ولم يكن من العسير علينا أثناء العمل على اختيار أشعار هذا الديوان أن نحسم أمر الطائفة الأولى من النصوص التي بين أيدينا من شعر شاعر البراري لما لها من قيمة كبرى بوصفها في مجملها نصوصاً مخطوطة لم يسبق نشرها من قبل، بصورتها التي وصلتنا على الأقل.

أما الطائفة الثانية التي تعمد الصيفي استبعادها استناداً إلى ضعف مستواها الفني، فقد كانت محل كثير من التساؤل والمراجعة وإعادة النظر التي أفضت في نهاية المطاف إلى انتقاء نخبة من هذه النصوص النادرة التي نشرت أعوام ١٩٢٨م، و١٩٢٩م، ١٩٣٥م، وضمتها إلى ما لم يسبق نشره ليؤلفا معاً نصوص هذا الإصدار الشعري

الجديد الذي تقدمه مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، بمناسبة الاحتفاء بشاعر البراري محمد السيد شحاتة خلال الموسم السادس لمهرجان ربيع الشعر مارس ٢٠١٣م.

وربما كان الدافع الرئيس إلى اختيار هذه النصوص التي أقصيت عن الديوان الكبير لشاعر البراري هو اختلاف التوجه؛ فعلى حين قصد الصيفي إلى الغاية الإمتاعية الجمالية دون غيرها، كان مقصدنا، دون إغفال لقيم الفن وأصوله - إلى الغاية التاريخية الكاشفة لا عن مراحل تطور الأداء الشعري لمحمد السيد شحاتة فحسب، بل الكاشفة في الوقت ذاته عن كثير من جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية في عصره، وهو ما كان الشاعر حريصاً على رصده وتسجيله في ضوء تصويره الشخصي لطبيعة الشعر، وإيمانه بأن للشاعر دوراً يمارس من خلاله طقس التواصل مع جماعته لا طقس الانعزال عنها؛ في إطار الإحساس بالماهية الرسولية المنفتحة للشاعر، وليس الماهية الكهنوتية المغلقة؛ بحيث تتراجع العناية بالمشروع التشكيلي للنص الشعري لمصلحة الرسالة التي يسعى النص إلى إدراكها على مستوى الإنجاز من جهة، ثم مستوى التبليغ من جهة ثانية، ثم مستوى الترسخ من جهة ثالثة.

ويغلب على الظن أن هذه القنوات هي التي وجهت محمد السيد شحاتة إلى الانشغال برسالة الخطاب على حساب تشكيكه وعناصر أدائه الفني؛ تتبع في مجملها من تصويره طبيعة الشعر ومفهومه الخاص عنه وموقفه منه وما طرأ عليه من تحولات متأرجحة على امتداد رحلته الشعرية.

ففي ديوانه الثاني الصادر سنة ١٩٢٩م يقدم شاعر البراري رؤية محدودة لغايات الشعر وأغراضه ومباعثه، تكاد تنحصر في أفق التصورات التقليدية القديمة على نحو ما نسمع في قوله من قصيدته «إلى جنية»:

وَأَنْثَرُ فَيَكْمُو دُرِّي
وَأَنْظِمُ فَيَكْمُو شَعْرِي

فَمِنْ وَصَفٍ إِلَى غَزَلٍ

إِلَى مَدْحٍ إِلَى شُكْرِ^(١)

وهو ما يؤكد في قصيدة « قطفت زهر الأمانى »، حيث يقول مقسمًا الشعر على المدح والغزل أو على الشكر والحب دون غيرهما:

والشعرُ تظهر في شيئين رقتُهُ

في العطف والجود أو في العطف والجيد^(٢)

وفيما يبدو أن هذا التصور دفع الشاعر إلى أن يستعيد في وهمه ملامح العلاقة بين الشاعر وممدوحيه، وما يتوقع أن يصيبه فيها من عطاء مقابل ما يقدمه من شكر، غير أن اصطدامه بواقع التغيرات الهائلة التي طرأت على نمط الحياة، بما لا يسمح بإعادة تكرار هذا النموذج القديم- أصاب شاعر البراري بإحباط شديد يظهر في قصيدته ذات العنوان الدال « الأعيان الذين مدحتهم في الديوان الأول .. كيف خاب الرجاء فيهم؟ »^(٣)، هو مما أدى به إلى قصر غاية الشعر على التغني بالجمال، والانصراف إلى المرأة والتغزل فيها، على نحو ما نجد في قوله من قصيدته « ألقى عصاه واستقر »:

فالشعر يثمر في الحسا

ن البيض أشباه الزهر

ويضيع في باقي الورى

لا سيما في ذا العصر^(٤)

(١) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٣٢.

(٢) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٩٢.

(٣) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٣٦.

(٤) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١١٣.

وقد أفضى به هذا الإحساس في نهاية المطاف إلى الإضراب عن قول الشعر
عاماً كاملاً، تعبيراً عن احتجاجه، وخيبة أمله، وإحساسه بلا جدوى ممارسة الكتابة
الشعرية، فأعلن ذلك بوضوح في قصيدته المشهورة التي نشرها في جريدة الوفاق
عدد ١١ يوليو سنة ١٩٣٢م تحت عنوان «يميناً»، قائلاً:

يَمِينًا لَا أَقُولُ الشَّعْرَ عَامًا

وإن مَلَّتْ قَوَافِيهِ الْفَطَامَا^(١)

غير أن الشاعر ما يلبث أن يعود مرة أخرى إلى التعبير عن ذاته ومواقفها
إزاء الحياة من حوله معلناً انتهاء احتجاجه في قصيدته «فلأسمع الصخر الأصم
توجعي»^(٢)، التي نشرها في ديوانه الثالث «خمر وجمر» مشيراً فيها إشارات واضحة
إلى انصرافه عن الخارج إلى الداخل، مركزاً على صدره عن شعوره، وتعبيره عن
مكونات وجدانه.

وقد كان ذلك إيذاناً بانفتاح الباب على مصراعيه أمام تطور موقف شاعر
البراري من مفهوم الشعر ليقترب إلى حد بعيد من تصورات الرومانسيين خاصة فيما
يتصل بالانصراف إلى التغني بالجمال والطبيعة، والاقتصار التام عليهما في قصيدته
«الشعر في الريف» التي نشرها في ديوانه الخامس «وحي البراري» سنة ١٩٣٩م :

اسْكَبُوهُ عَلَى الطَّبِيحِ

سَعَةً سَكْرَانٍ مُسْكِرَا

ابْنُهَا - وَهِيَ أُمُّهُ

وَهِيَ أُولَى مَنْ الْوَرَى

(١) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٠٠. وأعاد الشاعر نشر القصيدة نفسها مرة أخرى في ديوانه الثالث
«خمر وجمر» الصادر سنة ١٩٣٥م، تحت عنوان : «معتيتي على الشعر»، وأوله :
متى يا شعر تمشي بي أماما وتملؤني انشراحاً وانسجاما
راجع الديوان الكبير لشاعر البراري : ص ١١٥.
(٢) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٠١ .

اجمعواؤها على
 ولساناً مُعَبِّرا
 وابعثوه إلى السما
 واتِ نجمًا مُنَوِّرا
 وابعثوه إلى الرِّيا
 ضِ نسيماً مُعْطِرا
 وابعثوه إلى الكُرو
 مِ مُدَامًا مُطَهِّرا
 وابعثوه إلى الطُّيو
 رِ غِنَاءً مُؤَثِّرا
 وابعثوه إلى الزُّهو
 رِ أريجًا مُنشِّرا
 وابعثوه إلى الزُّما
 نِ كتابًا مُوقِّرا
 واجمعوا لقومكم
 مُنْذِرًا أو مُبَشِّرًا^(١)

وعلى الرغم من هذا النزوع الرومانسي الواضح الذي بدت تجلياته بعد ذلك
 في كثير من نصوصه الشعرية^(٢)، فإن البيت الأخير يكشف بجلاء عن إصرار شاعر
 البراري على بروز الدور الرسولي للشاعر، الذي يعد بدوره ملمحاً رومانسياً على
 نحو من الأنحاء، يؤكد محمد السيد شحاته إيمانه من خلال حرصه الشديد على
 أن تعالج نصوصه الشعرية قضايا واقعه ومجتمعه، وما يتصل منها بالريف على وجه

(١) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٠٢.

(٢) راجع هذا الديوان؛ نصوص (قسم مع الطبيعة) : من النص رقم : ١٤٢، إلى النص رقم : ١٥٩.

الخصوص، ونقد معاييب الحياة الاجتماعية فيه وفضح عوارها في كثير من الوجوه، مثل معاناة الفلاح^(١)، ومشكلات الزواج^(٢)، وغيرها من القضايا الاجتماعية المتعلقة بالجهل والتخلف^(٣).

وهو ما يظهر كذلك في توجهه إلى التناول الفلسفي لمفردات الحياة من حوله^(٤)، واستخلاص الحكم ذات الطابع الوعظي من تجاربه الخاصة والعامة^(٥)، وانتهاء إلى الشخوص إلى العالم الآخر^(٦)، وما يرتبط به من نزوع شديد إلى الاحتماء بثوابت اليقين الإيماني، ومحاولة استبطان حقائقها عبر مفردات الخطاب الصوفي الذي مثل نتيجة انتمائه العميق للريف المصري - مكوناً أساسياً من مكونات شخصيته الفنية^(٧).

وفي يقيننا أن إمعان النظر في تراث محمد السيد شحاتة الشعري على اختلاف مراحل، لا يمكن أن يسفر إلا عن القول الصريح بأن شاعريته تعتمد على المضمون ورسالته، أكثر بكثير من اعتمادها على العبارة وتشكيلاتها، وإن كان ذلك لا يعني على الإطلاق، افتقار إنتاجه إلى جماليات الكتابة الشعرية وقيمها الفنية؛ وإنما يشير بوضوح إلى أنه لم يكن صاحب مشروع تشكيلي يجرب من خلاله أدوات الفن الشعري، بقدر ما كان صاحب أفكار ورؤى يحاول إيداعها روح المتلقي وعقله، وطبعها في وجدانه ومخيلته.

لم يكن محمد السيد شحاتة حسيماً نعتقد شاعراً من أصحاب الفتوحات الفنية التي تهين عالماً فريداً مبتكراً يخصصه هو دون غيره، متميزاً بمفرداته وصوره

(١) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام: ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ١٥٩ .

(٢) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام: ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٤٣ .

(٣) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام: ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٠ .

(٤) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام: ٩، ١٣، ١٤، ١٥ .

(٥) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ١٠، ١١، ١٢، ٤٨ .

(٦) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام: ٩، ١٥، ١٦، ٣٩، ١٧٠ .

(٧) راجع هذا الديوان نصوص (قسم مع اليقين): من النص رقم: ١٧٣، إلى النص رقم: ١٩١.

وإيقاعاته وأبنيته المبتدعة؛ بقدر ما كان شاعراً تعبيرياً يقدم مواقفه إزاء تحولات الداخل والخارج معاً ويعبر عنها في إطار الأنساق الفنية المتداولة؛ ومن ثم لم ينشغل كثيراً خاصة في دواوينه الأولى، بتلمس شخصية شعرية مستقلة تنأى بنفسها عن المبتذل من عناصر الأداء الفني، كالإفراط في الألاعيب اللغوية، والتورط في النتوءات اللفظية الزائدة، وسذاجة التصور، وافتقار التصوير إلى التعمق، وغيرها من الهفوات والهفات الاشتقاقية والتصريفية، التي وإن توارت بشكل كبير في إنتاج المراحل الأخيرة من شعره بعد أن اكتسب الخبرة الشعرية اللازمة؛ إلا أنها ظلت تطل بين الحين والآخر مؤكدة تركيز الشاعر الأساسي وانشغاله الرئيس بالتعبير عن أفكاره، وبيان تصوراته عن مشاعره ومشاهداته.

ومن يتأمل تراثنا الشعري قديمه وحديثه يدرك أن الشعراء المبدعين أصحاب النماذج الفريدة قلة قليلة في كل عصر، يبتكر الواحد منهم مشروعاً شعرياً الخاص عبر إنجاز نصوص مدهشة على مستوى الرؤية والتشكيل، ما إن تذيع أدواتها الفنية، وتترسم ملامح عوالمها الإبداعية، وتتداولها ألسنة القراء وكتابات النقاد حتى تتحول إلى نماذج عامة يمتح الشعراء المُعَبِّرون، من معينها ما يعينهم على البيان والتعبير عن دواخلهم وإحساساتهم.

وليس يتصور أن القول بأن محمد السيد شحاتة شأنه شأن الغلبة الغالبة من الشعراء على مر العصور، أدخل في المعبرين منه في المبدعين- يمكن أن ينتقص شيئاً من شاعريته؛ من حيث هي موهبة فطرية، وإحساس فردي، ونظرة خاصة للحياة من وجهة لا يملكها سواه؛ على نحو ما يظهر في كثير مما كتبه شاعر البراري عن الموت والحياة والدين والمرأة والطبيعة وغيرها من مفردات هذا الديوان.

وليس يتصور كذلك أن ذلك القول يمكن أن ينتقص شيئاً من شعرية نصوص محمد السيد شحاتة؛ من حيث هي جملة الخصائص التي تميز الرسالة اللغوية للنص الشعري عن غيرها من ألوان الخطاب.

فثمة طاقات فنية بارزة تشكل في مجموعها ملامح جمالية النص الشعري عند شاعر البراري على مستوى العبارة والتصوير والموسيقى والنسق الفني للنص.

ونصوص هذا الديوان الذي بين أيدينا كاشفة بوضوح عناصر هذه الشعرية وأدواتها وأبعادها، وأنصعها في نظرنا اللغة التصويرية والتعبير الموقع. فلا يكاد يخلو نص من نصوص هذا الديوان من جنوح إلى الصورة باختلاف أشكالها وأنماطها وطرائقها، وإن غلبت المشابهة بشكل واضح على آلية إنتاج صور هذا الديوان من مثل: تشبيه الحقل بصحيفة التائب^(١)، والمكافأة العvisة بالعنقاء^(٢)، ولوح الدرس بالوثن^(٣)، وتلوي مياه الروض بتلوي الأفاعي^(٤)، وشعرات المشيب بالنجوم^(٥)، والوردة بالكأس، وقرقراق الندى بالحب، أو هما معاً بخد الحبيبة نهار جرى عليه دمع الوداع^(٦)، وتراقص أمواج البحر ببقية الآمال في الصدر؛ والبحر حين تسبح فيه الغانيات، بالسماء وقد تحلت بالنجوم، أو بكتاب سطره من الجميلات^(٧).

مع ظهور بعض الانزياحات التصويرية اللافتة من مثل: زراعة الورد^(٨)، ونسج الأكفان من رقيق الدمع^(٩)، وثوب البراءة ونسج الهدى^(١٠)، وأسطول الهم^(١١).

(١) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٢٥ .

(٢) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٦٠ .

(٣) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٦٢ .

(٤) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٣١ .

(٥) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٤٢ .

(٦) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٤٧ .

(٧) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٥٣ .

(٨) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١ .

(٩) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٤٦ ، ٥١ .

(١٠) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٩٥ .

(١١) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٠١ .

وميل واضح إلى التشخيص على ما نجد في: تبسم الحظ^(١)، واستجواب المحراث الأرض^(٢)، وبذر لجين الماء العسجد^(٣)، والنيل أب^(٤)، واحمر وجه النيل^(٥)، وبكاء الشمس بدموع هُنَّ النجوم^(٦)، والقمر عاشق والده، وهو ساق والنجوم كؤوسه^(٧).

ولا يكاد يخلو نص من نصوص هذا الديوان كذلك من الاستفادة من طاقات الإيقاع النسيجي للنص اعتماداً على آليات المماثلة الصوتية جناساً^(٨)، وتكراراً^(٩)، ورداً^(١٠)، أو المقابلة الدلالية^(١١)، أو التوازن البنائي^(١٢).

بل إن وفرة من النصوص تحظى بتكثيف حضور هذه الطاقات الجمالية، على نحو ما نجد فيما يمكن تسميته الصورة التقابلية، التي لا تخلو من مماثلات لفظية من مثل: ليل الشباب وابتسام الشعر^(١٣)، وبكاء السماء وضحك الأزهار^(١٤)؛ والمقابر الثيات والذنوب الأبكار^(١٥)، وبكاء الغيث وضحك الزهر^(١٦).

-
- (١) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٥ .
 (٢) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٢٤ .
 (٣) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٢٥ .
 (٤) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٢٦ .
 (٥) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٣٣ .
 (٦) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٤٢ .
 (٧) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٥٨ .
 (٨) راجع هذا الديوان، النصوص أرقام : ١ ، ٤ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٢٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١٥٨ .
 (٩) راجع هذا الديوان، النصوص أرقام : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ .
 (١٠) راجع هذا الديوان، النص أرقام : ٦ ، ١١ ، ١٨ ، ٤٣ ، ٧١ ، ١٣٥ .
 (١١) راجع هذا الديوان، النصوص أرقام : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٧٨ ، ١٨١ .
 (١٢) راجع هذا الديوان، النصوص أرقام : ٦ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٥٨ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٩ .
 (١٣) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٣ .
 (١٤) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٢٤ .
 (١٥) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٦٣ .
 (١٦) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٤٥ .

غير أن أهم ما يلفت النظر حسبنا نتصور، في شعرية نصوص هذا الديوان، ثلاث ظواهر بارزة، نقدمها بإجمال لا يسمح المقام بغيره، على النحو الآتي:
أولاً- أصالة عناصر الأداء الفني وارتباطها بثقافة الشاعر الخاصة:

وهي ظاهرة تبدو بوضوح في خمس سمات فنية شائعة في شعر محمد السيد شحاتة، تعكس عمق تجربته الفنية وارتباطها الوثيق ببيئته المحلية، على نحو يؤمن للنص خصوصيته وتميزه وقدرته على التأثير.

وأول هذه السمات يتبدى في تشكيل صوره وامتياح عناصرها من واقع الحياة الريفية بكل صدقها وحيويتها، يقول في قصيدته «عهد الطفولة في الريف»:

هل تذكرين ونحن في المكتب
وجلسنا في مقعد واحد
نُملي هوانا والصُّبَا يَكْتُبُ
في حين لا واشٍ ولا حاسدٍ

☆☆☆☆

«تَبَّتْ يَدَا» كُنَّا نُكَرِّرُهَا
لَمْ نَذِرْ مَا «حَمَالَةُ الحَطَبِ»
حَتَّى تَوَلَّانَا تَطَوَّرُهَا
فَإِذَا الهوى فينا «أَبُو لَهَبٍ»

☆☆☆☆

هل تذكرين البَيْضَ والسَّمْنَا
نُهديهِمَا لَفَقِيهِنَا صُبْحَا
فَنكون في حلٍّ إِذَا نَمْنَا
وكذاك إن لم نحفظِ اللوحَا

☆☆☆☆

قالوا «جَرِيدَتُهُ» من الجنَّة
ما بال لو كانت من النارِ

فِي حَدِّهَا لَيْسَ سِوَى أَنَّهُ
يَفْرِي الْجُلُودَ كَحَدِّ مَنَشَارٍ

☆☆☆☆

هَلْ تَذَكِّرِينَ نَزُولَنَا الْجَدُولُ
لِنَسَاقِ الْوِزَاتِ وَالْبَطِّ
يَرْسُمْنَ خَطًّا مِ الْمُنَى أَطْوَلُ
فَنَرُوحُ نَشْطَبُ ذَلِكَ الْخَطًّا

☆☆☆☆

وَكَأَنَّنا فِي ذَلِكَ اللَّغْزِ
«مَلَكَان» قَدْ رَفَعَا عَلَى «الْكُوْثَرِ»
وَكَأَنَّ سَرَبَ الْبَطِّ وَالْوَزِّ
«حَوْرُ الْجَنَانِ» تَشَاهِدُ الْمَنْظَرَ^(١)

حيث تتوالى هذه المشاهد التصويرية التي تعرض أمام أعيننا لمحات من حياة أطفال الريف المصري وجوانباً من عالمهم الفريد بكل ما له من ثقافة خاصة وطقوس وموروثات حرص الشاعر على أن يقدمها ببساطتها وتلقائيتها، وهو ما يحيلنا إلى السمة الثانية من سمات هذه الظاهرة وهي استعمال اللغة الاعتيادية بما في ذلك المفردات الدارجة التي تمنح النص في كثير من الأحيان كما في قصائد هذا الديوان، ماء الحياة وطعم الطراجة ورائحتها^(٢).

وفي النص ذاته تبرز ثالث سمات ظاهرة أصالة عناصر الأداء الفني، وتتمثل في قدرة الشاعر على توظيف الموروثات الثقافية العامة في إنتاج شعرية النص، وهو ما يتجلى عند محمد السيد شحاتة في ألوان متعددة؛ منها استدعاء الشخصية

(١) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٢٣ .

(٢) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ١٠٣ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ .

التراثية^(١)، ومنها استعمال بعض المصطلحات ذات الطابع العلمي والثقافي^(٢)، ومنها التداخل النصي مع فلذات شعرية ذائعة^(٣). غير أن أبرزها ما مر بنا في الأبيات السابقة من تداخل نصي مع آيات القرآن الكريم^(٤) التي تمثل ركيزة أساسية لثقافة أبناء الريف منذ التحاقهم بالكتاب أو المكتب على نحو ما أشار الشاعر في أبياته التي تلفت النظر فيها قدرته على إعادة توزيع الطاقات الدلالية للنص المستدعى ولشخصياته، بحيث لا تسلط الأضواء على الدلالة الأساسية للنص الأصلي بقدر ما تسلط على مقاصد نص الشاعر، مبرزة دلالاته الخاصة عبر طاقة تصويرية مدهشة تتزاح فيها شخصية (أبي لهب) من إحياءاتها التاريخية القارة في عمق النص القرآني إلى إحياءات جديدة ترتبط بذلك الغرام المشتغل بين الشاعر ورفيقته في الكتاب.

ويستطيع قارئ هذا الديوان أن يلحظ في غير اجتهاد هذه القدرة الفائقة التي تمتع بها محمد السيد شحاتة على توظيف النص الموروث، وتوجيه طاقاته إلى الانسجام مع سياق نصه الشعري، يقول على سبيل المثال في نص بعنوان «سألته»:

سَأَلْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ
سَوَّالَ صَبِّ مُخَاطَرُ
أَصَائِمُ يَا حَبِيبِي
عَنْ جَبْرِ كَسْرِ الْخَوَاطِرُ

(١) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام: ١٠، ١٧ (آدم وحواء)، ١٢ (سبيويه)، ٢٣ (أبو لهب وحمالة الحطب)، ٣٤ (السامري)، ٣٦ (كافور والمتوكل والبحري)، ٤٧ (البرامكة وأم موسى)، ٥٤ (كعب ابن مامة وسحبان وائل)، ٦٠ (السندباد)، ٨٩ (الرشيد وأبو نواس)، ٩٠ (جميل وكثير)، ١١٣ (صردر)، ١١٧ (المسيح)، ١٥١ (حسان بن ثابت وبلقيس وسليمان)، ١٥٥ (يونس وموسى)، ١٦١ (موسى وعيسى)، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، (الرسول صلى الله عليه وسلم)، ١٦٦ (حسان بن ثابت)، ١٦٧ (يوسف)، ١٦٨ (موسى)، ١٧٢، ١٧٣ (السيد البدوي).

(٢) راجع هذا الديوان، النصوص أرقام: ١٠، ٢٤، ٢٥، ٣٠، ١٠٣، ١٠٨، ١١٧، ١٣٨.

(٣) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام: ١١، ٢٧، ٧٤، ٩٧، ١١٠، ١٥٧.

(٤) راجع هذا الديوان، النصوص أرقام: ٢٣، ٣٨، ٣٩، ٤٧، ٥٥، ٥٩، ٦٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٣، ١٦٣.



فقال لي في ابتسام الحمْدُ لهُ فَاطِرٌ^(١).

والظاهر أن التداخل النصي مع الآية الكريمة نسخ دلالة الجملة المستدعاة كلية وصرفها إلى أداء دورها المرسوم في هذا النص المشهدي كقفلة مستطرفة للحوار، اعتماداً على استعمال كلمة (فاطر) وفق مدلولها في العامية المصرية بمعنى (مفطر)، وهو ما يحيلنا مرة أخرى إلى السمة السابقة، التي أشرنا خلالها إلى استعمال المفردات الدارجة، وما يخلعه على النص من حيوية، كما يحيلنا إلى السمة الرابعة من سمات أصالة عناصر الأداء الفني، وهي شيوع روح الفكاهة (والتندر) وخفة الظل التي هي خصيصة رئيسة من خصائص الشخصية المصرية بصفة عامة، وأبناء الريف في دلتا مصر على وجه الخصوص الذين يشتد تعلقهم بالنكتة المادية بقدر يشتد تعلقهم بالجوانب الدينية والروحية التي ملأ التصوف ما أتيح لها من مساحات مختلفة في نفوسهم، وهو ما يبدو في ذلك الحضور الصوفي البارز في كثير من كتابات محمد السيد شحاتة، خاصة في المرحلة الأخيرة من حياته^(٢)، التي تملكته خلالها نوازع إيمانية عميقة استطاع الشاعر تقديمها دون أن يذوب في لغة المتصوفة واصطلاحاتهم، وإنما استطاع أن يحافظ على لغته الخاصة، وسماته الفنية المائزة وفي مقدمتها التوقيع النسيجي الذي اتخذه الشاعر ركيزة أساسية لتقديم تصورات، على نحو ما نجد في قوله في نص مخطوط حمل عنوان «اعتراف»:

لقد انطفأتُ بقدر كفراني به
وبقدر شكراني يُعاد توقدي

(١) راجع هذا الديوان، النص رقم : ٢٩ .

(٢) راجع هذا الديوان ، النصوص أرقام : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ .



ولقد بكيْتُ بقدر معصيتي له

وبقدر طاعاتي يكون تجدي^(١)

حيث نلاحظ قصدية النص إلى إنتاج رسالته ذات الطابع الإيماني العميق تكثيف حضور الوسائط الإيقاعية وتكامل أدائها تكراراً، وتقابلاً، وتوازناً.

ثانياً- القدرة على توظيف طاقات الشعرية في إنجاز الرسالة المقصودة:

وتمثل هذه الظاهرة في نظرنا أهم دلائل اقتدار الشعراء، وإبداعهم؛ فجوهر الشعرية حسبما نتصور لا يتصل بمدى تحقق عناصرها في النص، بقدر ما يتحقق في مدى إسهامها في إنجاز رسالة هذا النص، ومدى انسجامها مع غيرها من العناصر اللفظية وغير اللفظية التي تكوّن النص وتشكل ملامحه.

وحضور هذه الظاهرة في شعر محمد السيد شحاتة على مستوى البنى الفنية الأساسية التي يتشكل منها النص الأدبي لا يحتاج إلى دليل، فثمة مواعمة واضحة بين رسالة النص وآلية إنتاجه.

إن من يقرأ نصوص شاعر البراري، ويحاول استخلاص قيمها المضمونية، يقع بلا شك على إحساس قوي راسخ في أعماق الشاعر بتمائل مشاهد الحياة في وجوهها المختلفة، وتكرر حوادثها بصورة تكشف وحدة الجوهر رغم اختلاف التجليات والظواهر. وهي في جملتها ظواهر تدفع من جهة إلى خيبة الأمل التي تملك الشاعر في كثير من نصوصه^(٢)، ومن جهة أخرى تفضي إلى بروز المماثلة اللفظية وسيطاً فنياً شائعاً في أغلب إنتاج الشاعر على نحو ما مر بنا من قبل.

(١) راجع هذا الديوان، النص رقم : ١٨١.

(٢) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ١٠٣ .

وهذه الظواهر المحبطة في تكرارها تفضح في الوقت ذاته ما في الحياة نفسها من تناقضات وتعارضات لم يدخر شاعر البراري وسعاً في إبرازها عبر هذا التدفق المستمر للمقابلات الدلالية والتوازنات البنائية التي أشرنا إلى ظهورها الطاعي في غير هذا الموضع، وتجمالها هذه الأبيات المخطوطة التي اختار لها الشاعر عنوان «أنا والدنيا»:

عيوني تَطْلُبُ الدُّنْيَا جمالا
وقلبي يطلب الدنيا كَمَلا
ونفسي تطلب الدنيا نُقُودًا
وجسْمي يطلب الدنيا اخْتِمَالا
وفي الدنيا يُحَالُ المَالُ حُبًّا
وفي الدنيا يحال الحبُّ مالا
ولي منها خُطَى لا بُدَّ منها
سأخطوها يمينًا أو شمالا
وإن أنا مِلْتُ عنها أو إليها
فما من كائنٍ إلا ومالا^(١)

حيث يبدو توزع الشاعر بين الواقع والمثال، والروحي والمادي، والثابت والمتغير، مع الاعتراف بحتمية الرضوخ لمقررات الحياة والإيمان بتمثالها. وإن كان ذلك لم يمنع الشاعر من الوقوع في دائرة القلق والتوتر اللذين أفضى إليهما ذلك الإحساس العميق بالتناقض خاصة فيما يتعلق بما يقدمه الإنسان وما يحصل عليه، وما هو كائن وما ينبغي أن يكون، وهو ما جعل محمد السيد شحاتة قابلاً

(١) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٦ .

طيلة الوقت تحت سلطة التساؤل الذي تلونه إحياءات الحيرة والتعجب والاستكار،
والرفض والتشكك^(١)؛ يقول في أبيات من خط يده جعل عنوانها «صباح الشيب»:

صباح الشَّيب ردَّ عليَّ بابي،
وظلَّ لديَّ مرتقبًا ذهابي..
وليسَ براحِلٍ عنيَّ إلى أن
أوارى مثلَ غيري في التُّراب..
ولا أدري، ألبسُ يومَ بعثي
صباحَ الشَّيب، أم ليلَ الشَّباب؟^(٢)

فالشيب بما هو نذير النهاية ومعادل الانكسار يغلب على هذا المشهد المكثف،
مخلفاً لدى القارئ صورة واضحة لما يعانيه الشاعر من إحساس قوي بالاستسلام
للهزيمة، والرضوخ لسلطة التماثل وقانونه القاهر الذي يلتزم به الجميع، ويدفع
الشاعر إلى التشكك في إمكان التأمل ذاته ولو كان من المسلمات العقدية التي
يؤمن بها الشاعر.

وربما يفتح هذا النص أمامنا المجال لتناول سمة أخرى أكثر بروزاً في شعر
محمد السيد شحاتة، وهي اعتماده في أداء رسالته على النصوص شديدة التكتيف
التي تتألف من بيتين أو ثلاثة أبيات على الأكثر^(٣)، بما يجعلنا أمام بنية بالغة
الإحكام أشبه ما تكون باللقطة السريعة، أو بالعبارة البرقية التي تحتاج إلى وقت

(١) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام: ٧، ١٧، ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٨١، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٨، ١٠٠، ١٠٥، ١٠٩، ١١٢، ١١٤، ١٢٣، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٨، ١٧٢، ١٧٤.

(٢) راجع هذا الديوان؛ النص رقم: ١٠٥.

(٣) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٧، ٨، ٤١، ٤٩، ٥٠، ٥٦، ٥٧، ٦١، ٨٧، ٩٦، ٩٩، ١٠٥، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١.

طويل لتأملها وفك رموزها، على نحو ما نجد في هذين البيتين من خط يد الشاعر،
اللذين يحملان عنوان (وجود)؛ يقول:

أَوَائِلْنَا لَهُمْ فِينَا وَجُودُ
إِلَى حَدٍّ، وَدُنْيَانَا حَدُودُ
وَفِي الْأَلْفَاظِ تَسْتَتِرُ الْمَعَانِي
وَفِي الْأَحْفَادِ تَسْتَتِرُ الْجُودُ^(١).

فعلى الرغم من تحدد الحيز اللفظي للنص واقتصاره على بيتين فحسب،
فإن ضيق العبارة لم يفض إلى غير امتداد المعنى واتساعه لينفتح بنا على رحابة
إشكالات الوجود ذاته بكل ما فيها من أسرار خفية، وظواهر مكررة، وانسراب
وانحصار، بحيث تصبح الحياة الإنسانية ذاتها عبر أجيالها المتتابعة تجليات لصورة
واحدة محدودة لا يمكن الانفلات من أسرها؛ وهو ما قدمه الشاعر مرتكزاً رغم
قصر النص، على آلياته الرئيسية من تماثل يغلب على البيت الأول، وتقابل يحكم كل
شطر من شطري البيت الثاني، وتوازن يجمع بينهما؛ منتهياً من ذلك كله قولاً وفناً
إلى إدراك نواميس الكون ومقرراته.

ولم يقتصر اعتماد محمد السيد شحاتة على البنية المكثفة في إنتاج نصوص
مستقلة تحمل رؤى تمثل خلاصات دينية أو وجودية أو حكم عملية فحسب، بل
استطاع أن يفيد من طاقات هذه البنية المحدودة في إنتاج نصوص مقطعية ذات طابع
خاص يركز على توالي الصور وتتابعها بحيث يستقل كل مقطع منها بصورة خاصة
تمثل مشهداً تصويرياً يؤدي دوراً مرسومًا في موضع محدد لتتكامل اللوحة العامة
للنص على نحو ما رأينا من قبل في مقاطع قصيدة «عهد الطفولة في الأرياف» وهو
ما نجده في نصوص أخرى أسسها الشاعر على هذا النسق البنائي المصور^(٢).

(١) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٧٧ .

(٢) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام : ٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ١٤٢ ، ١٤٥ .

ثالثاً- النزوع إلى التجديد:

والميل إلى التجديد هو ثالث الظواهر الفنية البارزة التي تميز شعرية نصوص محمد السيد شحاتة، ونستطيع القول بغير قليل من الاطمئنان إن هذا الميل الواضح كان نتيجة حتمية لتأثر شاعر البراري بذيوع الاتجاه الرومانسي وغلبته على حركة الحياة الشعرية في مصر منذ ثلاثينات القرن العشرين، وحتى ستيناته، وهي المرحلة التي ظهر خلالها جل إنتاج الشاعر.

وكان من أبرز آثار هذا الميل إلى مقولات الرومانسيين وتقنياتهم الفنية في شعر محمد السيد شحاتة، ذلك الانصراف الواضح إلى الطبيعة، حتى أن الشاعر ارتضى لنفسه لقباً مستمداً من مفرداتها التي غلبت على نصوصه الشعرية، على الرغم من خضوعه تحت تأثير محاكاة النماذج الإحيائية على أغلب الظن، للغة الشعر التراثي بمواضيعها التقليدية في غير قليل من قصائده ومقطعاته^(١) التي كتبها خلال المرحلة الأولى من حياته الفنية - بحيث يظهر هذا الأثر الرومانسي بجلاء في لغة كثير من قصائده وعنوانات نصوصه من مثل: «الابتسامة المؤلمة»^(٢)، و«النجم الساهر»^(٣)، و«اصفرار الشمس في الغروب»^(٤)، و«زهر الأمانى»^(٥)، و«أنا الروض»^(٦)، و«صباح الشيب»^(٧)، و«ليل الريف»^(٨)، و«وردة الخريف»^(٩)، و«الغروب»^(١٠)،

(١) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام: ١١، ١٢، ٢٧، ٢٩، ٣٣، ٤٢، ٩٣ .

(٢) راجع هذا الديوان؛ النص رقم: ١٣ .

(٣) راجع هذا الديوان؛ النص رقم: ٣٨ .

(٤) راجع هذا الديوان؛ النص رقم: ٤٩ .

(٥) راجع هذا الديوان؛ النص رقم: ٩٢ .

(٦) راجع هذا الديوان؛ النص رقم: ٩٩ .

(٧) راجع هذا الديوان؛ النص رقم: ١٠٥ .

(٨) راجع هذا الديوان؛ النص رقم: ١٤٢ .

(٩) راجع هذا الديوان؛ النص رقم: ١٤٦ .

(١٠) راجع هذا الديوان؛ النص رقم: ١٥٩ .

وغيرها من النصوص التي تؤكد المساحة الواسعة التي شغلتها الطبيعة في تجربته الفنية، والتي انعكست بدورها على لغته الشعرية.

وليس يخفى على القارئ أن اتجاه محمد السيد شحاتة إلى كتابة القصيدة المقطعية على نحو ما مر بنا من قبل؛ هو في حد ذاته أثر واضح من آثار النزعة الرومانسية في شعره، خاصة وقد صاحب البناء المقطعي لهذه النصوص ملمح آخر من ملامح التجديد الفني نلمسه في اتجاهه إلى تغير القوافي، وتعدد ما يسمح بتحويلات إيقاعية تتناغم مع بنية المقاطع ذاتها من جهة، ومع التشكيلات التصويرية لهذه المقاطع من جهة أخرى؛ وهو ما يبدو معه التجديد الإيقاعي أكثر ارتباطاً بطبيعة التجربة الشعرية وما تطرحه من رؤى ودلالات، وأكثر قدرة على التعبير عنها؛ بما يفتح المجال كذلك إلى ملاحظة نسبة استعمال بحور الشعر وأوزانه في نصوص هذا الديوان.

فعلى الرغم من أن المجموعة الوزنية التقليدية الغالبة على الشعر العربي على امتداد عصوره (الطويل/البسيط/الكامل/الوافر) تسيطر سيطرة تامة تقريباً على أوزان هذا الديوان حيث تبلغ نسبة استعمالها والاتجاه إليها ٨٧,٦ ٪؛ في حين أن بقية الأوزان المستعملة (الرمل، والخفيف، والمتقارب، والرجز، والمجتث، والهزج) لا تزيد نسبة استعمالها على ١٢,٤ ٪ - فإن تغيراً كبيراً قد طرأ على بحور هذه المجموعة السائدة، حيث تراجع الوزن الطويل، وهو أشيع بحور الشعر العربي استعمالاً، إلى المرتبة الرابعة في هذه المجموعة بنسبة ٦,٣ ٪، يسبقه الوافر بنسبة ١٢,٥ ٪، ثم البسيط بنسبة ١٩,٩ ٪؛ على حين يحتل الكامل المرتبة الأولى بنسبة ٤٢,٩ ٪، وهو ما يعني اتجاهاً واضحاً إلى الابتعاد عن الأنساق التقليدية والمواضع المألوفة في كتابة القصيدة البيتية التي اعتدنا أن تدفع أبنيتها الصرفية وتراكيبها النحوية غالباً، بحري الطويل والبسيط إلى المقدمة، بما يشي بتحول إيقاعي ظاهر ترفده تحولات لا تقل جلاءً على مستوى بنية اللغة الشعرية.

وربما كان الاتجاه إلى تسريد الخطاب الشعري، أو جعل البنية السردية عنصراً رئيساً من عناصر الشعرية؛ من أكثر الظواهر المقترنة بمحاولات تجديد البنية الفنية وتأسيس شعرية مغايرة، عند محمد السيد شحاتة، كما هو الحال عند غيره من الشعراء، خاصة معاصريه من أصحاب التجارب الرومانسية الجديدة الذين درجوا على خطى خليل مطران في السعي إلى تحرير التجربة الإبداعية بالالتكاء على الأداء الحكائي بحيث يلعب السرد القصصي دوراً تصويرياً جمالياً في النص يدعم ما تحمله مادة القصة ذاتها من محتوى دلالي عبر استحضار عالم الحكاية للإحالة على حياة الشاعر وصورة مجتمعه من جهة، وللشهادة على أحداث بعينها في تجربته من جهة أخرى، على نحو ما نجد في بعض قصائد شاعر البراري التي قدم من خلال كل واحدة منها حكاية واضحة المعالم مكتملة العناصر تنهض على سرد عدد من الوقائع يرصد من خلالها بعض القضايا الاجتماعية مثل: « الزواج في البراري»^(١)، و «تلميذ منتحر»^(٢)، أو يقدم حكاية شارك في أحداثها واتصل بأسبابها مثل قصيدته عن موت ابن عمه «بدر العشيرة»^(٣)، أو ينسج قصة تجنح إلى تسجيل الوقائع في قالب مرح يغلب عليه الخيال، مثل قصيدته «البسة»^(٤).

ولم يقتصر النزوع السردى عند محمد السيد شحاتة على تقديم نصوص شعرية تمثل قصصاً مكتملة فحسب، بل قدم في كثير من قصائده عناصر قصصية مختلفة يأتي في مقدمتها الحوار المطرد بين شخوص محددة تشكل معالم أولية للمشهد الحكائي في هذه القصائد، مؤسسة بذلك نسقاً سردياً يركز على تعدد الأصوات المتكلمة في النص^(٥).

(١) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٨ .

(٢) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٤٣ .

(٣) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ٧١ .

(٤) راجع هذا الديوان؛ النص رقم : ١٣٥ .

(٥) راجع هذا الديوان؛ النصوص أرقام : ٨ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

تلك إذن بعض ملامح فن محمد السيد شحاتة وجماليات شعره، الكاشفة عن أصالة موهبته وشاعريته، ودلائل تمكنه ومقدرته الشعرية.

وهي على غناها ووفرتها لا تغير شيئاً مما ذهبنا إليه من الظن بانشغال هذا الشاعر الكبير بالفكرة دون الأسلوب، وبالمضمون دون العبارة، وبالرسالة دون التشكيل. وليس في ذلك التصور، كما أكدنا من قبل ما ينتقص من منزلة الشاعر أو قيمته الفنية؛ بل هو في حقيقة الأمر لا يعدو أن يكون رأياً لا يقصد إلى شيء غير تحديد توجه الشاعر الفني، وكشف مذهبه الشعري الذي اتخذناه أساساً للنظر في نصوص هذا الديوان والعمل على تقسيمها وتصنيفها وترتيبها بناءً على موضوعاتها الفنية، وتوزيعها على أحد عشر قسمًا تصحبنا نصوص شاعر البراري في كل واحدة منها مع مصادر إلهامه ومحاور انشغاله.. مع الحياة، ومع المجتمع، ومع الشكوى، ومع الراحلين، ومع الأصدقاء، ومع الأقربين، ومع الشعر، ومع الشيب، ومع المرأة، ومع الطبيعة، ومع اليقين. فكان توالي نصوص هذا الديوان على نحو مقصود يسمح بتتبع مواقف الشاعر ورؤاه وتصوراته التي شكلت ملامح شخصيته، ورسالته إلى المتلقي في آن معاً.

ولم يقف عملنا في هذا الديوان على مقابلة المادة المتاحة التي جمعتها ابنة الشاعر، ومقابلتها بالمنشور في الديوان الكبير لشاعر البراري، واختيار جملة من النصوص التي لم تنشر والنصوص المخطوطة والنادرة وضم بعضها إلى بعض وتقسيمها وترتيبها فحسب؛ بل التزمنا بتوثيق نصوص هذا الديوان البالغ عددها واحداً وتسعين ومائة نص (١٩١)، وتخريجها ومقابلتها بمصادر نشرها حال تعددها، وبيان فوارق الروايات، والتعريف بما يلزم تعريفه من مفردات وإشارات اجتماعية وتاريخية وطقوسية، وغير ذلك من الدلالات، مع الالتزام بتحديد بحر كل نص ووزنه، إضافة إلى إعداد فهرسين فنيين واجبين أحدهما للقوافي، والآخر للموضوعات والقصائد.

وفي نهاية هذه الرحلة مع شاعر البراري لا يسعني إلا أن أشكر كل من مد لنا يد العون في سبيل إنجاز هذا العمل، وفي مقدمتهم السيدة توبة محمد السيد شحاتة ابنة الشاعر البارة التي أمدتنا بكل ما جمعته على مدى ربع قرن من الزمان من شعر أبيها.

وأن أشكر زملائي الباحثين بمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري الأستاذ محمود البجالي، والأستاذة ريم معروف، والأستاذ إسلام هجرس على ما بذلوه من معاونة صادقة خلال جميع مراحل إعداد هذا الديوان، فلهم مني جميعاً وللزملاء بقسم الصف والطباعة بالمؤسسة، وفي مقدمتهم الأستاذ أحمد متولي، خالص الشكر والتقدير والتحية على صبرهم ودأبهم وجهدهم الذي لا ينكر.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فيما صنعت
عليه توكلت وإليه المصير، سبحانه نعم المولى ونعم النصير

محمد مصطفى أبو شوارب

٢٨ من ربيع الآخر ١٤٣٤هـ

الموافق ١٠ من مارس ٢٠١٣م

مع الحياة

(١)

طغيان الخداع^(١)

[البسيط]

زرعْتُ في بعضهم وُدِّي وقلتُ له:
أثمِرْ، فقال: وأين الخصبُ والماء؟
طغى الخداعُ فكم عَيْنٍ علانيةً
تُبدي لك الودَّ، والأحشاءَ صُحراءَ

(١) النص مع عشرة نصوص أخرى منشورة في مجلة الدوحة؛ العدد ٧٨، يونيو ١٩٨٢م: ص ٣٩، تحت عنوان: «قصائد مجهولة»؛ وقدم لها رئيس تحرير الدوحة الأستاذ رجاء النقاش؛ بقوله: «هذه مجموعة من القصائد القصيرة المجهولة لشاعر موهوب «سيئ الحظ» عاش في ريف مصر في الثلاثينيات والأربعينيات، ونال بعض الشهرة حينما كتب عنه «أنطون الجميل» رئيس تحرير الأهرام آنذاك، ولكن شهرة الشاعر سرعان ما انطفأت، وضاع الرجل وشعره في ظلال النسيان، والشاعر اسمه «محمد السيد علي شحاته» وكان يسمى نفسه باسم مستعار وهو «شاعر البراري».. وأرجو أن أعود إلى شعره وحياته ومأساته بشيء من التفصيل في العدد القادم».

(٢)

لا تنخدع^(١)

[مجزوء الرجز]

رُدُّ الْفَتَى لِأَصْلِهِ
لَا تَنْخَدِعْ بِطَيْبَتِهِ
وَإِخْكُمْ عَلَيْهِ وَلَهُ
مِنْ جَدِّهِ وَجَدَّتِهِ
فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْبَرِّ
يَافِيهِ طَعْمُ مَنْبَتِهِ

(١) مجلة الدوحة العدد ٧٨، يونيو ١٩٨٢م: ص ٣٩.

(٣)

تُقَبَّلُ كَلْبَهَا^(١)

[البسيط]

مَا قَبَّلَتْ كَلْبَهَا وَجِدًا وَلَا وَلَهًا
بَلْ قَبَّلَتْ كَلْبَهَا عَطْفًا وَشُكْرَانًا
هُوَ الْوَفِيُّ لَهَا؛ لَا الْمَغْرَمُونَ بِهَا
وَالْكَلْبُ أَوْفَى مِنَ الْإِنْسَانِ مُذْ كَانَا

(١) مجلة الدوحة، العدد ٧٨، يونيو ١٩٨٢م: ص ٣٩.

(٤)

الدهر^(١)

[الطويل]

هو الدهرُ لا تخذَعُكَ منه ابتسامَةٌ
أساريْـرُهُ بيضٌ، وسودُّ سرائِرُهُ
فلا تَهْنِ إنْ أُولَاكَ سَلَمًا ولا تَهْنِ
إذا هو قد دارَتْ عَلَيْكَ دوائِرُهُ
فلا «جيدَ» إلا فَارَقَتْهُ «عقودُهُ»
ولا «مِغْصَمٌ» إلا وفُكَّتْ أساورُهُ

(١) محمد السيد شحاتة، ديوان «خمر وجمر»، ط١، مطبعة الوفاق، بلقاس، مصر ١٩٣٥م: ص ٣٨.

(٥)

الحظ^(١)

[الكامل]

يا رَبُّ ذِي مَالٍ كَثِيرٍ فِي الْوَرَى
لَوْلَا تَبَسُّمُ حَظِّهِ لَتَسَوَلَا
مَا الْاجْتِهَادُ هُوَ الْمَوْصَلُ وَحْدَهُ
كَلَّا وَلَا الْعَقْلُ الْكَبِيرُ، وَلَا وَلَا
لَمْ يَبْلُغِ الْإِنْسَانُ أَيْةَ غَايَةٍ
إِلَّا وَكَانَ الْحَظُّ فِيهَا أَوَّلًا

(١) مجلة الدوحة، العدد ٧٨، يونيو ١٩٨٢م: ص ٣٩.

(٦)

أنا والدنيا^(١)

[الوافر]

عيوني تَطْلُبُ الدُّنْيَا جَمَالًا
وقلبي يطلب الدنيا كَمَالًا
ونفسي تطلب الدنيا نُقُودًا
وجِسْمي يطلب الدنيا اخْتِمَالًا
وفي الدنيا يُحَالُ الْمَالُ حُبًّا
وفي الدنيا يحال الحبُّ مَالًا
ولي منها خُطَى لَا بُدَّ مِنْهَا
سَأَخْطُوها يَمِينًا أَوْ شِمَالًا
وإن أَنَا مِلْتُ عَنْهَا أَوْ إِلَيْهَا
فَمَا مِنْ كَائِنٍ إِلَّا وَمَالًا

(١) من خط يد الشاعر.

(٧)

ماذا تبغي؟^(١)

[المجتث]

تَبْغِي خُأُو الْبَالِ؟
طَلَبْتَ نَيْلَ الْمُحَالِ
لَمْ يَجْتَمِعْ أَيُّ يَوْمٍ
عَقْلٌ وَبِئْسَ خَالِ

(١) مجلة الدوحة، العدد ٧٨، يونيو ١٩٨٢م: ص ٣٩.

(٨)

أَيْنَ النَّارِ؟^(١)

[البسيط]

تسأل الناس، أين النار؟ قلتُ لَهُمْ:
في الأرضِ نارانِ؛ حرمانٌ وخِذلانٌ
وغير ذلكِ نارٌ لا أبوح بها
لنار سرٍّ كما للنارِ إعلانٌ

(١) من خط يد الشاعر.

(٩)

نظرة في الحياة^(١)

[مجزوء الكامل]

يا رحلَةَ الدنْيا تُرى
ماذا وراءِ في الترابِ
قصدي الرجوعُ إلى الثرى
تَوًّا لينكشفَ الحجاب

☆☆☆☆

بطنُّ التُّرابِ نعم وإنْ
جَارتُ أَحَنُّ من الحياهِ
بدليلِ أَنَّ الطُّفْلَ عَنُ
دَ الوَضْعِ يَغْرِفُ قول (آه)

☆☆☆☆

تَعَبُ التَّحَرُّكِ شاقني
جدًّا لراحاتِ السكونِ
لكنَّ دَيْنِي عاقني
عن أن أعودَ بها جنين

☆☆☆☆

(١) خمروجمر: ص ٣٩، ٤٠.

قد كان لي فيها ثوى
ورحلت في هذا الوجود
والمرء إن ملّ النوى
يشفق طبعاً أن يعود

(١٠)

الحياة^(١)

[المتقارب]

ليالٍ تَكُرُّ ودهرٌ يَمُرُّ
فيبدأ عُمْرٌ ويُقْضَى عُمْرٌ
تمرُّ سراعًا كَمَرِّ السحابِ
فَتَطْوِي الجسومَ وتُبْقِي الأثر
يُعْبَرُ عنها بلفظ الحياةِ
وما هي إلا خداعُ البشر
وليست سوى رَقَدَاتٍ لَنَا
تؤدي إلى رَقَدَاتٍ أُخْرُ
كَأَنَّ (ابنَ آدمَ) إن فاتها
أقام على الأرض (لمح البصر)
فُتِنَّا بها وانصرفنا لها
وليس ابنُ أنثى بها مُسْتَقِرٌّ

(١) محمد السيد شحاتة، ديوان شاعر البراري، الجزء الثاني، ط١، مطبعة عروس الزقازيق، مصر

١٩٢٩م: ص ٨٧، ٨٨.

هنالك (موْتُ) ينادي الفتى
رويدًا رويدًا فلن تنتظر
وإن يكُ هذا مُضِرًّا بنا
فإن الحياةَ لعمري أضُرُّ
حياةً همومٍ حياةً عنَّا
حياةً غرورٍ حياةً غَيْرُ
ركنًا إليها فلم تحمنا
غُررنا بها والأمانى تَغُرُّ
ومن عجبٍ أننا نلتهي
بزهرتها وورانا سفر
لقد بَسَمْتُ قَبْلُ لِلأُولَيْنِ
فلم تُغنِ عنهم ولم نعتبر
أُغارت عليهم جنود القضا
وبعض الأنعام لبعوضٍ عَبر
فدعني أذم الحياةَ بما
أذمُّ وليس عليَّ حذر
تداعبُ كلُّ فتًى مُدَّةً
وتفتنُّه بالأمى والحور
وتُسَلِّمُهُ بَعْدَ ذَا مُكْرَهًا
لبطش القضاء وفتك القدر

(قَوَاعِدُ نَحْوٍ بِهَا) (المبتدا)
يَبِيْتُ وَيَصْبِحُ بَعْدُ (خبر)
(وَمَبْنِيَّهَا) دَائِمًا (معرب)
وإِعْرَابُهُ بَيِّنَ (رَفْعٍ وَجَرٍّ)
فَيَا لَيْتَ (حَاوِؤُهَا) لَمْ تَلِدْ
وَهَفْوَةٌ (آدم) لَمْ تُغْتَفَرْ

(١١)

الأمل^(١)

[البسيط]

ما (الْخُرْدُ الْخَوْدُ) تَحْتَ الْحَلِيِّ وَالْحُلِّ
نَخَالُهُنَّ الْقَطَا زُوْدَنَّ بِالْكَحْلِ
ولا (المليحة) إِنْ مَاسَتْ مُفَاخِرَةً
غَصَنَ النَّقَا بِالْقَوَامِ النَّاعِمِ الْخَضِلِ
ولا (القيانُ) إِذَا غَنُّنَ مِنْ طَرَبٍ
(وَسَّعْتُ صَدْرِي فَضَاقَتْ فِي الْهَوَى سُبُلِي)
ولا (كووس الطلا) مِنْ كَفِّ غَانِيَةٍ
تَزِيدُ مَفْعُولَهَا بِالْأَعْيُنِ النَّجْلِ
ولا (الربيع) يَنَاجِي كُلَّ ذِي شَجَنِ
ابْتَسَمَ لِأَجَلِي فَإِنْ الزَّهْرُ يَبْتَسِمُ لِي
ولا (الصَّبَا) خَطَرْتُ فِي رَوْضَةٍ سَحَرًا
وَوَرَدْتُ وَجَنَاتِ الزَّهْرِ بِالْقُبُلِ
أَلَذُّ مَعْنَى وَلَا أَحْلَى مِمَّا زَجَّةُ
فِي نَفْسِ أَيِّ فِتْنَى مِنْ (بَارِقِ الْأَمَلِ)
قُطِبَ الْحَيَاةَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا انْتَضَمَتْ
وَلَا عَلَا رَجُلٌ يَوْمًا عَلَى رَجُلٍ

(١) ديوان شاعر البراري: ٢ / ٨٥ - ٨٧.

نور الفؤاد وراح الروح يبعثها
 ويستفز الفتى للجِدِّ والعملِ
 ما امتدَّ منه شعاعٌ فوق رأس فتى
 إلا رأى بعدُ أن الكفرَ في الكسلِ
 لولاه لم يعرف الإنسانَ قيمتهُ
 يوماً ولم يَدِرْ أيضاً قيمةَ الأجلِ
 الناس من غيره سيَّان عندهم
 تأخَّر الموتُ أو وافى على عجلِ
 لولاه لم يركب الأرباح ركبها
 يوماً ولا اجتاز مرءٍ أوعر السُّبُلِ
 لولاه ما غاص ماء البحر غائضهُ
 لولاه ما نَقَّبَ الإنسانُ في جبلِ
 لولاه ما ارتحلت قومٌ ولا هتفوا
 (العزُّ تحت رسوم الأنثى الذُّلِّ)^(١)
 يكلِّف المرءُ بالأخطار يركبها
 ويحتديه إلى التفكير والجِـلِ
 هو الحياة؛ وأحياناً نموت بهِ
 وكم رأينا ذباباً مات بالعسلِ

(١) عجز بيت صدره «رَضَى الذليل بخفض العيش مَسْكَنَةً»، والبيت لمؤيد الدين الحسين بن علي الطغرائي
 (٤٥٥ - ٥١٣هـ) من قصيدته الذائعة:

أصالة الرأي صانتني عن الخَطَلِ وحلية الفضل زانتني لدى العَطَلِ

المعروفة بلامية العجم، وكان قد قالها ببغداد سنة خمس وخمسمائة يشكو حاله وفيها:
 «تحت رسيم الأنثى».



(سَمُّ الْخِيَاطِ) مع الآمال (مُتَّسَعٌ)
و(الكون) من غيرها كالطَّاءِ في المقل
العيش من غيره كالروض لا ثمرٌ
فيه ولا زهرٌ يبدو لمقتبلِ
ليس اليتيمُ هو المفقود والدُّة
بَلِ اليتيمُ هو الخالي من الأمل
فابْعُدْ عن اليأسِ بُعْدَ المشرقين وَصِلْ
حبلَ الرَّجَا بحبال العيش: يتصل



(١٢)

الدهر^(١)

[البسيط]

هذا هو الدَّهْرُ لا إِلَّا ولا زِمَمَا
يرعى وليس يُبَالِي خَانَ أو ظَلَمَا
اضربْ بطَرْفِكَ في حلٍّ ومرتحلٍ
فهل ترى غيرَ شخصٍ يشتكي ألما
الأمُّهُ قُسِمَتْ والكلُّ ضاقَ بها
فكيف لو لم تكن بين الوري قِسَمَا
جافٍ وما ضرَّهُ لو كانَ ذا صلَّةٍ
قاسٍ وما ضرَّهُ لو أنه رَجِمَا
يسيءُ في الظهر إن سرَّ القلوبَ ضحَى
ويغتدى عابِئًا إن بات مبتسما
فلا تكلِّفْهُ حالًا غيرَ حائلةٍ
فلن يغيِّرَ طبعًا فيه أو شَبَمَا
مكلِّفُ الدهرِ ما تابى طبائعهُ
مكلِّفُ المرءِ بالإبصار بعد عمى

☆☆☆☆

(١) ديوان شاعر البراري: ٢ / ٨٤، ٨٥.

بَنُوهُ نَحْنُ وَيَجْفُونَا، وَكُلُّ أَبِي
يَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ مَا لَمْ يَفْطَحِ الرَّحْمَا
بَيْنَا الْفَتَى غَارِقٌ فِي بَحْرِ نِعْمَتِهِ
إِذَا بِهِ يَشْتَكِي جَوْعًا وَفَرْطَ ظَمَا
لَوْ مَسَّنَا مِنْهُ بَوْسٌ لَمْ يَحُلْ أَبَدًا
لَكَانَ أَسْهَلَ مِنْ أَنْ يَسْلُبَ النُّعْمَا
فَالْمَرْءُ مَا دَامَ مَرْزُوءًا بِصَحْتِهِ
مَنْ يَوْمَ تَكْوِينِهِ لَا يَسَاءُ السَّقْمَا
نِظَامُهُ عَجَبٌ يُعْطَى وَلَا طَلِبُ
وَإِنْ تَطَلَّبَ مِنْهُ .. لَمْ يَقُلْ نَعْمَا
وَلَا يَسَالِمُ إِلَّا مَنْ يَحَارِبُهُ
أَمَّا الَّذِي سَالَمَ الْأَيَّامَ مَا سَلِمَا
وَقَدْ يُوْخِرُ مِنَّا عَالَمًا فَطِنًا
وَقَدْ يَقْدَمُ مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّمْمَا
كَمْ مِنْ فَلَاسِفَةٍ يَا صَاحَ مَا سَعَدُوا
وَلَا حَمَى الدَّهْرُ مِنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ جَمَى
بِالرَّغْمِ مَنْ أَنْ كَلًّا قَدْ غَدَا عَلَمًا
تَجَاهَلُ الدَّهْرُ عَنْهُمْ كُلُّ مَا عَلِمَا
وَيَلِي عَلَيْهِمْ - وَيَلِي غَيْرُ مَجْدِيَّةٍ -
جَدُّوا وَأَدُّوا إِلَى أَبْنَائِهِ خِدْمَا
وَأَحْوَجَتْهُمْ لِيَالِيهِ لَشَرِذِمَةٌ
لَمْ يَصْلَحُوا لِيَكُونُوا عَنْدهُمْ خِدْمَا



في (سَيَبَوِيهِ) وفي أمثاله مَثَلٌ
لقسوة الدهر يستبكي العيون دما
يَعَضُّ من شاء من أهل النبوغ ولا
يَعَضُّ من بعد هذا كَفَّه ندما
من ذا يفاضبُهُ من ذا يعاتبُهُ
ويا ترى عتبه قد حَلَّ أم حَرَمًا



لو أنها نُظِمَ قد سنَّها بشرٌ
كنَّا انتقدنا جميعًا هذه النُّظما
لكنها غَيْرُ في طَيِّها عِبرٌ
وكلُّ حُكْمٍ الليالي لم يزلْ حِكْمًا



(١٣)

الابتسامة المؤلمة^(١)

[مجزوء الكامل]

كُلُّ ابْتِسَامٍ قَدْ حَلَا
فِي نَفْسِ شَرْذِمَةٍ^(٢) وَطَابُ
فَالْبَعْضُ يَنْعَشُهُ (ابْتِسَا
مُ الشَّمْسِ) عَنْ ذَهَبٍ مُذَابُ
وَالْبَعْضُ يَنْعَشُهُ (ابْتِسَا
مُ الزَّهْرِ) نَقْطَةُ السَّحَابِ
وَالْبَعْضُ يَنْعَشُهُ (ابْتِسَا
مُ الْكَأْسِ) لَيْلاً عَنْ حَبَابِ
وَالْبَعْضُ يَنْعَشُهُ (ابْتِسَا
مُ الثُّغْرِ) مِنْ ذَاتِ النَّقَابِ

☆☆☆☆

وَالْكُلُّ يَوْلُمُهُ (ابْتِسَا
مُ الشَّعْرِ) فِي لَيْلِ الشَّبَابِ
هَذَا ابْتِسَامٌ يَا أَخِي
مَعْنَاهُ طَوْلُ الْإِنْتِحَابِ

(١) ديوان شاعر البراري: ٩٨/٢.

(٢) الشَّرْذِمَةُ: الجماعة من الناس.

هو مؤلمٌ مع أنَّه
يَهْدِي إلى نهج الصَّواب
إنَّ لَاحَ سَدًّا على الفتى
طَرَقَ الصَّبَابَةُ والتَّصَابُ
يُمَسِّي يَنَادِي رَبَّهُ^(١)
كُنْ مُسْتَعِدًّا لِلزَّهَابِ
والمَرءُ يُولِّهِ البِغَا
دُ وَلَوْ تَعَلَّلَ بِاقْتِرَابِ
نَاهِيكَ بِالسَّفَرِ الَّذِي
مَا بَعْدَهُ أَبَدًا إِيَابِ

(١) ربه: صاحبه.

(١٤)

الإنسان^(١)

[الكامل]

الله أكبر «نطفة أمشاجا»
درجت فصارت «كائنا نساجا»
هذا هو الإنسان، يُنجي نفسه
«نفقا»، وينجي نفسه «معراجا»
ويعيش فوق الأرض، إما «مظلما»
كدرًا، وإما «نييرًا» وهاجا
وتراه في الدنيا «سرابًا» ساربا
وتراه فيها منبعا ثجاجا
إن شاء كان هواه منهاجا له
أو شاء كان له الهدى منهاجا
يعمى، ويكفى بالعمى «كفنا» له
ويرى، ويكفى بالبصيرة تاجا
فإذا انقضت أيام دنياه انطوى
جسما، وظل أمامنا إنتاجا
سبحان من سوءه إنسانا، وفح
صل ملكه سبلا له وفجاجا

(١) من خط يد الشاعر.

(١٥)

اجتياز^(١)

[مجزوء الكامل]

وتركتُ جسمي مطلقاً	بين الورى وسجنتُ نفسي
اجتزتُ أنواعَ الظُّلَا	ل مُذَكِّراً يومي بأمس
وحصرتُ كلَّ قوای في	بحثي وتنقيبي ودرسي
وجدتني في وحدةٍ	فشربتُ وحدي كلَّ كأسٍ
ولبستُ فوق ملابسي	شيئاً أفدُهُ من التأسّي
ووقفتُ وحدي أسألُ الـ	أيامَ أين يكون رمُسي؟
سيكون إمّا تحت أقـ	دامي، وإمّا فوق رأسي
لي ههنا غرسٌ، ويؤ	م أموت أدخلُ ظلَّ غرسٍ

(١) من خط يد الشاعر.

(١٦)

على استطاعه^(١)

[مجزوء الكامل]

المراء طيرٌ سابحٌ	في الكائناتِ على استطاعه
طيرٌ له أفقانِ مُمـ	تَدَانٍ؛ معصيةٌ، وطاعه
طيرٌ يعيش على الشرا	هه، أو يعيش على القناعه
ويغادر الدنيا على	زادٍ مُغْذٍ، أو «مجاعه»
أُخْرَاه من دنياه، وألـ	مَحْصُودٌ من نوع الزراعه

(١) من خط يد الشاعر.

مع المجتمع

(١٧)

تزوج^(١)

[البسيط]

إِنْ تَغْنِ عَنْهَا فَمَا لِلْبَيْتِ إِغْنَاءُ
الْبَيْتُ مِنْ غَيْرِهَا صَحْرَاءُ قَفْرَاءُ
وَكَيْفَ يَغْنَى الْفَتَى عَنْهَا وَقَدْ خُلِقَتْ
لَهُ وَبَيْنَ كَلَا النُّوعَيْنِ أَشْيَاءُ
لَا تَظْفِرُ الْعَيْنُ لَوْلَاهَا بِقُرَّتِهَا
وَقِرَّةُ الْعَيْنِ أَحْفَادُ وَأَبْنَاءُ
تُدَبِّرُ الْأَمْرَ؛ أَمَرَ الْبَيْتِ قَادِرَةٌ
وَلِلنِّسَاءِ تَدَابِيرُ وَأَرَاءُ
صَدِيقَةٌ لَكَ فِي جِلٍّ وَمَرْتَحِلٍ
تَصُونُ وَذَكَ إِنْ خَانَتْ أَخْلَاءُ
الْوُدَّ وَالْعُطْفَ وَالْإِخْلَاصَ أَجْمَعُ
هِيَ الْمَعَانِي لَهُ وَالْغَيْرَ أَسْمَاءُ
إِذَا مَرَضَتْ تَبِيتُ اللَّيْلَ سَاهِرَةٌ
وَالْقَلْبُ فِي الصَّدْرِ رَوَّاحٌ وَغَدَّاءُ
تَبِيتَ هَائِجَةً الْبَلْبَالَ وَالْهَةَ
كَأَنَّ دَاكَ فِي أَحْشَائِهَا دَاءُ

☆☆☆☆

(١) ديوان شاعر البراري: ٣٩ / ٢، ٤٠.

يا حُسْنَهَا (روضةً) في البيت شاملةً
فيها (الثَّمارُ) وفيها (الظلُّ والماءُ)
لا ينعم البالُ إلا في جوانبِها
ولا يطيبُ لطرفِ المرءِ إغفاء
وكيف يبلغُ أنْسُ المرءِ غايَتَهُ
ما لم يكنْ في يمينِ المرءِ حسناء
أبوكَ (أدمُ) لم يأنسْ (بجنَّتِهِ)
حتى بدت جنبُهُ في الخلدِ (حواءُ)

(١٨)

الزواج في البراري

غلاء المهر، والمماطلة

«قصة»^(١)

[الخفيف]

هَيِّمْتُهُ بِحَبِّهَا فَاسْتَهَامَا
لَمْ يَخَفْ فِي الْهِيَامِ يَوْمًا مَلَامَا
كُلَّمَا لِيَمَ فِي الصَّبَابَةِ يَوْمًا
زَادَهُ الْلَوْمُ صَبُوءً وَهَيَامَا

(١) ديوان شاعر البراري: ٥١/٢ - ٥٥. وقد أشار الشاعر في ختام هذه القصيدة إلى أن أحداث قصتها حقيقية، وأنها وقعت في المدة من سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٢٦ م. والقصيدة ثالثة أربع قصائد جمعهن عنوان «الزواج في البراري.. غلاء المهر والمماطلة».

أولها:

يا ساكني (الْدُنْ) هل أنتم مُلْمُونَا
بحالة عندنا في الريف تؤذينا؟
(غلاء مهرٍ وَمَطْلٍ) قد أباحهما
جهلٌ (تَفَشَّى) على طول المدى فينا

ديوان شاعر البراري: ٢٦/١، ٢٧

وثنتاها:

يا طيورًا في «ربا الريف» تطيرُ
صاحبات بين ماء وزهورٍ
اتركي التغريد في زهر الربا
واندبي حظ «أزاهير الخدور»

ديوان شاعر البراري: ٣٥/٢، ٣٦

ورابعتها:

صَرَخْتُ جَهْدِي بِوَادٍ
فيه العيوب بوادٍ
فلم يزد هم صراخي
يا صاح غير تمارٍ

ديوان شاعر البراري: ٦٤/٢، ٦٥

قد أتاه الهوى وكان فتياً
فتمنى أن لو يعود غلاماً

☆☆☆☆

خطبوها له فحدَّ (أبوها)
لهم المهرَ جائراً ظلاماً
خطبةً بعدها خُطوبٌ جسامٌ
والهوى يَحْقِرُ الخطوبَ الجساما
كان هذا الفتى فقيراً ولكن
كان حُرّاً إلى العُلا قواماً
قسَمَ النَّفْسَ بين وَجِدٍ وَجِدٍّ
كم نفوسٍ تعودتُ الانقساماً
واستمرَّ الفتى على ذا وهذا
في ليالٍ يخالُّها أعواماً
كلما يذكرُ (الصَّدَاقَ) وما لا
بُدَّ منه، يرى الضَّياءَ ظلاماً
مرَّ عامٌ وما تمكَّنَ فيه
من صَدَاقٍ لها فعافَ المقاماً
رفع الطَّرْفَ للسماءِ وسالتُ
عَبْرَتَاهُ على الخدودِ انسجاماً
تَرْكُهُ أَهْلَهُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ
وعَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يُسْتَخَاماً
خَيَّرَ النَّفْسَ بين هذا وهذا
وأخيراً خَلَّى العَشِيرَ وقاماً

واضطرارُ الفتى لأمرٍ خطيرٍ
خَيْرُ شَيْءٍ يُعْلَمُ الإقداما

☆☆☆☆

لا تسلني عن حاله في نواه
وصف ذا الحال يُعجزُ الأقلاما
فرُّ من بؤسِه فكان كَمَنْ فَا
رَقَّ لَيْثًا فَقَابِلَ الضَّرْعَامَا
سوءُ حالٍ، وغُرْبَةٌ، وغرامٌ
وعناءٌ، يَزِيدُ أَلَامَا
ألمته الحَيَاةُ وهو مقيمٌ
ثم زادتْهُ في النُّوى إيلاما
هكذا ظلَّ في شقاءٍ وهونٍ
لم يجدْ مِنْ زَمَانِهِ إكراما

☆☆☆☆

ثمَّ لَمَّا أَرَادَ رَبُّكَ فَتْحًا
الفتى سَهَّلَ الْأُمُورَ الْعِظَامَا
مَكَّنَتْهُ الظُّرُوفُ مِنْ جَمْعِ مَالٍ
فِي لَيْالٍ وَكَانَ مَالًا جِسَامَا
عاد نحو الجَمَى بِثَغْرِ ضُحُوكٍ
لم يُعوِّدْ فِيمَا مَضَى الْإِبْتِسَامَا
قابل الأهلَ والرِّفاقَ وَقَرَّتْ
عَيْنُهُ غِبْطَةً وَلَذَّ الْمَقَامَا
وانتهى الأمرُ (بالقران) على أن
يُمَهِّلَ (الرَّوْجَ صِهْرَهُ) أَيَّامَا

☆☆☆☆

عُقِدَ العَقْدُ، والفتى ليس يدري
عُقِدَ العَقْدُ يَقْظَةً أَمْ مَنَامًا
لَمْ يَصُورْ كَيْفَ اسْتِرَاحَ وَلَا كَيْفَ
فَ اللَّيَالِي أَصَحَّتِ الْأَحْلَامَا
هَدَأَتْ نَفْسُهُ وَرَا^(١) العَقْدَ طَبْعًا
وَاسْتَبَاحَ الْمَنَامَ بَعْدُ وَنَامَا
نَامَ عَنْهَا وَصَهْرُهُ نَامَ عَنْهُ
لَمْ يَجْهَزْ وَلَمْ يَقْدِرْ كَلَامَا
مَرَّ شَهْرٌ، وَمَرَّ شَهْرٌ، وَشَهْرٌ
وَالْفَتَى سَاكِتٌ حَيًّا وَاحْتِشَامًا
ظَنَّ لِلْمَطَلِ أَشْهَرًا تَتَقَضَّى
فَاسْتَمَرَ الْمِطَالُ عَامًا وَعَامًا
مَدَّةً كَرِهَتْ إِلَيْهِ (أَبَاهَا)
وَاسْتَحَالَ الْوَفَاقُ فِيهَا خَصَامًا
لَمْ يَكُنْ ثُمَّ مُوجِبٌ لِمَطَالٍ
لَيْتَ شَعْرِي هَذَا الْمَطَالُ عِلَامًا؟!
(عَادَةُ) بَيْنَهُمْ تَفَشَّشَتْ وَبَنُوسَتْ
عَادَةُ تَسْلُبُ الْقُلُوبَ الْوَنَامَا

☆☆☆☆

قَدْ سَعَى جَهْدَهُ فَلَمْ يَخْشَ ذَمًّا
صَهْرُهُ، لَا وَلَمْ يُرَاعِ زِمَامَا
ثُمَّ لَمَّا رَأَى الْمَطَالُ دَوَامًا
لَزِمَ الصَّمْتَ وَالسَّكُوتَ دَوَامَا

(١) ورا: وراء سهلت الهمزة إيقاعًا.



وَهُنَا أَهْلُهُ أَشَارُوا عَلَيْهِ
يَرْفَعُ الْأَمْرَ لِلْقَضَاءِ احْتِكَامًا
فِكْرَةً تَضُمُّ النِّجَاحَ وَلَكِنْ
قَدْ أَبَاهَا تَأَدُّبًا واحترامًا
ضَاقَ ذَرْعًا وَلَمْ يَمِلْ لِشُرُورِ
كَتَمِ الْغَيْظِ فَاسْتَحَالَ سَقَامًا
وَالنَّفُوسُ الْكَرَامُ تَشْقَى كَثِيرًا
إِنْ تَمَشَّتْ مَعَ اللَّئَامِ كَرَامًا



قَابِلِ السَّقَمِ بِالْقَبُولِ وَمَاذَا
كَانَ يُجْدِي لَوْ عَاتَبَ الْأَيَّامَا
لَمْ يَزَلْ هَكَذَا يُكَابِدُ سَقَمًا
وَيَعَانِي صِبَابَةً وَعُغْرَامَا
وَاللِّيَالِي تُدْنِي الْمَنَايَا إِلَيْهِ
كُلُّ يَوْمٍ حَتَّى مَثُلْنَ أَمَامَا
جَاءَ يَوْمٌ مَذْمُومٌ بَدَلًا مِنْ
أَنْ يَرْفَ (العُرُوسَ): زَفَّ الْجَمَامَا
فَاضَتْ الرُّوحُ نَحْوَ عَرْشِ (إِلَهِ)
يَجِدُ الْمَطْلَ فِي الزَّوْجِ حَرَامَا
فَاضَتْ الرُّوحُ تَشْتَكِي مِنْ مَطَالِ
صَارَ فَرْضًا عَلَى (الْبَرَارِي) لِيَامَا



لَيْتَ (رَيْبَ الْمَنُونِ) عَنْهُ تَعَامَى
مِثْلَمَا (صَهْرُهُ) الْغَشُومُ تَعَامَى



قد قضى نَحْبَهُ ولم يقضِ بعضًا
من مُنَاهُ ولم يُنَوَّل مرامًا
قبل أن يحتسي (لها) هنيئًا
شَرِبَ (الموت) يا أُخَيَّ زؤامًا
وسَّدُوهُ الثرى صبورًا شكورًا
ذائبَ القلبِ وإِلْهًا مُستهامًا
بَلَلْتُ رَحْمَةً إِلَهٍ ثَرَاهُ
وتَلَقَّى تحيةً وسلامًا

(١٩)

في الريف^(١)

[البسيط]

يا رُبَّ «ريحانة» في الريف ناضرة
قد أَتَقَنَّتْهَا يَدُ الْخَلَّاقِ إِتْقَانَا
فَتَّانَةِ الْحُسْنِ لَمْ تَعْرِفْ مَرَاوَعَةً
راقتُ جمالاً ورَّقْتُ بعدُ وجْدانا
قد استعارت من البستان وَجَنَّتْهَا
ثم استعارت من الغزلان أَجْفَانَا
لكنْ لفقر أبيها أو بساطتِه
مَرُّوا على دارها ضُمًّا وعميانا

☆☆☆☆

وَرُبَّ (زُرْبِيحَةٍ)^(٢) صفراء ذابلة
تسابقوا نحوها شيبًا وشبَّانَا
لأنها بنتُ (ذي الوَرْدِ) المُسَدِّدِ^(٣)، أو
لأن تحت اسمها (عشرينَ فدَّانا)
يا دهرُ لا تُنْبِتِ الرِّيحانَ في بلد
فيه الغِنَى يَجْعَلُ (الزَّرْبِيحَ) رِيحَانَا

(١) خمر وجمر: ص ٣٢، ٣٣.

(٢) الزربيح: صنف من النباتات البرية، له أنواع كثيرة، كان ذا دلالة تمثيلية شائعة - في الريف المصري،
أواسط القرن العشرين، على ما ليس له نفع أو فائدة أو جمال.

(٣) يقصد بالورد المسدد: الإيراد المدفوع، أو العائد الشهري، وهو الربيع الدوري الذي تدره الأملاك.

(٢٠)

الذرية^(١)

[الوافر]

تعالى الله، كم في القوم «مُنْثَرٍ»
لواعج صدره حَرَى أَلِيمَهُ
له نِعَمٌ مِنَ الْأَيَّامِ كُثُرٌ
وينقُصُهُ «نَعِيمٌ» أو «نَعِيمَهُ»
تمنَّاهُ ولو أَعْمَى دَمِيمًا
وأَمَّلَهَا ولو عَمِيَا دَمِيمَهُ
جمالُ المالِ يُكسِبُهَا جَمَالًا
وَحُسْنَ الحَالِ يَجْعَلُهَا وَسِيمَهُ
يَخَافُ عَلَى ضِيَاعٍ مِنْ ضِيَاعٍ
ودنْيَاهُ بِهِ لَيْسَتْ رَحِيمَهُ
وَكَمْ مِنْ مُعَسِّرٍ كَثُرَتْ بَنُوهُ
فَمَلَّ حَيَاةَ «فَهْمِي» أو «فَهِيمَهُ»
رَأَاهَا زَهْرَةً لَكِنْ جَذْبًا
تَنَاوَلَهَا فَصَيَّرَهَا سَقِيمَهُ
وَكَيْفَ يَسْرُهُ يَا صَاحِبَ نَسْلٍ
مَقِيمٌ فِي كَابِتِهِ الْمَقِيمَهُ
غَلَامٌ جَيِّبٌ وَالِدُهُ عَلِيلٌ
قَدَّى فِي عَيْنِ وَالِدِهِ السَّلِيمَهُ

(١) خمر وجمر: ص ٢٩.

وَبِنْتُ «دَفْتَرُ التَّحْضِيرِ»^(١) خِذْنِ
لِوَالِدِهَا هِيَ «الْبِنْتُ الْيَتِيمَةُ»
فَمَا يُتِمَّتْ فَتَاةٌ مَاتَ عَنْهَا
أَبٌ - مَا دَامَ عَيْشَتُهَا كَرِيمَةً
بَلِ التَّيْتِ تَيْمٌ فِي الدُّنْيَا لَمْ
تَنْلُ قَدْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَقِيمَةً
وَمَنْ «يُعْقَمُ لَهُ حُظٌّ» فَأُولَى
«لِزَوْجَتِهِ» بَأْنُ تُمَسِّي «عَقِيمَةً»

(١) دفتر التحضير: كراس إعداد الدروس الذي كان، ولا يزال، واجباً على كل مدرس أن يبالغ في الاعتناء به إرضاء لرؤسائه.

(٢١)

في شمال الوادي^(١)

[مجزوء الكامل]

لَبِيسَ الْجِمَارِ هُنَا «الْخِمَار»
وَتَكشَّفَتْ لَيْلَى جَهَارًا
بِالْأَمْسِ كَانَ نَهَارُهَا
لَيْلًا يَوَارِيهَا وَقَارًا
وَالْيَوْمَ وَاسْفَاهُ أُمُّ—
سَى لَيْلُهَا الدَّاجِي نَهَارًا
أَوْ هَكَذَا تَغْرَى هُنَا
وَتَخْرِجُ حِشْمَتُهَا انْهِيَارًا

☆☆☆☆

يَا رَيْفُ، يَا مَنْ كُنْتُ قَبْـ
لَ الْيَوْمِ لَلْآدَابِ دَارًا
إِنَّ التِّي «عَرِيْتُ» أَمَّا
مَكَ سَوْفَ تَلْبِسُ فَيْكَ نَارًا

(١) من خط يد الشاعر.

(٢٢)

فتاة الريف في الصباح^(١)

[مجزوء الوافر]

صَحَتْ مِنْ نَوْمِهَا الْهَادِيَّ
وَعَيْنُ الشَّمْسِ نَعْسَانَةٌ^(٢)
وَحَيَّتْ يَوْمَهَا الْبَادِيَّ^(٣)
بـروحٍ جَدُّ فَرَحَانَةٍ
وراحـتٍ تَمَلَأُ الْجَرَّةَ

☆☆☆☆

دنت من شاطئ النهر
فحيَّتهُ وحيَّها

(١) خمر وجمر: ص ١٠ - ١٢. وقد نشر إسماعيل الصيفي لشاعر البراري تحت عنوان «فتاة الريف». خمسة فحسب من مقاطع هذه القصيدة العشرة باختلاف في رواية بعض ألفاظها؛ الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٢٩٤، ٢٩٥؛ نقلاً عن ديوان «وحي البراري».

(٢) علق إسماعيل الصيفي على لفظة العروض/ القافية في البيت الأول بقوله: «نعسانة: اسم فتاة وليست صفة، لأن الصفة نعسي».

وفي نظري أن المعنى لا يستقيم على هذا التأويل، فإذا كان لفظ «نعسانة» اسم علم على الفتاة التي استيقظت من نومها فإن المركب الإضافي «عين الشمس» يبقى بلا دلالة ولا فائدة إذ لا خبر له؛ والأولى في ظني أن يكون لفظ «نعسانة» خبراً لعين الشمس؛ دون النظر إلى البنية الصرفية للفظ وتوجيهها الصياغي الذي انشغل به الصيفي؛ إذ من الواضح أن الشاعر قصد الصياغة العامية الدارجة وهو كثيراً ما يفعل ذلك وهو ظاهر بشدة في هذه القصيدة.

(٣) في الديوان الكبير «يومها الهائي».

تَحَايَا الطُّهْرَ لِلطُّهْرِ
لَهَا فِي النَفْسِ مَعْنَاهَا
وَنَجَوَى الْحُرِّ لِلْحُرَّةِ^(١)

☆☆☆☆

تَمَدُّ إِلَيْهِ كَفُّيْهَا
كَأَنَّ جَاءَتْهُ مِلَّتَاعَهُ
وَتُحْنِي خَيْرَ نَصْفِيهَا
مِبْرَهْنَةً عَلَى الطَّاعَةِ
وَتَفْعَلُهُ سَوَى مَرَّةِ^(٢)

☆☆☆☆

وَفِي أَثْنَاءِ هَذَيْنِ
تُطِلُّ الشَّمْسُ كَالصَّبِّ
مُصَفَّرَةً مِنَ الْبَيْنِ
تَمَرَّقُ سِتْرَهَا (الْبِمْبِي)^(٣)
فَتَلْمَحُهَا عَلَى غِرَّةِ^(٤)

☆☆☆☆

فَتَهْتَفُ إِلَيْهِ يَا بَحْرِي
نَقَضْتَ الْعَهْدَ بِالْأَمْسِ

(١) رواية المقطع في الديوان الكبير:

دنت من سلسل النهر فحيته وحيّاها
وغنى الطير للطهر جلياً في محيّاها
وحيئت فطرّة فطرّة

(٢) المقطع غير موجود في الديوان الكبير.

(٣) البمبي: لفظة عامية تدل على لون زاه يعرف باللون الوردية.

(٤) المقطع غير موجود في الديوان الكبير.



وَبِتَّ مُسَامِرًا غَيْرِي
فِيهِتَفِ إِلَيْهِ يَا شَمْسِي
(أَنَا وَاخُذَكَ عَلَى ضُرِّهِ)^(١)



هَنَا تَتَمَثَّلُ الْغَيْرُ^(٢)
لِشَّمْسِ الْأَفَقِّ فِي الْمَطْلَعِ
وَلَوْلَا الشَّمْسُ مَأْمُورُهُ
لَكَانَتْ عِنْدَ ذَا تَرْجَعُ
فَمَا حَمَلَتْ سَوَى نَظَرِهِ^(٣)



وَأَمَّا أَخْتُهَا «لَيْلَى»
مَلَاكُ الطُّهْرِ فِي الْبَلَدِ
فَتَرْجَعُ بَعْدَ أَنْ تَمَلَا
وَتُودِعُ سِرَّهَا عِنْدَهُ
وَيُودِعُ عِنْدَهَا سِرَّهُ^(٤)



فَوَادُّ كُأُلُهُ أَمَلُ
عَوَاطِفُ كُلِّهَا عَفَّةُ

(١) واخذك على ضره: صياغة عامية تشير إلى الزواج الثاني والمقطع غير موجود في الديوان الكبير.
(٢) في لفظ الغيره شيء من التباين الإيقاعي مقارنة بلفظ مأمورة، حيث تفتقد القافية قدرًا من طاقاتها الإيقاعية نتيجة انعدام التجانس بين الياء والحركة السابقة عليها في (الغيرة) بوصفها حرف لين، وإن جوز بعض العروضيين استعمالها ردفًا، مع وجود هذا التجانس بين الواو والحركة السابقة عليها في (مأمورة) بوصفها حرف مد.

(٣) المقطع غير موجود في الديوان الكبير.

(٤) المقطع غير موجود في الديوان الكبير.



جفونٌ كلُّها ثِقَلُ
قوامٌ كلُّه خَفَقُه
وليست بعدُ مغترَّة

☆☆☆☆

نسيمُ البحرِ قوَّاهَا
وصيّرَ جسمَها غَضًا
وجوُّ الريفِ حَلَّاهَا
وورَّدَ خَدَّها أَيْضًا
فصار كأنَّه جَمْرَةٌ^(١)

☆☆☆☆

جمالٌ لا تنافِيه
بهاءٌ لا ينافِيها
صفاءٌ أفرغَتْ فيه
نشاطٌ قال أكْفِيها
جميعَ اليومِ مَع «بُكْرَةٍ»^(٢)

(١) المقطع غير موجود في الديوان الكبير.

(٢) بكرة: لفظة عامية مصرية تعني غداً. ورواية المقطع في الديوان الكبير:

رجاءٌ لا تنافِيه وفاءٌ لا ينافِيها
بهاءٌ أفرغت فيه صفاءٌ مفرغ فيها
برغم العيشة المُرَّة

(٢٣)

عهد الطفولة في الريف^(١)

[الكامل]

هل تذكرين ونحن نجمانِ
متألئنانِ بمطلع القرية
إن يلتقي في الحَيِّ غُصنانِ
يتعانقان بمعزل الفريه^(٢)

☆☆☆☆

غصنان لا يُثنِيهما ثان^(٣)
يتساقيان عناية الله
وجنى السعادة منهما دانِ
وكلاهما بزميل له

☆☆☆☆

هل تذكرين ملاعب (الآل)
في الجرن^(٤) مرَّات، وفي السطح
كانت رموز منِّي وأمالِ
ونماذجاً للخسر والريح^(٥)

☆☆☆☆

(١) خمر وجمر: ص ١٥ - ١٧. ونشر إسماعيل الصيفي لشاعر البراري تحت عنوان «الطفولة الريفية»

تسعة مربعات فقط من مربعات هذه القصيدة الأربعة عشر باختلاف في رواية بعض ألفاظها: الديوان

الكبير لشاعر البراري: ٣٣٣، ٣٣٤؛ نقلاً عن ديوان «وحي البراري».

(٢) المربع غير موجود في الديوان الكبير.

(٣) رواية الشطر في الديوان الكبير: «هل تذكرين ونحن غصنان».

(٤) الجرن: فناء تجميع المحاصيل.

(٥) المربع غير موجود في الديوان الكبير.



هل تذكرين ونحن في المكتب^(١)
 وجلوسنا في مقعدٍ واحدٍ
 نُملي هوانا^(٢) والصَّبَا يَكْتُبُ
 في حين لا واشٍ ولا حاسدٍ
 ☆☆☆☆

«تَبَّتْ يَدَا» كُنَّا نَكْرُرُهَا
 لم نَذِرْ ما «حَمَّالَةُ الحَطَبِ»
 حتى تَوَلَّانَا تَطَوَّرُهَا
 فإذا الهوى فينا «أَبُولَهْبِ»^(٣)
 ☆☆☆☆

هل تذكرين البَيْضَ والسَّمْنَ
 نُهْدِيهِمَا لِفَقِيهِنَا صُبْحًا
 فنكون في حلٍّ إذا نَمْنَا
 وكذلك إن لم نحفظِ اللوحا
 ☆☆☆☆

قالوا «جَرِيدَتُهُ»^(٤) من الجنَّةِ
 ما بَالُ لو كانت من النارِ
 في حَدِّهَا لِيَنْ سِوَى أُنْثَى
 يفري الجلودَ كحدٍّ منشارٍ^(٥)
 ☆☆☆☆

(١) المكتب: كتاب القرية، حيث كان الأطفال يحفظون ما تيسر من القرآن الكريم، ويتعلمون مبادئ القراءة والكتابة.

(٢) في الديوان الكبير: «نملي التَّصَابِي».

(٣) إشارة إلى سورة المسد.

(٤) إشارة إلى جريدة الفقيه؛ وهو معلم الصبية ومحفظهم القرآن في كتاب القرية، وغالبًا ما يُنادى بلفظ «سَيِّدنا». والجريدة هي عصاه التي يؤدب بها صبيته إن أخطأوا، ويتكأ عليها إن كان مكفوفًا، وهو الأغلب؛ وسميت جريدة لأنها في الأكثر تتخذ من جريد النخل.

(٥) رواية البيت في الديوان الكبير:

تهتز للأطفال كالجنَّةِ وكئنَّ فيها حدٌّ منشارٍ



هل تذكرين نزولنا الجدول
لنسابق الوِزَاتِ والبَطَّاء^(١)
يرسمن خطأ مِ المنى أطول
فنروح نشطب ذلك الخطأ^(٢)

☆☆☆☆

وكأننا في ذلك اللُّغز
«مَلَكَان» قد رُفَا على «الكوثر»
وكان سرب البَطِّ والوِزَّ
«حور الجنان» تشاهد المنظر^(٣)

☆☆☆☆

هل تذكرين طلوعنا الشجرًا
مُتَهَافِتَيْنِ على جنى التُّوتِ
وكاننا إذ نلقط الثمرًا
«كتكوتة» في جنب «كتكوت»^(٤)

☆☆☆☆

لم نَقْطِطْهُ لَطْعِمِهِ العسلي
بل كان ثُمَّتَ رغبةً أخرى
كان المرادُ ومنتهى الأملِ
تخضيبنا اليمنى أو اليسرى^(٥)

☆☆☆☆

(١) الوز (الأوز) والبَط: من طيور الريف الداجنة.

(٢) رواية البيت في الديوان الكبير:

يرسمن خطأ لا نرى أطول منه فنمحو ذلك الخطأ

(٣) رواية المربع في الديوان الكبير:

وَكأننا مِنْ وَفَرَةِ الطُّهْر مَلَكَانِ يعتنقانِ في الكوثر

وكان سرب الطير في النهر حور الجنان تشاهد المنظر

(٤) الكتكوت: فرخ الدجاج بالعامية المصرية والمربع غير موجود في الديوان الكبير.

(٥) المربع غير موجود في الديوان الكبير.

كيما نغالط صبيةً الحارّة
ونقول كُنَّا أَمْسٍ فِي الْعَرَسِ
نزهو، وإن النفس أَمَّارَةٌ
بالزهو، فهو رغبة النفس^(١)



هل تذكرين ونحن في الغَيْطِ^(٢)
والزهر فيه باسم السَّنِّ^(٣)
تضعين منه موضع «الْقُرْطِ»
وأنا أُعَلِّقُ منه في ذقني^(٤)



لَعِبُّ وَكَانَ الْجَدُّ مَضْمُونَهُ
رمزُ لَعْمُرِي يُدهش اللَّبَّاءَ
تستعجلين ليالي «الزينة»
و«محمد» يستعجل «الشئباً»^(٥)



(١) المربع غير موجود في الديوان الكبير.
(٢) الغيط: الحقل في لغة أهل الريف بمصر.
(٣) في الديوان الكبير: «والزهر فيه زاهر اللون».
(٤) في الديوان الكبير: «وأنا أُعَلِّقُهُ عَلَى ذَقْنِي».
(٥) يقصد الشاعر نفسه.

(٢٤)

الفلاح المصري^(١)

[الرمل]

مَلِكُ فِي (الْحَقْلِ) مِيْمُونُ الْخُطَا
(نَثْرَاتُ التَّبْرِ) فِي أَعْقَابِهِ
سَنَبَلَاتُ الْقَمْحِ مِنْ (خُرَاسِهِ)
وَعِيُونُ الزَّهْرِ مِنْ حُجَابِهِ
مَلِكُ فِي حَقْلِهِ يَمْشِي عَلَى
بُسْطِ خَضِرَاءٍ مِنْ أَعْشَابِهِ
بُسْطُ لَيْسَتْ بِنَسْجِ الْمَرْءِ بَلْ
نَسَجَتْهَا ثُمَّ أَيْدِي رَبِّهِ
يَتَتَنَّى الزَّرْعَ إِجْلَالاً لَهُ
طَائِعاً فِي بُعْدِهِ أَوْ قُرْبِهِ
كُلَّمَا (تَبَكَّى السَّمَاءُ) مِنْ فَوْقِهِ
(تَضَحَّكَ الْأَزْهَارُ) إِعْجَاباً بِهِ
إِذْ رَأَى فِي الْحَقْلِ (جِزْءاً مُهْمَلًا)
يَأْمُرُ (الْمِخْرَاتُ) بِاسْتِجَابِهِ

☆☆☆☆

(١) ديوان شاعر البراري: ٤٤ / ٢ - ٤٦. والنص منشور بجريدة الوفاق عدد ٦٠، يوليو ١٩٢٩م.

وقفهُ (الفلاح في مزرعة)
وقفهُ (العابد في محرابه)
سألوا (المحراث والفأس) معاً
كم محا إجهادُهُ من (ذنبه)
وأسألوا (الأطيار) كم تدعوله
عندما تملأ الحشأ من (حبّه)
(تعب) الفلاح يجنيه الورى
إنسُهُ مع طيره مع ذنبه
بينما (العابد) في مسجده
وحده يجني جنى أتعابه
فاتركوا العابد في خلوته
واطلبوا (الدعوات)^(١) في أعتابه

☆☆☆☆

مُنْجِزٌ لِّلَّهِ مَا أَوْصَى بِهِ
سالمَ الجسم وفي أوصابه
قانع بالقوت بئنا غيره
يجمع الدنيا هنا في جيبه
بليت من فقره أثوابه
ولباس الجد من أثوابه
حقه في مصر مسلوب - وفي
مصر كم حق شك من سلبه

(١) أثر الشاعر الصياغة العامية للفظة الدعوات، تماشياً مع النسق الإيقاعي.

يا (ولاة الأمر) هذا (عاملٌ)
خيِّمَ (الضَّنْكُ) على أبوابه
فَافْسِحُوا في وجهه سُبُلَ الغنى
وَأُمُّرُوا أَيَّامَهُ تَرَافُ بِهِ
هو (كَنَزٌ) في الحمى لا ينتهي
هو (سِرٌّ) في معالي شعبه

(٢٥)

الفلاح وزراعة الأرز^(١)

[الطويل]

مشى في «لَجَيْنِ» الماء يَبْذُرُ «عَسْجَدًا»
وما بذَرَ الفلاحُ إلا لِنَحْصُدَا
إذا مَرَّ «أَسْبُوْعُ» نرى تَبَرَ أُرْزِهِ
على فِضَّةِ الماءِ استَحَالَ زَبْرَجِدَا
وعندَ بلوغِ النَّبْتِ «خَمْسَةَ أَشْهُرٍ»
نرى «خَبْرًا» في الحقلِ قد عادَ «مَبْتَدَا»

☆☆☆☆

بِروحي «ابْنُ حَقْلٍ» يَصْقِلُ الحَقْلَ بينما
يُبَيِّضُ مِنْهُ الماءُ ما كانَ أَسْوَدَا

(١) مجلة الثقافة، العدد ٧٩، في ٢ يوليو ١٩٤٠م: ص ١١٥٧. وقد نشر إسماعيل الصيفي لشاعر البراري خمسة من أبيات هذه القصيدة العشرة، مع سادس؛ باختلاف في ترتيبها ورواية بعض ألفاظها، تحت عنوان «زراعة الأرز»؛ على النحو الآتي:

أشاهدته إذ يَصْقِلُ الحَقْلَ بينما	يُبَيِّضُ مِنْهُ الماءُ ما كانَ أَسْوَدَا؟
وهل هو حَقْلٌ، أم صحيفة مؤمنٍ	تُبَيِّضُهَا التَّقْوَى وَيَصْقِلُهَا الْهُدَى؟
أشاهدته في ثوبه الرُّثَّ عندما	مَشَى فِي لَجَيْنِ الماءِ يَبْذُرُ عَسْجَدًا
بربك إن شاهدته مرَّةً فقلْ	لَكَ اللَّهُ يَا فِلاحُ تشقى لنسعدَا
إذا مَرَّ «أَسْبُوْعُ» نرى تَبَرَ أُرْزِهِ	على فِضَّةِ الماءِ استَحَالَ زَبْرَجِدَا
وعندَ بلوغِ النَّبْتِ «خَمْسَةَ أَشْهُرٍ»	نرى «خَبْرًا» في الحقلِ قد صارَ «مَبْتَدَا»

الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٣٩٢؛ نقلًا عن الجزء الأول من ديوان «بين أحضان الطبيعة».

فلم أدرِ حَقْلٌ أَمْ صَحِيفَةٌ تَائِبٌ
تُبَيِّضُهَا التَّقْوَى وَيَصْقِلُهَا الْهَدَى
ولم أَرْ كَالْفَلَاحِ فِي مَصْرٍ مَخْلُصًا
يَعَانِي الْعَنَا فِيهَا وَيَبْدِي التَّجْلِدَا
يَجُوعُ وَيَغْذُوها، وَيَظْمَأُ لَتَرْتَوِي
وَيَعْرِى وَيَكْسُوها، وَيَشْقَى لِتَسْعِدَا
وَإِنْ أَنْ يَوْمًا أَوْ شَكَا سَوْءَ حَالِهِ
فَأَنْتَاهُ فِي مَصْرٍ زَاهِبَةٌ سُدى
هَمُومٌ اللَّيَالِي خِيَمَتْ فَوْقَ كَوْجِهِ
فَيَا كَوْحَهُ صَبْرًا فَقَدْ تَنْجَلِي غَدَا
وَيَا غَدُ لَا تَبْخُلْ بِإِسْعَافِ بَائِسٍ
تَنْنُ «سَوَاقِيهِ»^(١) وَيَبْكِي لَهُ «النَّدَى»

(١) السواقى: جمع ساقية.

(٢٦)

القطن^(١)

[البسيط]

تكوّن القطنُ مِنْ يَأْسٍ وَمِنْ أَمَلٍ
فاسودَّ باطنُهُ وابيضَّ ظاهرُهُ
يا حُسْنَ منظرِهِ، يا قُبْحَ مخبرِهِ
بيضُ أساريَرُهُ، سودُّ سرائِرِهِ
جمال كل نبات في شبيبَتِهِ
وحسنه هو إن شابت غدائره
يفي، ويغدر أحيانًا، ويا عجبًا
وافيه في مصرَ مرجوٍّ وغادرُهُ^(٢)

☆☆☆☆

يا نيلَ مصرَ امشِ في مصرٍ على خجلٍ
فإن «فلأحها» قد قلَّ ناصرُهُ

(١) مجلة الثقافة، العدد ٩٧، في ٥ نوفمبر ١٩٤٠م: ص ١٨٨٤ ونشر إسماعيل الصيفي لشاعر البراري تحت عنوان «القطن» تسعة أبيات؛ أولها:

جَلُّ من صَيَّرَ الزُّيْرَ جَدَّةَ الخُضِّ راءَ في حَقْلها الجميل لُجَيْنَا

وأردف هذا النص بالأبيات الأربعة الأولى من هذه القصيدة التي بين أيدينا، تحت الرقم ٢ - الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٣٧١.
(٢) في الديوان الكبير «محبوبٌ وغادرُهُ».

اسأله تحت الضحى عما يسايره
واسأله تحت الدجى عما يساوره
نهاره عرق، يا مَنْ يجففه
وليله أرق، يا مَنْ يسامره
أناته بيننا أنات محتضر
حمل ثقيل، وقطن حط طائره

(٢٧)

القطن^(١)

[البسيط]

يا قطنَ مَيِّةً بالعلياءِ فالسَّندِ
أَقْوَى وطالَ عليه سالفُ الأمدِ
(وقفتُ في الحقلِ ساعاتٍ أسألهُ
أعياً جواباً وما في الحقلِ من أحدٍ)^(٢)
فيه وما فيه غيرُ «الدُّودِ» منتشراً
ما بينَ عَجَلانٍ في فتكِ ومُتَّندٍ
كأنما الحقلُ «قَبْرٌ» ضَمَّ جانبَهُ
على «زبانيةٍ» سيقتُ إلى (رفدي)^(٣)
مشتٌ هناك جيوشُ الدودِ رافعةً
أعلامها مَشْيَ حُمَى الصيفِ في الجسدِ
نزلنَ في القطنِ تمزيقاً «وَمَرْمَغَةً»^(٤)
فلا تقلُ نعجةً في مخلبَي أسدٍ

(١) جريدة الوفاق، العدد ٢٨١، في ١٨ سبتمبر ١٩٣٣م.

(٢) في البيتين تداخل نصي مع قول النابغة الذبياني في مطلع مطولته المشهورة:

يا دار مية بالعليا فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد
وقفتُ فيها أصيلاً أسألها عَيْتُ جواباً وما بالربع من أحدٍ

(٣) الردف: المعاونة

(٤) مرمغة: لفظة عامية تشير إلى ما أصابه من خسف وهوان، وأصلها يعني في الدارجة المصرية التقلب في التراب.

فاسودَّ مثلَ قلوبِ الناسِ منطفئاً
من لوزِه كلُّ وضَّاءٍ ومُنْتَقِدٍ
فقلتُ يا دودُ: ما هذا؟ فقال: صَهْ
فلن يقصِّرَ جهدي نَقْدُ مُنْتَقِدٍ
دعني أُخَرِّبْ دياراً أهلها منعوا
دفعَ الزكاةَ إلى المسكينِ في البلدِ



يا ليت شعري، وما في ليت منفعةُ
من أين أدفعُ «مالَ الأرض» بعد غد؟
أصبحتَ يا «شبحَ الصرَّاف» تزعجني
فلستُ (أهواك) حتى لو (تبوس يدي)
انقل إلى الغير «تكليفي» بلا ثمنٍ
وعافني من «ديون» أُوَهَنْتُ جَلْدِي
أو قل عليَّ بآني: «مت من زمنٍ»
أو امسح اسمي من «وردي» إلى الأبد
ما لي وللقطن؟ ويح القطن إن له
هماً، ويا ليت لم ينقص ولم يزدِ



روحي الفداءً لإنسانٍ تعهد لي
بدفعه نصف (مال الأرض) بالعدد
لكنه خائفٌ من أن أقولَ له
زدني فإسمك فينا «زايد المدد»
يا حاملاً بعضَ آلامي مجاملةً
تعال «أرقيك» خوفاً من بني «الحسد»



(٢٨)

زكاة الفطر في الريف

لماذا يأخذها الفقهاء؟^(١)

[مجزوء الكامل]

بِكَ مِنْ عِبِيدِكَ أَسْتَجِيرُ
يَا مَنْ بَقِضْتَ الْأُمُورُ
أُجِبْتَ يَا رَبِّ «الزُّكَا
ة» لِصَاحِبِ الْحَالِ الْعَسِيرِ
فَمَشَتْ لَغِيرِ «الْمُسْتَحِقُّ
ق» وَأَنْتَ أَدْرَى بِالْمَصِيرِ
إِنِّي الْيَوْمُ وَلَسْتُ أَذْ
رِي مَنْ الْيَوْمُ مِنَ الْعَشِيرِ
أَلْيَوْمُ مَنْ جَهَلَ الْحَقِيئُ
قَّةَ أَمْ الْيَوْمُ الْمُسْتَنِيرُ؟
فَلَاخُ هُمْ، وَفَقِيهُ هُمْ؛
غُرٌّ، وَ(بَلَّافٌ) قَدِيرُ^(٢)

(١) جريدة الوفاق.

(٢) بلّاف: لفظة عامية ذات دلالة على الشخص المداهن في مراوغة وخداع، وهي عائدة في البيت على فقيه القوم، في حين يعود قوله: «غر» على فلاحهم.



هَذَا يُوَكِّلُ سَاعَةَ التَّـ
تَوَظِيعِ ذَاكَ وَذَا يَجُورُ
إِنِّي (فَقِيهَ الْفَقِيرِ) يَا
هَذَا وَلِي (الْكَوْمُ الْكَبِيرِ)



يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْفَقِيرُ
لَهُ وَأَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَكِينُ
كَيْفَ اسْتَبَحْتُ حَقَّقَ غِي
بِرَّكَ بِالْخَلَالِ الْمُسْتَطِيرِ؟
أَلَا الْكَثِيرُ مِنَ الزُّكَا
ةٍ وَأَهْلُهَا لَهُمُ الْيَسِيرِ؟
أَيْنَ الدِّيانَةُ أَيُّهَا الْـ
إِنْسَانُ أَمْ أَيْنَ الضُّمِيرِ؟
«إِنَّمَا» يَا هَذَا (الْفَقِيرِ)
لَا تَخْدَعِ الرَّجُلَ الْغَرِيرَ^(١)
(أَتَلُمُّهَا) وَتَرْوُحُ تُخْـ

رَجَّهَا (رَبًّا)؟ - أَمْرُ خَطِيرِ^(٢)



يَا (عَمُّ عِنَّمَانِ) اتَّبِذْ
لَيْسَ (الْفَقِيهَ) هُوَ الْفَقِيرُ

(١) إلتَم: لفظة عامية مصرية، بمعنى استَح وكَف عن غِيكَ. وَالْفَقِي: الْفَقِيه.

(٢) تَلَمَّهَا: تَجَمَّعَهَا.



في شرعٍ من تُعطَى الزكا
ة لمن له ثوب حرير
يا (عمُّ عتمان) استَشِرْ
لا خابَ مَرءٍ يستشير
صرفُ الزكاةِ لغيرِ مَنْ
فُرضتْ لهم (ذَنبٌ كبير)
هي (الفاقر) من الوري
والفاقر في الدنيا كثير

(٢٩)

الفيضان^(١)

[البسيط]

اخْلَعْ عَلَى مِصْرَ ثَوْبًا وَشَيْئُهُ الذَّهَبُ
مَا أَنْتَ ضَيْفٌ لَهَا، بَلْ أَنْتَ أَنْتَ أَبُ
أَبُ أَبِي وَفِيَّ صَادِقٌ أَبَدًا
مَا فِي سَجَايَاكَ لَا غَدْرٌ وَلَا كَذِبُ

(١) مجلة الثقافة، العدد ١٠٢، في ١٠ ديسمبر ١٩٤٠م؛ ص ٢٠٧٨، ونشرها إسماعيل الصيفي، تحت عنوان «وفاء النيل» سبعة أبيات، مطلعها:

جَرَى الْكَوْثَرُ السُّلْسَالُ فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى فَعَنَّتْ بِهِ الْأَطْيَارُ فَوْقَ الرُّبَى نَشْوَى

وأردفها تحت الرقم - ٢ - بثمانية أبيات متداخلة مع أبيات هذه القصيدة مع اختلاف في رواية ألفاظها وترتيب أبياتها؛ ونصها على النحو الآتي:

اخْلَعْ عَلَى مِصْرَ ثَوْبًا وَشَيْئُهُ عَجَبُ	مِصْرُ فَتَاةٍ عَلَى حُسْنٍ، وَأَنْتَ أَبُ
أَبُ أَبِي وَفِيَّ صَادِقٌ أَبَدًا	نَعَمْ الْأُبُوَّةُ لَا غَدْرٌ وَلَا كَذِبُ
شَيْخٌ كَبِيرٌ وَلَكِنْ قَدْ وَقَفْتَ عَلَى	سِنَّ الشَّبَابِ فَشَابَتْ دُونَكَ الْحَقْبُ
خَفَّتْ لِلْقِيَاكِ مِصْرٌ وَهِيَ قَائِلَةٌ	رَثَ الزَّمَانُ وَأَثَوَابُ الْهَوَى قُشْبُ
خَفَّتْ لِلْقِيَاكِ يَحْدُو رُكْبَهَا نَعْمُ	عَذْبُ رَقِيقٍ وَيُثْنِي عَطْفَهَا طَرَبُ
طِيرٌ يُغْنِي بِالْحَانَ الْهَوَى وَرُبَى	مَدَّتْ غُصُونًا وَكَادَتْ لِلْقَا تَخْبُ
يَا وَهَبًا مِصْرَ مَا تَصُبُّوا إِلَيْهِ، لَقَدْ	صَانَتْ هَوَاكَ وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ
فَجَرَّ ذَيْلَ اخْتِيَالٍ فِي خِمَائِلِهَا	وَأَفْخَرُ فَلَا فَخْرَ إِلَّا لِلَّذِي يَهْبُ

راجع: الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٣٧٠، ٣٧١؛ نقلًا عن الجزء الأول من ديوان «بين أحضان الطبيعة».

شيخ كبير ولكن قد وقفت على
سن الشباب فشابت دونك الحقب
استقبلت فيك مصر رحمةً ومنى
ولن تخيب منى «للنيل» تنتسب
استقبلتك أبا قد هزّه طرب
إلى لقاءها كما قد هزّها طرب
استقبلتك؛ فطير هاتف، وربى
مدت غصوناً وكادت للقاء تثب
رئت ثياب الليالي حولها، ولها
مما نسجت ثياب دائماً قشب
ربت رباها وربت كل هاتف
تشدو فيصغي إلى أنغامها الأدب
فجر ذيل اختيال في خمائلها
وقل لبابلها: حي الذي يهب
واعتب على مصر «الفلاح» ينقصه
تقدير مصر، وهذا بعض ما يجب

(٣٠)

جنيّة البحر^(١)

[مجزوء الوافر]

(خُرَافَاتُ) الْوَرَى زَادَتْ
عَنِ التَّعْدَادِ وَالْحَصْرِ
وَشَنَقِي الْآنَ (فِي شَالِي)
وَلَا (جَنِّيَّةَ الْبَحْرِ)^(٢)
كَثِيرٌ مِنْ بَنِي عَصْرِي
وَوَيْلِي مِنْ بَنِي الْعَصْرِ
يَقُولُ: لَقَدْ رَأَيْنَاهَا
وَقَدْ طَلَعَتْ عَلَى الْبَرِّ
لَهَا جِسْمٌ تَغْطِيهِ
بَشَعْرٍ زَادَ عَنْ مِثْرِ
وَوَجْهِهِ مِثْلُنَا لَكِنْ
بِهِ عَيْنَانِ كَالْجَمْرِ
تَنَاطَرَ مِنْهُمَا شَرًّا
يُخِيفُ الْمَرْءَ فِي الظُّهْرِ

☆☆☆☆

(١) ديوان شاعر البراري: ٢ / ٥٥، ٥٦.

(٢) أي أن أشنق بشالي أهون عليّ من قبول خرافة جنيّة البحر. والشال هو كساء يتلفع به أو يعتمر به يكون من الكتان أو القطن أو الحرير.

بقاع البحر هائمة
 كثعبان بلا وكر
 إذا ظفرت بإنسان
 تجنّ دله على الفور
 لها ولع بخنق النّاس
 س من بيض ومن سمر
 تجرّ المرء بالأظفار
 ر لا بعوامل الجرّ
 و(تلكشة^(١)) براحتها
 على الخدين والنّحر
 وكم وجدوا أصابعها
 مؤشّرة على الصدر
 وعند جفاف ماء البحر
 ر تستخفي ورا (الكوبري)

☆☆☆☆

حديث ليس منطبقاً
 على عقل ولا فكر
 ولم يأت (الحديث) به
 ولا (القرآن ذو الذكر)

(١) تلكشة: لفظة عامية ريفية، تعني تمسكه بشدة، أو تأخذ بتلابيبه.

(٣١)

إلى الناس^(١)

[مجزوء الوافر]

تعالوا يا أولي الأفكا
ر نعرضها على الفكر
هبوا في البحر (جنًا) أخـ
ممر العيينين والشعر
فهل خلق الإله الجنـ
ن لا إجمام والشعر؟
هو الحيوان مثل النـ
س قد يأوي إلى البحر
فكم من (خيلنا) خنقت
ومن (بقراتنا الحمر)
أظن الخيل ترفسها
فتذعر أيـمـا ذعر
فلا تلوي على فرس
ولا تلوي على مـهر

☆☆☆☆

(١) ديوان شاعر البراري: ٢ / ٥٧، ٥٨.

أَلَا يَا قَوْمَنَا قَسَمًا
بِمَاءِ النَّيْلِ إِذْ يَجْرِي
وَبِالنَّاقَنِ^(١) الَّذِي يَمْشِي
إِلَى (الْفَلَاحِ) بِالْخَيْرِ
لَهُذَا كُنَّا لَهُ وَهُمْ
وَإِخْبَارُ بِلَا خُبْرِ

(١) النَّاقِنُ: هُوَ الطَّيْنُ الَّذِي يَذْهَبُ عَنْهُ الْمَاءُ فَيَتَشَقَّقُ، وَيَقْصَدُ بِهِ الطَّمِي.

(٣٢)

إلى الجنَّة^(١)

[مجزوء الوافر]

ألا يا حاضرة الجنِّ
يَـةَ المحفوظةِ القدرِ
أمامك (شاعرٌ) فكِهْ
طريفُ النظمِ والنثرِ
نبا هذا الزمانُ به
وملَّ العيشَ في البرِّ
فما في البرِّ غيرُ الغدِ
ر - لو تدرينَ - والجورِ
ونفسي الآن طامحةٌ
لرؤية عالم البحرِ
خُذيني اليومَ عندكمو
أُعائلكم بلا أجرِ
وأنثرُ فيكمو دري
وأنظمُ فيكمو شعري
فمنَ وصفٍ إلى غزلٍ
إلى مدحٍ إلى شكرِ

(١) ديوان شاعر البراري: ٥٦/٢، ٥٧.

وَأَمَكْتُ هَكَذَا فَيَكُمُ
إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ عَمْرِي

☆☆☆☆

أَتَيْتُكَ سَائِلًا فَاجْلِي
عَالِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ
أَفِي مَصْرِ لَكُمْ ثَأْرُ
وَأَنْتِ وَلِيَّةُ الثُّأْرِ
أَمْ أَنْتُمْ مَعْشَرُ جُبَاثَ
نَفُوسِهِمْ عَلَى الْغَدْرِ
مِيَاهِ الْأَرْضِ قَدْ كَثُرَتْ
فَمِنْ بَحْرِ إِلَى نَهْرٍ
وَكَيْفَ الْجَنُّ لَا يَرْضَى
بَغْيِرِ جَدَاوِلِ الْقُطْرِ^(١)

☆☆☆☆

أَعَادِي مَصَرَ قَدْ كَثُرَتْ
فِيَا وَيَالِي عَلَى مَصْرِ

(١) القطر: إشارة إلى مصر حيث كان من الشائع وقتها استعمال تعبير القطر المصري.

(٣٣)

الزَّارُ^(١)

[البسيط]

دارَ الزَّمانُ وظلَّ الزَّارُ^(٢) في الدارِ
واستضعَفَتْ لبوَّةُ^(٣) ضرغامها الضَّاري
ومنهل التُّرْهَاتِ اليومَ قد شَرِبْتُ^(٤)
منه الكواعبُ في ريفٍ وأمصار
فقلَّ «لذات اللَّمى» المفتونُ خاطرها
ماذا دهاك فبعتِ العقلَ للشَّاري^(٥)
ما «الزارُ» يا أنتِ، ما العفريتُ، ما لهما
ألعفاريت عند الغيدِ من ثارٍ؟^(٦)

(١) خمر وجمر: ص ٢٥، ٢٦. وقد نشر إسماعيل الصيفي تسعة من أبيات هذه القصيدة لشاعر البراري، تحت العنوان نفسه باختلاف شديد في ألفاظها، وتباين يسير في ترتيبها. الديوان الكبير الشاعر البراري: ص ٣٠٩؛ نقلاً عن ديوان «وحي البراري».

(٢) الزار: طقس شعبي تمارس فيه رقصات خاصة يصاحبها إيقاع صاخب على الطبل والدفوف مع إطلاق البخور، وترديد بعض العبارات التماثمية. وهو طقس يمارسه المعتقدون به للقيام بدور علاجي بوصفه شعيرة لطرد الشياطين والعفاريت، أو طرد النحس أو ما إلى ذلك. ويذهب كثيرون إلى أن تسمية الزار وأصوله ذاتها أمهرية أخذها العرب خاصة في مصر، عن أبناء شمال بلاد الحبشة.

(٣) في الديوان الكبير: «واستغفلت لبَّاةً».

(٤) في الديوان الكبير: «خرافةً، نهرها الموبوء قد شربت».

(٥) في الديوان الكبير:

فَقُلْ لبائعة الوجدان عابثة رُدِّيهِ رُدِّيهِ من عفريتك الشاري

(٦) رواية البيت في الديوان الكبير:

ما الزار؟ ما الجن؟ ما العفريت؟ مالك؟ [لمْ] نعرف له عند «ذات القُرط» من ثارٍ

خرافةٌ في الحمى أنصارُها نثروا
حين الحقائقُ تشكو فَقَدَ أنصارِ^(١)
احمرَّ يا أنتِ وجه «النيل» من غضبِ^(٢)
لما رأى جنَّةً تسعى إلى نار
عارٌ على شاربٍ من «جداولِه»
أن يَنْغَمِسْنَ بنا في كل «تِيَّار»^(٣)
عفريتكَ «الْيَثْرِبِي» أولى بنسوتها^(٤)
فالجار يا أنتِ أولى الخلق بالجار^(٥)
مصرُ الكنانة صوني بعضَ حرمتها
لا تلبسي فوقها عارًا على عار^(٦)
مالت بنا الأرضُ يا أخت الأبالس أو
كادت تميل بنا من «بدعة الزار»^(٧)

(١) رواية البيت في الديوان الكبير، وهو ثالث أبيات القصيدة فيه:

خرافة جَمَّة الأنصار في زمن فيه الحقائق لم تظفر بأنصار

(٢) في الديوان الكبير: «احمرَّ في مصر وجه (النيل) من خجل».

(٣) في الديوان الكبير: «في شرِّ تيار».

(٤) عود الضمير على يثرب، وهو اسم المدينة المنورة قبل هجرة الرسول ﷺ إليها؛ مع ملاحظة عدم تشديد ياء النسب لمراعاة الإيقاع.

(٥) البيت غير موجود في الديوان الكبير.

(٦) رواية البيت في الديوان الكبير:

يا بنت مصر: ألا رفقاَ سمعتها لا تلبسي بيننا عارًا على عار

(٧) في الديوان الكبير:

ما اصفرَّت الشمسُ في وقت الغروب سُدى لکن بها علَّةٌ من «بدعة الزار»

(٣٤)

كفارة^(١)

[الكامل]

أَيْفِيْدُهُ ذَبِيْحٌ مِّنَ الْبَقْرِ
وهو الذي كم شَطَطُ في الضرِ
إِذْ الخَطَايَا الْيَوْمَ هَيِّنَةٌ
فَلْيَقْتَرِفْهَا كُلُّ مُقْتَدِرٍ
وَإِذْ (جَهَنَّمُ) لَا لَزُومَ لَهَا
مَا دَامَ ذَاكَ يَقِيهِ مِنْ سَقَرٍ
وَإِذْ أَنَا أَنْجُو (بِأَرْنَبَةٍ)
وَأَرْوِحُ مِنْ وَزْرِ إِلَى وَزْدٍ
وَاللَّهُ لَوَذَّبَحُوا (الْقُلُوبَ) لَمَا
كَفَّرْنَ عَنْهُ (مَظَالِمَ الْبَشَرِ)
يَا أَيُّهَا الْمَذْبُوحُ فِي صَغَرٍ
بِيَدِ الْمَظَالِمِ أَوْ يَدِ الْقَدَرِ
هُوِّنْ عَلَيْكَ فَكُلْ ذِي كَبَدٍ
فِي الدَّهْرِ مَوْقُوفٌ عَلَى خَطَرٍ
(لَسَّامَرِيٍّ وَعَجَلُهُ) ذَهَبًا
و«أَبْيَسُ»؛ فَاذْهَبْ طَيِّبَ الْأَثَرِ^(٢)

(١) خمر وجمر: ص ٢٨، قالها الشاعر في عجل بريء جاءوا به فذبحوه (كفارة) لميت مسيء؛ فكانت الخسارة في المذبح أفدح منها في المذبح له، على حد قول الشاعر.
(٢) السامري؛ صانع عجل قوم موسى، وخبره في سورة طه، الآيات: ٨٥ - ٩٥. وأبيس: هو أحد معبودات المصريين القدماء وكان على هيئة عجل.

(٣٥)

[أقبل الريف]^(١)

[مجزوء الخفيف]

أقبلَ الريفُ يَخْلِفُ	فطلاقٌ ومصحفُ
أيها القوم هُونُوا أَلْ	أَمَرَ فَيْكُمْ وَخَفَّفُوا
أَفْـلَانُ مَزِيْفُ	وَفْـلَانُ مَثَقَّفُ
لِمَ هَذَا السَّبَابُ، أَوْ	لِمَ هَذَا التَّزْلِفُ؟
لِمَ تِلْكَ الْحَرُوبُ، أَمْ	لِمَ هَذَا التَّصَرُّفُ
لِمَ تِلْكَ الْجَرَّاحُ، أَوْ	لِمَ تَدْمَى وَتَنْزَفُ؟
مَا لَهُمْ، مِيْلُهُمْ لَكُمْ	كُلْ هَذَا تَكْلُفُ
كُلْ مَنْ فَازَ مِنْهُمْ	وَعْدُهُ سَوْفَ يُخْلَفُ
أَيْنَ أَعْمَالُ مَنْ مَضُوا	أَلْفُ وَعْدٍ وَلَمْ يَفُوا
حَلَّفُونَا، وَحَلَّفُوا	وَوَفَّيْنَا وَأَخْلَفُوا
هُوَ يَوْمٌ، وَبَعْدَهُ	إِنْ طَلَبْنَاهُمْ اخْتَفُوا
وَعْدًا يَنْتَهِي، وَلَا	يَنْصَفُ الرَّيْفَ مَنْصَفُ

(١) من خط يد الشاعر؛ والعنوان بين معقوفين دلالة على أنه ليس في الأصل الذي وضعه الشاعر مخطوطاً أو مطبوعاً، وكذلك في سائر قصائد الديوان.

(٣٦)

الأعيان الذين امتدحتهم في الديوان الأول كيف خاب الرجا فيهم؟^(١)

[الكامل]

ما الذنب للقوم الذين مدحتهم
الذنب للأشعار ثم الذنب لي
ناديتُها فأتت ولو هي أنصفت
لتمهلت فالفوز للمتمهل
أرسلتها فيهم عقود مدائح
فانحط بالارسال قدر المرسل
ساعت كما ساءوا ولا عجب إذن
فالعقد يقبح فوق جيد المبتلي
فصّلت أثواب الثناء عليهمو
جهلاً وقلت أيا قوافي طولي
فتلوت منهم ومالي حيلة
في ذاك إلا غسلها فلأغسل

☆☆☆☆

مالي وللغرب الذين وجودهم
أزرى بأعراب الزمان الأول؟

(١) ديوان شاعر البراري: ٢ / ١٠٤ - ١٠٦.

شانوا تواريخَ الجدودِ وربما
قد أفسدَ المرحاضُ ماءَ الجدول
الفرق بينهم وبين جدودهم
كالفرق بين مُحرِّمٍ ومُحلَّلٍ

☆☆☆☆

أما (الذوات) الآخرين فإنني
قد ضعتُ بينهم ولستُ بأوَّل^(١)
خاب الرجا فيهم وكيف يَصَّحُّ لي
أملٌ لدى أهل الجمودِ المعضل؟
من كل (بَيْكٍ) جامدٍ في نفسه
كالجندلِ الصُّوانِ أو (كالجردل)^(٢)
لم يدرِ ما معنى المديح ولا الرثا
ء إذا نَطَقَتْ كأنه لم يعقلِ
عقليةً ضُوِّلَتْ فليست بعادلٍ
إن قسَّتْها يومًا بحبَّة خردل
يا قاتلَ الله اليسارَ فإنه
ثوبٌ يواري جهل كلِّ مغفل
مَنَّا نِي الخيراتِ كلُّ منهمو
حتى مَدَحْتُ ولم أفز بمؤمل
قل لليراع ظَلَمْتُ حيث مدحتهم
فاسلك سبيلك للعدالة واغدل

☆☆☆☆

(١) الذوات: لفظة ذات دلالة على الطبقة الأرستقراطية من أصحاب الأملاك ومن في مراتبهم.
(٢) الجردل: لفظة عامية مصرية بمعنى الدلو.

دَوْنْتَ مدحهمو فقليل (سَيَغْتَنِي)
 هذا الفتى (بالمبلغ المتحصّل)
 جهلوا الحقيقة فالحقيقة أَنَّ أَجْـ
 ر (طباعة الديوان) لم يتحصّل
 إحساسهم يا صاحٍ مفقودٌ فكَيْـ
 فَ يُقَدَّرُونَ تَكْرُمِي وتفضُّلي؟
 عصر الشعور بواجبِ الأدباء عصـ
 رُ (البحثري) في مدة (المتوكل)^(١)
 يا ليتني أعلنت عن (فورد) ولم
 أثني على (عمر) ولم أمدح (علي)
 لا يُنَكِّرُ الأعيانُ مِنِّي أنني
 أبني وأهدم فيهمو بِتَعَلُّـ
 فإمامهم (كافور) يُمدِّحُ أولاً
 ويُذمُّ من (ملك القريض) لأمثل^(٢)

(١) البحثري أبوعبادة الوليد بن عبيد الشاعر العباسي المعروف، رأس مذهب المطبوعين (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) مدح سبعة من خلفاء بني العباس، أشهرهم وأقربهم إلى نفسه المتوكل. والمتوكل هو أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، ولد سنة خمس ومائتين للهجرة (٢٠٥ هـ)، وبويع بالخلافة سنة اثنين وثلاثين ومائتين (٢٣٢ هـ)، وقتله قادة جنده سنة سبع وأربعين ومائتين (٢٤٧ هـ) في حادثة يؤرخ بها لضياع هيبة خلفاء بني العباس وانقطاع عصر سطوتهم.

(٢) كافور الإخشيدي (٢٩٢ - ٣٥٧ هـ) كان عبداً خصباً اشتراه أحمد بن طغج الإخشيد وترقى عنده إلى أن صار وصياً على عرش أولاده، متسلطاً على حكم مصر. كان ذا همة عريضة وبأس شديد عرف بالأستاذ، وخبره مع أبي الطيب المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ) الذي يشير إليه الشاعر بقوله: «ملك القريض» - معروف، يتمثل به الشاعر على حاله مع ممدوحيه؛ إذ أكثر كافور من تعليل أبي الطيب بالأمانى يستزيره، حتى إذا جاء ومدحه لم يف كافور بوعدة، فانقلب عليه المتنبي بهجاء مقذع ذائع مشهور في تاريخ الأدب العربي.

(٣٧)

في الليل^(١)

[البسيط]

كم فيك يا ليلُ من مُرٍّ ومن حَالٍ
وكم تُغَيِّرُ من حَالٍ إلى حَالٍ
«فَذَاتُ تُكَلِّ» لها عَيْنٌ مُورِقَةٌ
تروي ثرى دارها من درّها الغالي
قد رُوِّعَتْ في «وحيِدٍ» كان يكلّوها
وأغفلَتْها الليالي أيّ إغفالٍ
تغالبُ الوجدَ طولَ اليومِ خائفةً
مِنَ الشّماتَةِ أو مِن عذلٍ عُذّالٍ
حتى إذا الليلُ أضواها وأفردها
باتت تُفَصِّلُ شجواً بعد إجمالٍ

☆☆☆☆

وغادةٌ مثل وجهِ الشمسِ «أرملةٌ»
قد حَمَلَتْها الليالي عبءَ أطفالٍ
تبيتُ مُطرقةً مِن بَعْدِ مَشْيَتِهَا
مثل الطواويس في تيهٍ وإدلالٍ

(١) خمر وجمر: ص ٥٩ - ٦١.

إن زارها الليلُ زار الهمُّ مضجعا
وزُلْزِلَتْ في دجاءِ أيِّ زلزال

☆☆☆☆

و«سانحُ» في بحارِ اللهو ليلتَه
يحسو الكؤوسَ على رناتِ خلخال
مدائمُه برحيقِ الصُّفوفِ مُمتزجُ
وقلبُه من تباريحِ الجوى خال
تسقيه ذات لَمَى من خمر ريقتها
إن راح كاس الحُمَيَّا غير فعال

☆☆☆☆

(وصارخُ) كالهزيرِ الليثِ مضطربُ
يبيتُ يزأرُ في آثار أشبال
مضى الزمانُ بأولادٍ له فمضى
مُعهم كَراءُ، وأمسى كاسفَ البال
يقول لليل لا تعطفْ على كبدي
بل ضاعِفِ الآن أحمالي وأثقالِي

☆☆☆☆

و(عاشقُ) قد دَنَتْ مِنْهُ أَحَبَّتُهُ
واخضرَّ روضُ مُناه بعد إِمحال
قد هَشَّ الليل لما أن أتى ومضى
يفضي إلى الخدِّ أو يُصغي إلى الخال

☆☆☆☆



و(ساهرٌ) في زوايا السجن مكتئبٌ
 قد رجَّه الظلمُ في قيدٍ وأغلالٍ
 تطويه عاصفةُ الذكرى وتنشره
 شوقًا إلى الدار، أو شوقًا إلى الآل
 تضمُّه حجرةٌ كالقلبِ ضيقةٌ
 فيقطعُ الليلَ فيها نضو أهوالٍ



(وذو التِياعِ) تجافتهُ أَحَبَّتُهُ
 وخَلَّفوهُ أخا سهدٍ وبلبالٍ
 يبيتُ يحنو على القرطاسِ منتقلًا
 بشوقه بين أشعارٍ و«أزجال»
 يشاركُ النجمَ في صمتٍ وفي سهرٍ
 حُرَّانَ حيرانَ لم يلبثُ على حالٍ



(وذو قوَى) لم يَخَفْ من بطش خالِقِه
 فبات يذهب في مالٍ وأجالٍ
 تسربلَ الليلُ لمَّا اسودَّ جانبُه
 وهل ترى الليلَ إلا شرَّ سربالٍ
 يبيتُ مستخدمًا يا صاحِ قوَّتُه
 في خلع باب وفي تهشيم أقفالٍ



«وذو ضنئى» وسقام شَفَّه مرضُ
أعيا الطبيبِ وأعيا كلَّ محتال
له من الليل قبل الموتِ مقبرةً
وجسمُه قبل أن يَغشى الثرى بال
يقضيه ما بين أهاتٍ يرددها
وبين أناتٍ قلبٍ ما لهُ وال



(وذو تُقَى) بات طول الليل مُنصداً
من خشيةِ الله، منصوباً كتمثال
يدعو الإله ويرجوهُ ويذكرهُ
والطيرُ تُصغي له في دوحها العالى
مُستأنساً بظلامِ الليل منصرفاً
عَنِ المَلاهي وَعَنِ قِيلٍ وَعَنِ قَالٍ
الأنسُ في ذاك لا في الكأسِ مترعةٍ
والعزُّ في ذاك لا في الجاهِ والمال



وذو همومٍ سوى هذى وتلك، إذا
جَنَّ الدجى قال: ما لي لَمْ أُنمِ مالي
قد سالتُهُ لياليه وحاربهُ
ذوو القِرابَةِ من عمٍّ ومن خال



أما أنا فإذا ما الليل طوّقني
بمثَلِ حظّي ونجم الأفق أصغى لي
أبيتُ سهرانَ أشكو للكواكب من
تحطيمِ قلبي ومن تحطيمِ أمالي
سهمانٍ في كبدي قد أوهنا جَلدي
نهبُ الليالي لباناتي، وإمهالي
ما كنتُ أبقي على نَفْسي ولا نَفْسي
لو لم يضمَّ سوادُ الليلِ أمثالي

(٣٨)

النجم الساهر^(١)

[مجزوء الكامل]

ما بال بعض النّجم يسُـ
هزّ في السماء على أطراذ
أُتْـرأه قاسمَني الهُـمو
مَ فبات مثلي في سُهاد؟!
أم مغرّم بَعُدْتُ أَحِبُّـ
بَتُّهُ فسَهَّده البِـعاد؟!
أم قائِم في ليله
لحراسة «السبع الشداد»^(٢)
أم عنده الميلُ الشَّدِيـ
سُدُّ إلى مطالعة العباد؟!
ليرى الفضيلة والفضو
لَ وأَيَّ نوعٍ في ازدياد

(١) خمر وجمر: ص ٤٠.

(٢) البيت زيادة من ديوان الفؤاديات، لفؤاد بك محمد أحمد، ط ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٨م: ص ٩٤، مع الأبيات الثلاثة التي تسبق والبيتين التاليين عليه تحت عنوان في النجم؛ ضمن قسم الأسئلة والأجوبة حيث جاءت أبيات شاعر البراري سؤالا يعقبها الإجابة بأبيات لفؤاد بك محمد. وقد مهد ناشر الفؤاديات لهذا القسم بقوله: «ربطت الشاعرية بين الفقيـ (فؤاد بك محمد)، وبين شاعر البراري الأستاذ محمد أفندي السيد علي شحاته، فتبادلا كثيرا من الشعر في نواح مختلفة، نورد هنا ما استطعنا العثور عليه مما دار بينهما»

سیری الفضولَ على نهو
ضِ والفضيلةَ في كَسَاد^(١)
سیری الماتِّمَ ساهرا
تِ والمكارمَ في رُقَادُ
سیری ويسمُعُ كلَّ مَعْدِ
ننى قوله: «ظهر الفساد»^(٢)
يا خِرْزِي أَهْلِ الظُّلَمِ زُرْ
رَاعِ المظالمِ في البلاد
بَاتُّوا نياماً في المضَا
جِيع واستقرَّ بِهِمْ وَسَاد
وصدى الدعاءِ عليهمو
من هَوْلِهِ سَهَرَ «الجماد»

(١) من هذا البيت إلى نهاية القصيدة ليس في الفؤاديات.
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس»، الروم: ٤١.

(٣٩)

الفرقدان^(١)

[مجزوء الرمل]

نَبِّئَانِي، أَخْـوَانِ
أَنْتُمَا أَمْ صَاحِبَانِ!
أَنْتُمَا - مِنْ كُلِّ إِلْفٍ
وَأَلْيَفٍ - تُخْسَدَانِ
إِنْ كُلُّ اثْنَيْنِ - إِلَّا
أَنْتُمَا - يَفْتَرِقَانِ
كُتِبَ الْبَيْنُ، وَلَكِنْ
أَنْتُمَا مُسْتَثْنَيَانِ
لَمْ تَذُوقَا فِي اللَّيَالِي أَلْـ
بُعْدَ مَنْ بَعْدَ التَّدَانِي
كُلُّ جَمْعٍ لَافْتِرَاقٍ،
وَعَجِيبُ تَسْلَمَانِ
أَنْتُمَا فِي الْأَفْـقِ عُنُـوَا
نُ (مُخَابَاةِ الزَّمَانِ)

(١) محمد السيد شحاتة، ديوان «وحي البراري»، بلقاس، مصر ١٩٣٩م: ص ٦٠، ٦١. وقد نشر إسماعيل الصيفي الأبيات السبعة الأخيرة من هذه القصيدة لشاعر البراري، تحت العنوان نفسه باختلاف في الرواية؛ معلقاً عليها بقوله: «هذه القصيدة صورة مختصرة ومنقحة من قصيدة كانت في (وحي البراري)» الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٤٣٩. مع ملاحظة قصيدة ثالثة في الديوان الكبير: ص ١٤٣، تحمل العنوان نفسه، والصياغات نفسها، وإن اختلفت في الوزن، وتقييد الروي.

نَلْتَمَا مِنْهُ امْتِيَا زَا
لَمْ يَنْلُهُ (النَّيَّارَانِ)
نَلْتَمَا مَا تَبْغِيَانِ
مِنْ أُمَانٍ وَأَمَانِي
بَيْنَمَا الشَّمْسُ وَبَدَرَ التُّ
تَمَّ فِينَا يُخْسِفَانِ

☆☆☆☆

أَنْتَمَا - عَنْ حِكْمَةٍ أَعُ
أَلُمُّهَا - مَجْتَمَعَانِ^(١)
وَلَعَ النَّاسُ بِظَلَمِ النَّ
نَاسِ - وَالْإِنْسَانُ جَانِ^(٢)
وَجَرَى تَحْتَ السَّمَاءِ مِنْ
نَمِينَنَا مَا تَرِيَانِ^(٣)
فَإِذَا انْشَقَّتْ فَكَانَتْ
وَرْدَةً مِثْلَ الدَّهَانِ^(٤)

(١) في الديوان الكبير:

ينتهي عمر الزمانِ وهما مجتمعانِ

(٢) في الديوان الكبير:

ولع الناس بظلم النـ ناس في كلِّ زمانِ

(٣) في الديوان الكبير:

وجرى تحت سماء اللـ له ما لا يجهلانِ

(٤) في البيت تدخل نصي واضح مع قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ . الرحمن: ٣٧.



يحضر^(١) الظالم والمظ
 لوم من كل مكان
 وينادي «الهاكم العا
 لي» اشهدا يا «فرقدان»^(٢)



أنتما يوم الحساب^(٣) «الش
 شاهدان العادلان»



(١) في الديوان الكبير: «أحضر».

(٢) في الديوان الكبير:

— هـد فيه الفرقدان — واقتضى الموقف أن يشد

(٣) في الديوان الكبير: «فهما يوم الحساب».



(٤٠)

القمر^(١)

[البسيط]

يا ساهراً في الدُّجى خوفاً على الشُّهْبِ
من كلِّ مبتعدٍ عنها، ومُقْتَرِبِ
يكفيكَ أنَّا رأينا في ابتسامتها
لكِ ابتسامةَ أبناءٍ لخيرِ أب
ظَلَّلْتُهَا بجناح الأُنس منتشراً
في جُنح ليلٍ طويلٍ الذيلِ مُكْتَتِبِ

(١) مجلة الثقافة، عدد ٤١٨، في ٣١ ديسمبر ١٩٤٦م، والقصيدة منشورة باختلاف في ألفاظها وترتيب أبياتها تحت عنوان «إلى القمر» في الديوان الكبير لشاعر البراري؛ ص ٤٤٠؛ نقلاً عن الجزء الثاني من ديوان «بين أحضان الطبيعة؛ ونصها في الديوان الكبير:

من اهتمامك يا «ابن الأفق» بالشُّهْبِ	شَقَّقَتْ ثَوْبَ الدُّجى في مَشْهَدٍ عَجَبِ
ظَلَّلْتُهَا بجناح الأُنس منتشراً	في جُنح ليلٍ طويلٍ الذيلِ مُكْتَتِبِ
ولم تقل بعد: يا شُهْبُ اسْهَري وأنا	أنام، أو: أنا أكفي الناس فاحتجبي
من أجل هذا رأيناها قد ابتسمت	لكِ ابتسامةَ أبناءٍ لخيرِ أبِ
يا مُتَرَفِّفاً تتفانى الشهب فيه هوى	لعطفه، والهوى يأتي على سبب
اسْكُبْ شعاعَكَ في الرِّيف الطَّرِيفِ وقلْ	يا مُتَرَفِّفِي الرِّيف: من منكم تشبَّه بي؟
أنتم قساةٌ على أهل القرى، وأنا	والحمد لله - ذو عطفٍ على [الشُّهْبِ]
كونوا غُصُونًا، يُغَنَّ الدَّهْرُ فوقكمو	فالدَّهْرُ كالطير لا يشدو على [الخرب]

ولم تقلُ بعدُ: يا شهبُ اشهري وأنا
أنامُ، أو: أنا أكفي الناس فاحتجبي
يا مترفًا تتفانى الشهبُ فيه هوى
لعطفه، والهوى يأتي على سبب
بالله ربِّكَ نادِ المترفينَ وقلْ
يا مُترفَ الریفِ: من منكم تشبَّه بي؟
بِئْسَ قُساةً على أبناءِ قريَتِكُمْ
وبئسَ في الأفقِ مسهارةً على الشُّهبِ
كونوا غصونًا، يُغَنَّ الدهرُ فوقكمو
فالدهرُ كالطير لا يشدو على الخشبِ

(٤١)

أربعة^(١)

[الكامل]

اثْنانِ، رُوحِي تَسْتَرِيحُ إِلَيْهِمَا
مَنْ لَا يُحِبُّ وَمَنْ يُحِبُّ وَيَسْأَلُ
وَاثْنانِ، قَلْبِي مُعْجَبٌ بِهِمَا، طَبِيعِ
سُبُّ يَتَّقِي، وَمُعَالِمٌ يَتَعَلَّمُ

(١) من خط يد الشاعر.

(٤٢)

البؤس^(١)

[البسيط]

البؤسُ نوعانٍ موروثٌ ومكسوبٌ
والعيش بين كلا النوعين تعذيبٌ
جرحٌ من الدهر دامٍ لا براءَ له
إلا على (مرهم) (الإسعادِ طبيب)^(٢)
(رسولُ صدقٍ) إلى الإنسان يُنبئُهُ
بأنَّ وعْدَ المنى للنفس (مكذوب)
يضمُّ سمعَ الفتى عن صوت صادحةٍ أَلْ
أمالٍ حتى كأنَّ السَّمْعَ مثقوب
ويحُ الليالي، ويحي منْ تصرُّفها
تُعطي وكلُّ الذي تعطيه مسلوب
المرءُ رهنٌ رزايا لا عِدادَ لها
أقلُّها فيه دمْعُ القلبِ مسكوب
لكنَّ أفتكَّها بالنفس مرزئةٌ
فيها المنى نادبٌ والحظُّ مندوب

☆☆☆☆

(١) ديوان شاعر البراري: ٨٨/٢ - ٩٠.

(٢) المرهم: دهان يستخدم للعلاج.

هذا هو الموتُ (مكروهٌ) بلا جدلٍ
لكنه في حياة البؤس (محبوب)
كم بئس طالبٍ للموت منتظرٍ
مع أن كل فتى للموت مطلوب
من أهلها ومقيمٌ فوق ظاهرها
لكنه عن صفاء العيش محبوب
قد جرّب الصبر في كل الأمور فلم
يُفدّه صبرٌ ولم ينفعه تجريب
فراح يسعى إلى موتٍ يخلّصه
منها، وذلك رأيٌ فيه تصويب
من طارذته الليالي لا يؤمنه
إلا المنون الذي في الناس مَرهوب

☆☆☆☆

إني لأعجبُ من قومٍ قد انتحلوا
للدهر عذراً وقالوا: البؤس تهذيب
ماذا جنى البئس المحروم من أملٍ
حتى يقال بأن البؤس تأديب؟
البؤس من غلطة الأيام منشؤة
والدهر مُتّهمٌ فيه ومسبوب
عجبت من حالة الدنيا وموقفها
مع ابن آدم والدنيا أعاجيب

لا يستقيم لها العمران في زمنٍ
إلا إذا سبق التَّعميرُ تخريبُ
تقضي لبانتِها منَّا وتَصْرَعُنَا
كما تُبيدُ ذكورَ النحلِ (يعسوب)^(١)

(١) إشارة إلى أمر ملكة النحل (اليعسوب) بأن تفتك النحل الشغالات بذكور النحل إذا فرغت من مهمتها بتلقيح الملكة، لتفسح الخلية لغيرها.

(٤٣)

تلميذ منتحر^(١)

[مجزوء الرمل]

ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى التُّلِّ
مَمِيذٍ دَارًا بَعْدَ دَارٍ
كَيْفَ لَا وَالْحَبِّ قَاسٍ
وَالْأَمَانِي فِي أَنْهِيَارٍ
شَغِيفٌ أَقْسَمَ أَنْ يَنْ
فِي الْكَرَى بَعْدَ الْقَرَارِ
وَأُبَّ صَبَّبَ عَلَيْهِ
كُلَّ ضَغْطٍ وَاحْتِقَارٍ
وَالْفَتَى الْمَحْرُوقُ قَلْبًا
لَمْ يَجِدْ أَيَّ اصْطَبَازٍ
فَمَضَى - يَا لَهْفَ نَفْسِي -
يَطْفِئُ النَّارَ بِنَارٍ

(١) خمر وجمر: ص ٢٠ - ٢٢. القصيدة نفسها من منشورات جريدة الوفاق في ١٨ إبريل ١٩٣٢م: ص ٣، ٤، قدم لها الشاعر بقوله: (.....) عليه رحمة الله والحب معاً طالب بإحدى المدارس الثانوية ولا داعي لتعريفه إذ يكفي أنه ابن رجل قسى القلب عقيم الفكرة حال بينه وبين قلبه بدون تروء فجنى عليه. الطالب كلف بحب إحدى الطالبات ويرغب في التزوج بها مستقبلاً والأب ريفي موقوف العاطفة محدود الخيال حارب ابنه في شعوره وهزم فيه تلك العاطفة وعذره في ذلك أنه يرى أن زواج ابنه من المتعلمات خطأ لأنهن ولأنهن.. وهنا وقف الطالب بين نارين نار الهوى تلهب قلبه ونار اليأس تحرق أمانيه وأخيراً استغاث بنار ثالثة أطفأت عنه حرارة النارين.



فَرُّ مَنْ دَنِيَاهُ لَكُنْ
غَيْرَ مَشْكُورِ الْفَرَارِ



يَا «فَقِيدَ الْيَأْسِ» قَدْ أَخْـ
طَأَّتْ فِي ذَا الْاِخْتِيَارِ
لَمْ لَمْ تَصْبِرْ طَوِيلًا
أَمَلًا فِي الْاِنْتِصَارِ
أَجْـوَازُ الْقَبْرِ خَيْرٌ
لَكَ مِنْ هَذَا الْجَوَارِ



يَا «أَبَاهُ» لَكَ ثُلُثَا
ذَنْبٍ هَذَا الْاِنْتِحَارِ
لَمْ يَكُنْ تَزْوِجُهُ مَنْ
(حَبِّ) أَمْرًا فِيهِ عَارِ
كَانَ أَوْلَى لَكَ تَسْوِيـ
فُ بِمَطْلٍ وَانْتَظَارِ^(١)
قِفْ عَلَى الْقَبْرِ طَوِيلًا
وَاعْتِـذِرْ خَيْرَ اعْتِـذَارِ



لَيْتَ شَعْرِي مَا الَّذِي قَا
مِتْ بِهِ «ذَاتُ السَّوَارِ»

(١) البيت ليس في الديوان.



أَتْرَاهَا حَضَرَتْهُ
حين قالوا في احتضار
أَمْ هِيَ اسْتَحْيَتْ فَلَمْ تَلْ
جاء إلى خلع العذار
قابلت ذلك منه
بـازدراء أم فـخار^(١)
روضه أروى ثراها
بأمانيه الكبار
ثم أودى بعد طول الـ
يأس من قطف الثمار
فاعذروها إن تروها
ذببت بعد ازدهار
واعذروها إن بكته الـ
عمر حفظاً للذمار
واعذروها إن تزده
فهو أولى أن يُزار^(٢)
واعذروها إن تذده
بعد أو تنسى الديار^(٣)
باع فيها الروح عمداً
حاقراً كل اعتبار

☆☆☆☆

(١) البيت ليس في الديوان.

(٢) البيت يتبادل الترتيب مع سابقه في الوفاق.

(٣) البيت ليس في الوفاق.

أَيُّهَا النَّشْءُ رويدًا
كُلُّ مَرَّةٍ لاختِبار
لا تبيعوا العمرَ مهما
كان تَيَّارُ البحار
أزهرُ الـرَّوضِ تَعْتَرِ
زُ بَعْمُرٍ مُسْتَعَار
وزهرُ النَّشْءِ تَذوي
بين ليلٍ ونهار؟!
لا تُزِيدوها اختصارًا
إنها دنيا اختصار

(٤٤)

سل الحمام^(١)

[البسيط]

إليكَ عنِّي بكاسِ الخمرِ يا ساقِي
لا شيءَ أعذبُ لي من فيضِ أماقي
اسقِ الألى قد دنتُ منهم أحبَّتْهم
أو قد تناءوا وميثاقِ الهوى باق
أما أنا فحبيبي ضمُّهُ سَفَرُ
ولم يصنْ في النوى عهدي وميثاقي
قد غيَّرَ البعدُ من أخلاقه فقسا
معُ أنني لم أُغيَّر فيه أخلاقي
عذرتُهُ، فزمانِي لا وفاءَ بِهِ
كلُّ صديقٍ وكلُّ غيرٍ مُصداق
سَيْلُ (الرياء) طغى في الأرض من قِدمِ
فأغرقَ الناسَ لكن شرًّا إغراق
و(الغدر) في الناس قد راجت تجارتُهُ
معُ أنه لم يُبْع يوماً بأسواق
أما «الوفاء» فإنني لم أجد أثرًا
لَهُ سوى لفظةٍ ليكُتْ بأشداق

(١) ديوان شاعر البراري: ٢ / ١١٧، ١١٨.

كُلُّ العلاقات في الدنيا على عِللٍ
حتى علاقتهُ —رزوقٍ برزاقٍ
لولا (الرجاءُ) ولولا (الخوفُ) ما وقف (الـ
مخلوقُ) يومًا على أبواب (خلاقِ)

☆☆☆☆

يا نائيًا ومحياهُ يقرُّبهُ
في الليل لي طولَ تفكيرِي وإطراقِي
سَلِّ الحمائمَ عن نوحِي وعن كلْفِي
فكم بَكَتْ لبكائي ذاتُ أطواقِ
روت لحنَ الهوى عني فإن هَتَفَتْ
يومًا فذلك من بَثِّي وأشواقِي
قد جدتُ بالدُّرِّ منظومًا ومنتثرًا
فابعتُ بدُّرَّكَ لي في طَيِّ أوراقِ
ألا يكنْ في كتابٍ منك يحضر لي
رَيَّ الفؤادِ ففيه رَيُّ أحداقِي

(٤٥)

البحر الأبيض المتوسط كما يرى عند المصايف المصرية^(١)

[الكامل]

مَرَّاهُ مَدْعَاةُ السُّرُورِ وَشَكْلُهُ
عَجِبٌ عَجَابٌ حِينَما يُتَفَقَّدُ
خَلَعَتْ عَلَيْهِ سَمَاءُهُ مِنْ لَوْنِهَا
ثَوْبًا عَلَى قَدَمِ الْمَدَى يَتَجَدَّدُ
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ تَحَسَّبُ أَنََّّهُ
سَهْلٌ مِنَ الْبَنُورِ ثُمَّ مَمَرَّدُ
يَبْدُو لِنَظَرِهِ بَوَاجِهُ أَبْيَضِ
وَوَرَاءَ هَذَا الْوَجْهِ قَلْبٌ أَسْوَدُ
فَكَأَنَّهُ الْإِنْسَانُ تَبَسُّمٌ دَائِمًا
شَفَتَاهُ وَالْقَلْبُ الْمَقْلَبُ يَحْقُدُ

☆☆☆☆

هَرَمَ الْجَدِيدَانِ (النَّهَارُ وَلَيْلُهُ)
وَتَغَيَّرَا وَهُوَ الْجَمِيلُ الْأَمْرَدُ

(١) ديوان شاعر البراري: ٢ / ٧٤، ٧٥.

متبسمٌ طولَ النهار، وفي الدجى
أُنَّاتُهُ مِنْ جَوْفِهِ تَتَصَعَّدُ
فكَأَنَّهُ صَبٌّ يُسَالِيهِ الضُّيَا
حتى إذا جَنَّ الدجى يتنهدُ
عادي العواصفَ وهي عادتهُ فإن
مرَّت عليه يثورُ ثمَّ يعربد
نبراتُ صوتِ صريره منظومةُ
حتى يُخَيِّلُ أَنَّهُنَّ تُغَرِّدُ
فكأنَّ أَلْسِنَةَ الزمانِ نواطقُ
وكأنَّها تُمَلِّي عليه وينشد
يا ليت شعري ما يقول ، أناقدُ
لبلادِ مصرٍ أمْ نَصُوحُ مرشد؟
إن كانتِ الأولى، فإنَّ عيوبَنَا
تزدادُ ما دامت تُعَدُّ وتُنقَدُ
أو كانتِ الأخرى، فإنَّ نفوسَنَا
فيها على نصيح النَّصُوحِ تمرُّدُ
إن ساءَ مِنَّا تقهقرُنَا فقد
ما سرُّهُ مَجْدُ لِمَصْرَ وسُودُ
أو أنكرَ الجيلَ الحديثَ فإنه
ما زال للجيلِ المقَدِّمِ يشهد

ظني يحدثني بأن صريره
ذكرٌ لماضي (مصرنا) وتعبد

☆☆☆☆

تلقاه يرقص في سكون نسيمه
وتراه إن هبَّ النسيمُ يزغرد
والموجُ يأتي شامخاً حتى يرى
أرضَ الفراعنةِ العظامِ فيسجد

(٤٦)

جزى الله الشدائد كل خير^(١)

[البسيط]

لَمَّا مَرَضْتُ وَرَزْتُ النَّاسَ فِيهِ، وَقَدْ
عَرَفْتُ أَرْجَحَهُمْ فِي الْوَدِّ مِيزَانَا
حَيْثُ انْتَبَهْتُ وَحَوْلِي أَعْيُنٌ نَزَفَتْ
عَلَيَّ مَدَمَعَهَا الْفَيَاضَ أَشْجَانَا
بَلَّلَنِي بِالْدموعِ الصَّادِقَاتِ كَمَا
بَلَّ النَّدَى فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ بَسْتَانَا
فَلِيحْضِرِ الْمَوْتَ أُنَّى شَاءَ مَقْتَحَمًا
فَلَنْ أُورِّطَ يَوْمَ الْمَوْتِ إِنْسَانًا
خَلْفِي الْعَيُونَ اللَّوَاتِي حِينَ تَحْضُرُنِي
(يَنْسُجْنَ) لِي مِنْ رَقِيقِ الدَّمْعِ (أَكْفَانَا)

(١) خمروجمر: ص ٥١.

(٤٧)

جيوب الموظف

بعد يوم عشرين من الشهر^(١)

[الوافر]

يَمِينُ اللَّهِ مَا عُمِدُ «السَّرَايِرِ»

وإِنْ خَدَعَتْ مَنَازِلُهَا النُّوَاطِرُ^(٢)

وَلَا «الْمَعِدَاتُ» فِي رَمْضَانَ ظَهْرًا

يُسَيِّلُ لِعَابِهَا «نَفْخُ الْفَطَائِرِ»^(٣)

وَلَا دُورُ الْبِرَامِكِ يَوْمَ دَارَتْ

عَلَى أَصْحَابِهَا شَرُّ الدَّوَائِرِ^(٤)

وَلَا قَلْبُ الْتِي أَلْقَتْ «بِمُوسَى»

وَلَيْدًا بَيْنَ أَمْوَاجِ زَوَاخِرِ^(٥)

(١) من خط يد الشاعر.

(٢) السراير: جمع سرير على الصياغة العامية، والفصيح سُرُر، وأسرة، وعمد السراير أعمدة أربعة تتخذ عند أركان السرير، يشد عليها غطاء كالقبة لحجب الضوء والهوام؛ يعرف في مصر بالناموسية. وأعمدة الأسرة غالباً ما تكون من النحاس وغالباً ما تكون مجوفة.

(٣) نفخ الفطائر، وفتحها: طرائق في صناعتها.

(٤) إشارة إلى البرامكة وزراء بني العباس ونكبتهم على يد الرشيد.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ

بأفرغ من (جيوب ذوي المَهايا)
إذا دهمتهم (العشرُ الأواخر)^(١)

تَتَّخِذُهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»، القصص: ١٠-٧.

(١) ذوو المَهايا: أصحاب المرتبات والمعاشات الثابتة. والمَهايا: جمع ماهية وهي تعني الراتب الشهري.
والعشرُ الأواخر يقصد الشاعر الثلث الأخير من الشهر، ويوري بأيام الاعتكاف.

(٤٨)

بين نحلة وروض^(١)

[الرمل]

قالت النحلة للروض النضير
أزهـورُ تلك أم تلك ثغورُ؟
أنتَ قد أصبحت أبهى منظرًا
من سماءٍ قد تحلَّتْ بالبدور
فَلْتَدْعُنِي الآنْ أَهْدِي قُبُلَتِي
لأزاهيرِكَ مِنْ فَرْطِ السُّرور
فتثنَّى الروضُ عُجْبًا حينما
قَرَّظَتْهُ، وتَفَشَّاهُ الغرور
ثم ناداهـا ألا هـيَّا ادخلي
قبلي زهري على سمع الغدير
عبثتُ بالزهر لما دخلتُ
ثم فـرَّتْ برحيقٍ وعبير
وكذا يا صاحبي الحالُ إذا
ما تهاوَّنتَ لأربابِ الشُّرور

(١) خمروجمر: ص ١٩.

(٤٩)

اصفرار الشمس في الغروب^(١)

[مجزوء الكامل]

شمسُ الضحى ما بألها
تصفرُّ في وقت الغروب
أَمِنَ النوى تصفرُّ أم
تصفرُّ خيفةً أن تؤوب؟
أَمْ هَلْ تَمَثَّلُ لِأَنَا
مِ مُجِبَّةً فَقَدْتُ حبيب؟
لَا بَلْ هِيَ اعْتَلَّتْ لِمَا اطَّ
طَلَعَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعُيُوبِ

(١) خمر وجمر: ص ٤٨. وقد وردت المقطوعة على ثلاث أبيات فحسب ضمن ديوان الفؤاديات: ص ٩٦؛ قسم الأسئلة والأجوبة، على هذا النحو:

ماذا تراه في اصفرا	ر الشمس في وقت الغروب؟
أمن النوى تصفرُّ أم	تصفرُّ خيفة أن تؤوب؟
أم إنها اعتلت بما اطَّ	طلعت عليه من العيوب؟

(٥٠)

الحارس^(١)

[المتقارب]

أيا حارسَ الروضةِ ارقُدْ فإنَّ
أقلُّ اللصوصِ لصوصَ الزهورِ
ويا حارسَ الجيفةِ اسهرْ عليها
طويلاً، فإنَّ الكلابَ كثير

(١) مجلة الدوحة، العدد ٧٨، يونيو ١٩٨٢م: ص ٣٩.

مع الشكوى

(٥١)

يا عيد^(١)

[الكامل]

يا عيدُ عدتَ فهِزَّنِي شَجَنِي
هَلَعًا عَلَى الْأَهْلَيْنِ وَالْوَطَنِ
دارَ الزَّمَانِ عَلَيَّ دَوْرَتَهُ
فَغَدَوْتُ لَا طِيرِي وَلَا فَنَنِي
اشْتَاقَكَ الْخَالُونَ وَابْتَهِجُوا
لَمَّا قَدِمْتَ بِوَجْهِكَ الْحَسَنِ
جَدَّدْتَ بَشْرَهُمْ وَهَنَكَ كَمَا
جَدَّدْتَ لِي مَا رَثْتُ مِنْ حَزَنِي
فَإِذَا فَرَعْتُ فَلَا أُلَامَ عَلَى
فَرَعِي لِأَنَّكَ مَوْسِمُ الشَّجَنِ
سَمَّوُكَ «عِيدًا» لِيَتَّهِمَ وَضَعُوا
«وَأَوَّا» فَأَنْتَ «وَعِيدُ» ذِي الْمِحَنِ
أَتَيْتَ تَحْضُرُ دَفْنٍ عَاطِفَتِي
أَمْ جِئْتَ مُعْتَذِرًا عَنِ الزَّمَنِ؟
أَنَا مِنْكَ يَا عِيدَ عَوْدِكَ لِي
مَا دَامَ دَلَوِي غَيْرَ ذِي رَسَنِ
يَا عِيدُ عَاتِبْ لِي الزَّمَانَ عَلَى
تَقْصِيرِهِ فِي الْفَرَضِ وَالسُّنَنِ

(١) جريدة الوفاق، ١٥ يناير ١٩٣٤م.

يا عيد قصدي أن أسأله
فاطلب إليه أن يجاوبني
أيظل همّي فيه منتبها
ويظل حظّي منه في وسن؟
أو إن أمت من ذا سيدفعه
وجدأنه حتى يكفّنني؟
إنّي لأسمع للمنون صدّي
صوتٍ يرنّ الآن في أذني
وأخاف من توريط غيري لي
وأعوذ من كفن بلا ثمن
لو تصلح العبرات لي كفنا
لنسجت قبل منيتي كفني

(٥٢)

إلى العيد^(١)

[مجزوء الكامل]

يا عيدُ يا داعي المسرُ
رّة في البريّة والحَزَنُ
أسمعتَ فرطاً توجُّعي
ورأيتَ ما فعل الزمن؟
محنٌ تُطوّحُ بي كما
شاء الشقاء إلى محن
باع الزمانُ عواطفِي
للحادثات بلا ثمن
وبقيتُ لا أنا سائلُ
عنها ولا أنا مطمئن

☆☆☆☆

يا عيدُ طبعاً ملّتْ لُـ
خالينَ بالوجه الحسن
أما أنا فكما علمُ
ت فملّ بأُذُنك لي إنْ
أشكو وما أشكو سوى
قلبي، فقلبي لم يعن

(١) جريدة الوفاق.

أودعــتُ صـبـري عـندـه
وهـو الأـمـنـيـن المـؤتـمـن
فبـغـى وخـان وديـعـتي
لو كـان مـنـي لم يـخـن

☆☆☆☆

يا عـيـدُ، غـيـري فـيـك يشـ
دو هـائـمـًا وأنـا أئـن
أنـا للـجـوى و طـنـ، وكم
مستـوطـن خـان الـوطـن
لبـسـوا هـنا خـلـل الـهـنا
ولـبـسـتُ مـنـسـوج الشـجـن
ومضـيت أعـثـر فـي ذـيو
ل الـدمـع لم تـقـصـر ولن
مات الـفـؤاد مـن الـجـوى
فـنـسـجت مـن دـمـعي كـفن

☆☆☆☆

يا عـيـدُ عـاتـب لـي الزـمـا
نَ عـسـاه يـحـنو أو يـحـن
قـد نـال مـنـي ما أـرا

د «بنكبة الشيخ المسن»^(١)

(١) إشارة إلى والده، وكان قد زج به إلى السجن في أحداث غريبة شرحها الشاعر نفسه، بعد أن أشار إليها في كثير من قصائده: والذي وقعت له حادثة مدهشة مفادها أن جريمة قتل وقعت في عشرينيات القرن العشرين؛ في أرضنا الزراعية المتاخمة لأرض أحد الباشوات من كبار رجال الاقطاع، وأقنع مرتكبوا هذه الجريمة من أتباع الباشا والذي أن ينسب التهمة إلى نفسه حتى لا يأتي ذكر اسم الباشا في التحقيق،

كيف استهان بالوالي
وبغيره لم يستهن
أمن «المساجد للسجود»
ن؟ لحيث يا دهر المحن
يا عيدٌ جددت الأسى
يا ليت أنك لم تكن

وأن الباشا سيعمل على إخراجه بنفسه، وأن ذلك سيظل جميلاً يذكره له الباشا بكل تقدير. فاعترف بأنه الجاني والاعتراف سيد الأدلة، ودخل السجن وهو ظالم لنفسه، ولم يسأل عنه الباشا ولا أعوانه، وعمل لحسن سلوكه مؤذناً وخادماً لمسجد السجن حتى خرج حطاماً منكساً ومات - رحمة الله عليه - وهو راکع يؤدي صلاة الفجر في مسجد القرية (كفر الجرايدة)، ولم يبيع لي ببراءته - خجلاً من اعترافه بالجريمة أمام المحكمة. (فعاشا كلاهما نفس الضائقة الأب دخل بسذاجته السجن والابن كان سجين الحيرة والألم) «والعبارة الأخير نقلاً عن الحفيد».

(٥٣)

شجون^(١)

[الرمل]

هل يضمُّ الليلُ غيري^(٢) مَوْجَعًا؟
يصطلي شكوي أو نشكو معا^(٣)
طُلْتُ يا ليلُ على جفني إلى
أن حسبتُ الفجرَ ضلُّ المطلقا^(٤)
إنه الهمُّ - لحاه الله - قد
عضَّ وجداني وقضَّ المضجعا^(٥)
رائحًا في سفح قلبي غاديًا
حالفًا أن يرتعي أو يرتعا^(٦)

☆☆☆☆

(١) نشرت القصيدة على هذا النحو بجريدة الوفاق، وقد نشر إسماعيل الصيفي أبياتًا منها في الديوان الكبير لشاعر البراري مرتين تحت عنوان «اسمعي» أولاها: ص ١٣٦؛ نقلًا عن ديوان «خمر وجمر»؛ ثنتاهما: ص ٣٠٤ نقلًا عن ديوان «وحي البراري» سنشير إلى الأولى بـ (اسمعي أ)؛ وإلى الثانية بـ (اسمعي ب).

(٢) في الديوان الكبير، (اسمعي أ): «غير» وهو خطأ طباعي ظاهر.

(٣) في الديوان الكبير، (اسمعي ب): «أشتكي بلوأي، أو نشكو معًا». وتجدر ملاحظة التداخل الشديد بين مطلع هذه القصيدة ومطلع قصيدة: «طلع البدر لكي يشهد لي»، (النص رقم ٥٧ من هذا الديوان).

(٤) بعد هذا البيت في الديوان الكبير، (اسمعي ب):

لم يؤرقني هوى الغيد، ولا طمعي في أن أرى لي مطمعا

(٥) في الديوان الكبير، (اسمعي أ): «حزَّ وجداني وهزَّ المضجعا»، ورواية البيت في (اسمعي ب):

بل هو الهمُّ، وما أكثره حزَّ في جنبي وهزَّ المضجعا

(٦) ليس البيت في الديوان الكبير، (اسمعي ب).

اشهدي يا «نَيِّراتِ الليل»^(١) لي
 أنني إن تهجعي لن أهجعا
 واسمعي يا «نَائحات الدوح» أو
 رجّعي لي الشجوّ يَحْسُنُ^(٢) موقعا^(٣)
 لذّتي اليومَ وقبل اليوم في
 أن أبثّ الشجوّ^(٤) أو أن أسمعاً^(٥)
 قد نظمتُ الشعر حتى ملّني
 فانظروا كيف نظمت الأدمعا



مَنْ مُعِينِي فِي سَهَادِ وَجْوَ
 نَزَعَا بي للتلاشي منزعا؟^(٦)
 لي «أَبُّ شَيْخٍ كَبِيرٍ»، سجنُهُ
 لم يدع لي في الليالي مطمعا
 لهف نفسي لهفًا، إن أَرَهُ
 ضاع في السجن أراني أضيعا
 بعده أودع عندي أرقًا
 لن أخون البعد فيما أودعا



-
- (١) في الديوان الكبير، (اسمعي أ): «يا نيرات الأفق».
 (٢) في الديوان الكبير، (اسمعي أ): «يصعب موقعا».
 (٣) في الديوان الكبير، (اسمعي ب) مكان هذا البيت:
 اسمعي لي يا طيور الدوح أو اسمعيني الشجوّ حتى أضرعا
 (٤) في الديوان الكبير، (اسمعي أ): «أن أبث الوجد».
 (٥) في الديوان الكبير، (اسمعي ب):
 ليس لي في هذه الدنيا سوى أن أبث الوجد أو أن أسمعاً
 (٦) البيت والأبيات الثلاثة التالية بعده، ليسوا في الديوان الكبير (اسمعي أ)، ولا (اسمعي ب).

(٥٤)

[بالأمس]^(١)

[البسيط]

بالأمس قد كنتُ في أحضان أوطاني
أجول بين طواويسٍ وغزلانٍ
وبين صحبٍ بهاليلٍ جميعهمو
في جود كعبٍ وفي تبيانٍ سحبان^(٢)
واليومَ أصبحتُ في «...»^(٣) مغترَّبًا
تحوط بي يا «رخا» أشباه أوثان
مِن كُلِّ فِظٍّ غليظِ القلبِ أو سميحٍ
مُسَرِّبٍ بالخنا أو مجرمٍ جانٍ
إنَّ جَنِّ ليلي بها جُنُّ الفؤادِ وإنَّ
ناح الحمام على الأفنانِ أفناني
وليس لي بين أهليها أخو ثقةٍ
أفضى إليه بالآمي وأشجاني



(١) محمد السيد شحاتة، ديوان شاعر البراري، الجزء الأول، المطبعة الأهلية الكبرى بطنطا، مصر ١٩٢٨م: ص ٥١، ٥٢. وقد كتبها الشاعر ردًا على كتاب ورده من صديقه الكريم الشيخ سيد أحمد محمد رخا يسأله فيه عن حالته، وكان الشاعر آنذاك في بلدة لم ترق له ولم يهدأ بها باله.

(٢) كعب: هو كعب بن مامة الإيادي، وهو صاحب المثل المعروف: اسق أخاك النمرى، الذي فضل رفيقًا له من النمر بن قاسط على نفسه وسقاه نوبته في الماء على قلة حتى هلك كعب. وسحبان: هو سحبان بن وائل خطيب العرب ويليغهم المشهور قبل الإسلام.

(٣) هكذا في الأصل وكان الشاعر لم يرد التصريح باسم البلدة.

مَنْ لِي بِعَهْدٍ سَعِيدٍ كُنْتُ فِيهِ مَعِيَ
نَجْنِي ثَمَارَ الْهَنَا مِنْ دَوَجِهِ الدَّانِي
أَيَّامَ أَنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ بِاسْمَةٍ
وَنَحْنُ الْفَنَانُ وَاللِّذَاتُ الْفَنَانُ
مَرَّتْ وَأَبْقَتْ لَنَا ذِكْرِي مَبْرَحَةً
وَكُلُّ شَيْءٍ لِتَغْيِيرٍ وَنَقْصَانٍ

(٥٥)

إلى الزمن^(١)

[الوافر]

ألا يا أيها الزَّمَنُ المَسِيءُ
بوَدِّي لو تُسَاءُ كما تُسِيءُ
جبانٌ في مجامِلتي ولكنْ
غَدوتَ وأنتَ في أَخْذي جَرِيءُ^(٢)
تَوَخَّتَنِي كَوَارِثُكَ^(٣) اللُّواتي
إذا نَزَلَتْ^(٤) بَأْفَقٍ لا يَضِيءُ
فَكَارِثَةٌ تَرْوُحُ بَبْعُضِ قَلْبِي
مَشْيَعَةً وَكَارِثَةٌ تَجِيءُ
ولا صَبْرٌ عَلَيَّ البَلَوَى جَمِيلُ^(٥)
ولا عَيْشٌ مِنَ الدُّنْيَا هَنِيءُ

(١) خمر وجمر: ص ٣٠. ونشرها إسماعيل الصيفي لشاعر البراري تحت عنوان «زمانى» باختلاف في الرواية: الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٣١٦؛ نقلًا عن ديوان «وحى البراري».

(٢) رواية البيتين الأولين في الديوان الكبير:

زمانى عن مناصرتي جبانٌ ولكن في مناوأتى جريءُ

وكنْتُ أودُّ منه صفو يومٍ لأنظر كيف يُحسِنُ من يسىءُ

(٣) في الديوان الكبير: «كوارثه».

(٤) في الديوان الكبير: «إذا علقت».

(٥) في الديوان الكبير: «ولا قلبٌ يبُلُّ أوام قلبي».

كأن الناس في الدنيا «شهورٌ»

لها مقدارُها: ^(١) وأنا النسيء ^(٢)

(١) في الديوان الكبير: «لها تقديرها».

(٢) النسيء: لغة هو التأجيل، وكانت العرب إذا أدركتها الأشهر الحرم وهي في سعيها إلى القتال، ذهبت إلى تأخير الشهور، فقدمت صفراً على محرم، وغير ذلك تحايلاً، وفي هذا يقول تعالى: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا﴾، التوبة: ٣٧.

(٥٦)

أَنَّة^(١)

[الطويل]

«ثلاثون» عامًا لم أُروَّعُ بحادثٍ
وأربعةٍ جاءت بِطَوْدٍ خُطوبٍ
فَشَبْتُ مشيبَ الزرع قبل أوانِهِ
بوادٍ لئيمٍ الجوِّ غيرِ خصيبٍ
ومَن لم يَشِبْ مِنْ هَوْلٍ «شيئَيْنِ» لم يشبْ
«تحكُّمٌ نذلٍ» أو «فراقٌ حبيبٍ»

(١) خمر وجمر: ص ٤٠، ٤١.

(٥٧)

طلع البدر لكي يشهد لي^(١)

[الرمل]

هل يضمُّ الليلُ غيري مولعا
أين هُو، كي نسهرَ الليلَ معا
طلع البدرُ بآفاق السما
ليته غاب ويـدري طلعا
طلعَ البدرُ لكي يشهد لي
أنني أرعى الشُّها فيمن رعى
ادعُهِ يا بدرُ كي يُسفرَ لي
فأخو المرءِ مُجيبٌ إن دعا

(١) ديوان شاعر البراري: ٢ / ١١٦، ١١٧.

(٥٨)

في طلل^(١)

[الكامل]

يا منزلاً سَجَدَتْ جَوَانِبُهُ
وَتَقَلَّصَتْ أَيَّامُهُ الْأَوَّلُ
أَكْذَا اللَّيَالِي تَنْتَنِي وَكَذَا
يَنْتَبُو الرِّجَاءُ وَيُخْجِمُ الْأَمَلُ
بِالْأَمْسِ أَنْسُكَ كَانَ مَكْتَمَلًا
وَالْيَوْمَ فَيْكَ الْبُؤْسُ مَكْتَمَلُ
أَصْبَحْتَ لَا بِشَرٍّ عَلَيْكَ وَلَا
بُشْرَى وَلَا حَلِيٍّ وَلَا حُلَلُ
إِلَّا دَمَوْعًا جِئْتُ أَنْثَرُهَا
فِي إِثْرِ قَوْمٍ عَنْكَ قَدْ رَحَلُوا
حَسُنَ الْبُكَاءُ الْيَوْمَ فَيْكَ كَمَا
قَدْ كَانَ قَبْلًا يَحْسُنُ الْغَزَلُ
تُتَبَادَلُ الْأَنْثَاتُ فَيْكَ وَكُمُ
بِالْأَمْسِ فَيْكَ تُبْوَدِلْتُ قُبُلُ
اشْرَحْ لِقَلْبِي مَا تُكَابِدُهُ
وَاسْمَعْ لَهُ فَكَلَاكَمَا «طَلَلُ»

(١) خمر وجمر: ص ٣٧، ٣٨.

(٥٩)

الأمل الضائع^(١)

[مجزوء الكامل]

يا أيها الحالمُ الذي
— إذْ أحيانَ تبدأ تنتهي؟
لهفِّي على الأمل الذي
من حيث أبنيهِ يهي
«ترنيمته» حالفَ الزما
نُ لَتَنُتْهي «بتأؤهِ»
شَرُّهُ الأمانِي إن يخبُ
فأننا الذي لم أشهره
أُمَّلْتُ «ميسور المنا
ل»، مُعَلِّلاً نفسي به
لكنَّ دهري صدَّ عنْ
ني كل ما أنا أشتي
أين السَّبيل لغفلة؟
فلقد مالت تنبُّهي
مَن لي بقلبٍ جامدٍ
أو ظلٍّ (عيشة) أبْلَه؟

(١) جريدة الوفاق، أغسطس ١٩٣٢م: ص ٥.

قلبي وعقلي شؤها
 ما كان غير مشؤه
 قد أظهر من وجهه
 ذا الدهر جملة أوجه
 والدهر إن فتشت في
 أحواله يتنبه
 أنا «شامت» يا قوم في
 «قلبي» شماتة مُزده
 وجّهته «الأيأس» في
 الدنيا فلم يتوجه
 وبغير ودي طاف في
 «أمل» هناك مموه
 أمل تلهي والفتوا
 دُ بغيره لا يلهي
 أضر قلبي نفسه؟
 (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنَ بِالنَّاصِيَةِ ﴿العلق: ١٥﴾)

(١) تداخل نصي مع قوله تعالى: «كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنَ بِالنَّاصِيَةِ» العلق: ١٥.

(٦٠)

مكافأة^(١)

[مجزوء الكامل]

أَحَبُّبْتُهَا مَلَّاءَ الْفَوَّادِ
وَرَضَيْتُ فِيهَا بِالسُّهَادِ
وَمَدَدْتُ مَقْصُورَ الشُّبَا
لِكِ لَصِيدِهَا فِي كُلِّ وَادٍ
وَتَمَنَّيْتُ فَكَأَنَّهَا (الْـ
عَنْقَاءُ) تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَ
بَعُودَتْ فَرَادَ تَمَامُ لِي
لَا كُنْتُ يَا عَهْدَ الْبِعَادِ
فَمَتَى أَشَاهِدُ وَجْهَهَا
وَأَقُولُ عَادَ (السَّنْدِيادُ)؟
لَوْلَا الْمَنَى لَنَسِيْتُهَا
وَلَبَعْتُهَا بِيَعِ الْكَسَادِ

☆☆☆☆

نَادَيْتُ مَنْ نَادَيْتُ فِيهِ
هَذَا ثُمَّ لَمْ يُغْنِ التَّنَادِ

(١) خمر وجمر: ص ٣٣. وقد كانت للشاعر مكافأة عن مدة قضاها في وظيفة حكومية، ول سوء الحظ لم ينتبه إلى المطالبة بها إلا بعد انتهاء مهلتها القانونية، فكتب هذه القصيدة مشتبهاً بها.



فكَأَنَّنِي كَأَفْتُهُمْ
أَنْ يَفْتَحُوا السَّبْعَ الشَّدَادِ

☆☆☆☆

يَا أُخْتَ شِعْرِي فِي الْبَيَا
ضٍ وَأُخْتَ حَظِّي فِي السُّوَادِ
حَيْنِي يَحْنُ إِلَى لِقَا
كَ فَهَلْ لَهْجَرِكَ مِنْ نَفَادِ



(٦١)

طنطا^(١)

[البسيط]

رأيتُ طنطا أخيراً غيرَ واسعةٍ
وقد يرى الغيرُ فيها الشبرَ ميدانا^(٢)
وجعتُ يا صاحِ في طنطا، ولا عجبُ
«ما جُعتُ بطنًا»، ولكن جعت وجُدانا

(١) من خط يد الشاعر.

(٢) طنطا عاصمة دلتا النيل ورابعة كبرى مدن مصر بعد القاهرة والإسكندرية والمنصورة، تعرف باسم مدينة البدوي، أو مدينة شيخ العرب نسبة إلى وجود ضريح السيد أحمد البدوي أحد أقطاب الصوفية الكبار بها. وهي مدينة عتيقة عرفها الفراعنة باسم تناسو، وأسمائها الإغريق تانيتادا وتحول في القبطية إلى طنيطاد وبعد الفتح الإسلامي عرفت باسم طننتدا، وتحول الاسم في العصر الأيوبي إلى طننتا، إلى أن وصل إلى صورته الأخيرة في عهد محمد علي باشا.

(٦٢)

سبورة الحائط^(١)

[الكامل]

يا أُخْتَ حَظِّي فِي السُّوَادِ لَقَدْ
عَكَفُوا عَلَيْكَ كَأَنَّكَ الْوَثْنُ
ثَوْبُ الْحَدَادِ لِبَسْتِهِ عِبْثًا
إِذْ أَنْتَ لَا تَدْرِينَ مَا الْحَزْنُ
خَلَّى الْحَدَادَ لِمَنْ لَهُ كَيْدٌ
جَارَتْ عَلَيْهَا النَّاسُ وَالزَّمَنُ
سَالَتْ عَلَيْكَ قُلُوبُنَا عَلَنًا
وَلَدَيْكَ لَا سِرٌّ وَلَا عَلَنٌ
وَمَكُنْتُ أَشْكُو مَا أَكَابَدُهُ
وَمَكُنْتُ لَا سَمْعَ وَلَا أَذْنَ
عَجَبًا جُمُودٌ أَمَامَ لَا عِجَتِي
وَتَنَاهَدَاتٍ كُلُّهَا شَجْنٌ
لِيَنِي لِأُسْمِعَكَ الْمَظَالِمَ أَوْ
لِيَنِي لِيَصْلُحَ مِنْكَ لِي كَفْنٌ

(١) خمر وجمر: ص ٢٤، ٢٥ والسبورة هي لوح الدرس الذي يكتب عليه المعلم.

مع الراحلين

(٦٣)

الذاهبون^(١)

[الكامل]

رَكِبُوا الفناءَ إلى البقاءِ وساروا
في حيثُ لا رُجعى ولا استفسارُ^(٢)
في حيثُ لا الغَوَاصُ يدرك دائبًا
أخبارَهم يومًا ولا الطيار^(٣)
دانينَ لم نَفْهَمُهُمُو، نائينَ يَجُ
مَعُنَا^(٤) وإيَّاهُمُ حمى وجوار
قربٌ وبعدٌ في مكانٍ واحدٍ
هذا الذي جعل العقول تحار

☆☆☆☆

وكأنهم يا صاحٍ أفرأخ القطا
لا مخلصٌ يعدو ولا منقار^(٥)
ساوى الثرى ما بينهم فكأنه
وجهٌ وهُمُ في عارضيه عذار

(١) خمر وجمر: ٣١، ٣٢. والقصيدة غير مكتملة منشورة باختلاف كبير في الديوان الكبير لشاعر البراري:

ص ٣٢٥، ٣٢٦؛ نقلًا عن ديوان «وحي البراري».

(٢) في الديوان الكبير: «وناؤوا فلا خبرٌ ولا استفسارٌ».

(٣) البيت غير موجود في الديوان الكبير.

(٤) في الديوان الكبير: «بعداءٌ لم نسمع بهم قرياءٌ يج معنا».

(٥) البيت غير موجود في الديوان الكبير.

لا جاهُهم عند البلى جاء، ولا
 جَبَّارُهم تحت الثرى جَبَّارُ
 نزلوا المقابر «ثِيَّباتٍ» كلُّها
 وذنوبُهم من حولهم «أبكارُ»^(١)
 وامتدَّ ليلهمو هناك، فما له^(٢)
 إلا القيامة وحدها إبكار
 صاموا وبطنُ الأرض مفطرة بهم
 لله هذا الصوم والإفطار
 وتحاضنوا تحت القبور كأنما
 بطنُ الثرى دوح وهم نوَّار^(٣)
 أو هكذا ذو الثأر يغفلُ ثأرُه
 عمداً، ويأمنُ مَنْ عليه الثأر^(٤)
 أين المسالبُ والمثالبُ بينهم؟
 أين التنافسُ؟ أين الاستئثار؟
 أين المغارمُ والمغانمُ والجها
 دُ المرُّ؟ أين الحرص والإيثار؟
 أين التَّأَلُّقُ والتَّأَنُّقُ والعُلا؟
 أين البشائرُ أين الاستبشار؟
 أمست جسومُهم الخصابُ بلى الثرى
 مثل الرياضِ^(٥) أصابها إعصار

(١) في الديوان الكبير البيت مع البيت الذي يليه يتقدمان البيتين السابقين عليهما.

(٢) في الديوان الكبير: «فإذا عشيتهم تطول، وهل لها».

(٣) رواية الشطر الثاني في الديوان الكبير: «هي أغصن لهمو وهم أزهار».

(٤) في الديوان الكبير:

أو هكذا ذو الثأر يرغمه الثرى حتى يجاور من عليه الثأر؟

(٥) في الديوان الكبير: «قطع الرياض».

والعمرُ لحنٌ، واللحونُ إذا انتهى
توقيُّعُها تتعطلُ الأوتارُ^(١)
واليوم هم عظةُ العظاِطِ فطالما^(٢)
وضَحَ المرادُ وكلُّهُ إضمار
جهر الزمان لنا بِهِمْ وأسرُّهُمْ
فاليومُ هُمْ جَهْرٌ، وهُمْ إِسْرار
بالأمس يا صاحِ استعارَتْهُمْ من الرُّ
رَحْمَنِ دنياهم وبئس الدار^(٣)
واليوم يا صاحِ استعارَهُم الثرى
منها وما في الاستعارة عار
وغداً يُعيدُهُم الثرى لخلافِهِ
وخلافُهُ هو «جَنَّةٌ أو نار»
إن المنيَّةَ وحدَها قد أثبتَتْ
أن المهيمنَ واحدٌ قَهَّار^(٤)

(١) هذا البيت نهاية إحدى فقر القصيدة في الديوان الكبير وبعده:
كانوا عظام في الحياة وقد مضوا لسبيلهم وتلاشت الأثار؟
(٢) في الديوان الكبير: «وطالما».
(٣) البيت والبيتان التاليان عليه غير موجودين في الديوان الكبير.
(٤) في الديوان الكبير:
يا قاهراً بالموت كل عبادة أمنت أنك واحدٌ قَهَّار

(٦٤)

الموت^(١)

[الكامل]

ملكٌ يغارُ على الملوكِ جهارا
فإذا بهم في قبضتيه أسارى
يسطو عليهم في مخادعهم فلم
يجدوا لهم شفعاء أو أنصارا
لا تمنعُ الأسوار عنهم بطشه
فإذا أراد تَسَوَّرَ الأسوارا
لا يفتديهم من مخالبيه فدا
حتى ولا ملء الفضاء نضارا
سلطانه في الكون ماضٍ حُكْمُهُ
فهو الذي يستخدم الأقدارا
يهوي إلى قاع البحار ويمتطي
متن السَّماء فيقبض الأطيّارا
لا تستطيعُ الخلقُ خدعته كما
لا تستطيعُ الخلقُ منه فرارا
يذرُ (ابنَ آدم) جاثيا فكأنه
لَمَّا أتاه قد سقاه عقارا

☆☆☆☆

نلهو ونلعب وهو يرصدنا على
كثبٍ كقطّ بات يرصد فارا

(١) ديوان شاعر البراري: ٩٠ / ٢ - ٩٢.

تتذاكر الآمالُ وهُيَ كوامنُ
فينا وننسى الوائبَ الكرارِ
ونبيتُ نحسبُ للحياة حسابَها
ويبيتُ يحسبُ خلفنا الأعمارِ
تجري بمقدارٍ ويجري خلفها
أيضاً إلى أن تقطع المقدارِ
لا ينتني عن قطف أزهار (الشبا
ب) ولا يُقدِّرُ (للمشيب) وقارِ
يتخطَّفُ (الطفل الصغير) ولا يرقُ
قُ لأكْبُدِ باتت عليه حرارِ
ويمدُّ كفاً (الفتاة) فينتضي^(١)
عنها ستارَ محاسنٍ وستارِ
ويؤمُّ^(٢) بيتَ (الشيخ) غيرَ مفكِّرِ
أأتاه ليلاً أم أتاه نهارِ
 ويفرق الزوجين بعد تجمُّعٍ
ركباً له الأهوال والأخطارِ



نبني على أسس المنى أمصارنا
فيهدِّمُ البانين والأمصارِ
لوفكَّر الإنسانُ فيه ما بنى
يومًا على سطح البسيطة دارِ
ويلاه منه فهو قاسٍ عندما
يأتي ولم يرسل لنا إخطارِ

(١) ينتضي: ينزع.

(٢) يؤم: يقصد.

هذا هو السرُّ الذي قد أدهشَ الـ
أَلْبَابَ بَعْدُ وَحَيَّرَ الْأَفْكَارَا
سِرُّ مَنْ الرَّحْمَنِ إِلَّا أَنَّهُ
سِرُّ لَعَمْرِي يَدْرِكُ الْأَسْرَارَا

☆☆☆☆

إِنِّي لِأَعْجَبُ (لَا بِنَ أَدَمَ) مَيِّتُ
وَيَكَادُ لَا يَطُأُ الثَّرَى اسْتِكْبَارَا
مَتَكَبِّرُ مَتَجَبِّرُ وَالْمَوْتُ مَا
شِ خَلْفَهُ مَتَكَبِّرًا جَبَّارَا
قَدْ غَرَّهْ صَفْوُ الْحَيَاةِ وَلَمْ يَزَلْ
صَفْوُ الْحَيَاةِ لِأَهْلِهَا غَرَّارَا
لَوْ كَانَ يَحْمِلُ غَيْرَ خَادِعَةِ الْمَنَى
مَا كَانَ يَحْمِلُ جِهْدَهُ أَوْزَارَا
يَدْرِي بِأَن قَرَارَهُ جَوْفُ الثَّرَى
وَيُودُّ لَوْ تَخَذَ السَّمَاءُ قَرَارَا

☆☆☆☆

أَوْ بَعْدَ هَذَا يَا ابْنَ أَدَمَ تَنْتَنِي
تِيَّهَا وَتَمَلَأْ جَانِبِيكَ فَخَارَا؟
إِنَّ الَّذِي جَعَلَ الْحَيَاةَ كِرَامَةً
جَعَلَ الْمَمَاتَ مَذَلَّةً وَصَغَارَا

(٦٥)

وقفة على قبر^(١)

[مجزوء الكامل]

يا شِعْرُ فُضْ فَهْنَا الشَّعُورُ
وهنا الجنى وهنا الزُّهُورُ
وهنا الكواكبُ في سَنَا
ها^(٢) والأهْلَاءُ والبُدُورُ
التاركاتُ «بروجهنْ»
نَ «تَكَادُ مِنْ هَلَعٍ تَطِيرُ»^(٣)
الغاريات وخالفهنْ
نَ نجوم أدمعنا كثير^(٤)
اللابساتُ خسوفهنْ
نَ العارياتُ من الخدور
الننازلاتُ «محاقهنْ»
نَ «مِنَ الثَّرَى أَبَدَ الدَّهْورُ»^(٥)

(١) جمر وخمر: ص ٢٣، ٢٤. والقصيدة غير مكتملة منشورة تحت عنوان «على قبر» في الديوان الكبير

لشاعر البراري: ص ٣١٥؛ نقلاً عن ديوان «وحي البراري».

(٢) في الديوان الكبير: «وهنا الموكب والكواكب».

(٣) في الديوان الكبير: «من هلع تمور».

(٤) البيت والذي يليه غير موجودين في الديوان الكبير.

(٥) بعد هذا البيت في الديوان الكبير:

الداريات من الخدو ر، اللابسات من القبور

وَيَلُّ لَنَا مِنْ لَعِبِهِنَّ
— مَنْ وَوَيْلَهُنَّ مِنَ الْقَبُورِ^(١)
هَـصَرَ التَّرَابُ قَدُودَهُنَّ
— مَنْ بَقَسُوهُ، بئْسَ الْهَـصُورُ
وَاشْتَدَّ فِي تَقْبِيلِهِنَّ
— مَنْ كَأَنَّهُ صَبُّ غَيُورِ
وَأَبَاحَ نَحَرَ النَّوْمِ لَمْ
— مَا عَاثَ فِي تِلْكَ النَّحُورِ
وَوَرَاءَ هَذَا كَأَنَّهِ..
يُـرْجَى لَنَا عَيْشٌ قَرِيرُ
وَنُـلَامُ إِنْ لَمْ تَسْتَقِرْ
رَ لَنَا قُلُوبٌ فِي صَدُورِ
سَبَحَانَكَ اللَّهُمَّ تَحْ—
كُـمُ لَا تَجِيرُ وَلَا تَجُورُ

(١) البيت والأبيات الأربعة التي تليه غير موجودين في الديوان الكبير، ومحلهم:
عَبَثَ الثَّرَى بِثَغُورِ هُنَّ — مَنْ وَعَاثَ فِي تِلْكَ النَّحُورِ

(٦٦)

يا أمه^(١)

[الخفيف]

أَيْنَ نُطْسُ الْأُسَاةِ^(٢) أَيْنَ الدَّوَاءُ
كُلُّ طَبِّ لَدَى الْقَضَاءِ هَبَاءُ
اسْتَرِيحِي فَقَدْ تَعَبْتِ طَوِيلًا
جَسَدُ نَاحِلٍ وَدَاءُ عِيَاءُ
كُنْتُ أَرْجُو لَكَ الشِّفَاءَ وَلَكِنْ
فَازْ فِيكَ الْقَضَا وَخَابَ الرَّجَاءُ

☆☆☆☆

عَسَكَرَ الدَّاءُ فِي حَشَاكِ وَنَادَى
أَيْنَ مِنِّي خُصُومِي (الْحُكَمَاءُ)
فَتَبَارَى إِلَيْهِ جَيْشُ دَوَاءٍ
جَهَزْتُهُ (دَكَاتِرُ)^(٣) أَكْفَاءُ^(٤)
شَبَّتِ الْحَرْبُ حِينَ ذَاكَ وَشَنَّتْ
بَيْنَ هَذَيْنِ غَارَةً شَعَوَاءُ
وَاسْتَمَرَ الْكَفَاحُ عَامًا وَنَصْفًا
وَجِيوشُ الْعَدُوِّ فِيهَا نَمَاءُ
كُلُّ يَوْمٍ لَهَا طَعَامٌ جَدِيدُ
مِنْ دَمِ الْقَلْبِ يَا أُمِّيمُ^(٤) وَمَاءُ

(١) ديوان شاعر البراري: ٢ / ٩٩ - ١٠١. وقد كتبها في رثاء أمه إذ لحقت جوار ربها فجر الأربعاء ٢١ سبتمبر ١٩٢٩م.

(٢) نطس الأساة: الأطباء.

(٣) دكاتر: جمع كلمة دكتور أي طبيب.

(٤) أميم: تصغير أم.

قد تعاصى الغذاء عليك ولكن
ما تعاصى على العدو الغذاء
لو أتى ظاهراً لَكُنَّا انتصرنا
في كفاح الخفيّ طبعاً عناء
هو سرٌّ ولم أجِدْ أيَّ سرٍّ
غيرَ هذا يضرُّ منه الخفاء
قوّة الدفعِ قاومتهُ ولكن
لم توقُّقْ ومسَّها الإعياء
وانتهى الأمرُ بعد هذا على أن
ليس للخصم من حشاك جلاء
غلب الداءُ جيشَ كلِّ دواءٍ
وانثنى بعدُ فاعلاً ما يشاء
لم يزلْ صاحبُ السيادة حتى
جاء يومُ الردى وحُمَّ القضاء

☆☆☆☆

صدمَةُ الداءِ بالدواءِ لَعَمري
خَطَّةٌ مِنْ أَمورنا هَوَجاء
كلُّ داءٍ له دواءٌ ولكن
عند ربي.. أمّا الورى فَسَوَاء
وَادَّعَاءُ الطَّبِيبِ عِلْمَ دواءٍ
رَجْمُ غَيْبٍ وَخَبْطَةُ عَشَوَاء
قد يكون الدَّواءُ داءً كما قد
يتأتى من غير طِبِّ شفاء

يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ فَمِنْهُ
كُلُّ دَاءٍ لَنَا وَمِنْهُ الدَّوَاءُ

☆☆☆☆

إِيهَ يَا أُمُّ قَدْ سَكَتَ طَوِيلًا
غَضَبٌ مِنْكَ يَا تُرَى أُمُّ رِضَاءٍ
أَيْنَ صَوْتُ الْحَنَانِ أَيْنَ صَدَاهُ
إِنَّ أُنْزِي مِنْ بَعْدِهِ صَمَاءُ
أَيْنَ مِنْ رِنَانَةٍ تَمَلَأُ الْقُلُوبَ
سَبَّ سُرُورًا كَأَنَّهُنَّ غِنَاءُ
أَيْنَ مِنْ أَعْيُنِي مَحِيًّا مَحِيًّا
كَانَ فِي مَائِهِ يَجُولُ الْوَلَاءُ
لَمْ يَرْقُهَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ جَمِيلٌ
مَنْذُ (وُري) كَأَنَّهَا عَمِيَاءُ
قَدْ مَلَأْتُ الْحَيَاةَ بَعْدَكَ يَا أُمُّ
مُ وَشَاهَتُ فِي أَعْيُنِي الْأَحْيَاءُ
إِنَّهَا الْأُمُّ هَيْكَلٌ مِنْ حَنَانٍ
إِنْ تَرَدَّى فَكُلُّ عَطْفٍ رِيَاءُ
إِنَّهَا الْأُمُّ هَيْكَلٌ مِنْ وَفَاءٍ
فَإِذَا غَابَ غَابَ مَعَهُ الْوَفَاءُ
وَالْحَيَاةُ الَّتِي خَلَّتْ مِنْ حَنَانٍ
وَوَفَاءٍ عَلَى مَدَاهَا الْعَفَاءُ

☆☆☆☆



إيه يا أمُّ كيف طعم المنايا؟
 أمريرٌ مثل السدوا أم هناء
 كيف حال الثرى وحالك فيه
 أنعيمٌ يا أمنا أم شقاء
 بي غليلٌ يكاد يحرق قلبي
 ليس يرويه رنةً وبكاء
 ودعوت العزاء مثل دموعي
 فأجابت ولم يجبني العزاء
 لست أسلوك يا أميمٌ إلى أن
 يتنحى عن الصباح المساء



ليت شعري وقد نظمتُ رثاءً
 من دمائي: أهْل يفيد الرثاء؟!
 أنت مني بحيث أدعو ولكن
 لن يُلبى ولن يجاب الدعاء
 أنت مني بحيث أتيك لكن
 لم أشاهد ولم تصل أنباء
 موقفٌ يترك القلوب حيارى
 ليس فيه رجاء وليس فداء
 فاقبلي الآن يا أميمٌ سلاماً
 من كتاب غلافه الأحشاء
 وافسحي لي بجانب قبرك قبراً
 فقريباً يكون فيه اللقاء



(٦٧)

إلى فضيلة الأستاذ البهوتي^(١)

[الطويل]

رَضِيتُ «زواجَ القبر» ضَنْناً بها وبـي
على ضغط أيامٍ وفتكِ ليالٍ
إلى كبدٍ تمشي على الأرض هكذا
ويرتاحُ بالي أو يَقلُّ وبالي
(وزينةُ دنيائي البنون)^(٢) وإنما
إذا كنتُ في دنيائي صاحبَ مالٍ
تُزَيِّنُني بنتي متى كان لي غنى
يُواصلُ لي تكوينها ويوالي
وإلا فما معنى التَّزِينِ إن غداً
يريدُ شقائي أو رداءةَ حالي
وأما عن «النَّسل» الذي هو لازمٌ
لبذلِ نوالٍ أو لخوضِ مجالٍ
فقد يُعَقِّمُ الدهرُ الخوونَ وليدتي
كإعقامِ أِّيامي وليس يُبالي
على أنني غالطتُهُ كي تعيشَ لي
فعهدي به لا يَعْتَنِي بسؤالي
وها أنتَ قد وافقتني حيث إنني
أردتُ به صبراً وسلوةً بال

(١) جريدة الوفاق في ١٦ مايو ١٩٣٢م. ويبدو أن الأستاذ البهوتي أحد أصدقاء الشاعر من رجالات التعليم.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾، الكهف: ٤٦.

(٦٨)

كان^(١)

[البسيط]

يا مَنْ تَرَحَّلَ عَنْ دَارِ الْفَنَاءِ وَأَنَا
نَاءٍ فَلَمْ تَرَهُ عَيْنِي وَلَمْ يَرَنِي
كَيْفَ ارْتَضَيْتَ الثَّرَى بَيْتًا تَقِيمُ بِهِ؟
وَكَيْفَ بَدَّلْتَ ثَوْبَ الْعُرْسِ بِالْكَفَنِ؟
وَكَيْفَ نَمَتَ بِهَذَا الْقَبْرِ مَنْفَرْدًا
وَكَيْفَ مَلْتَ عَنِ الْأَهْلِيْنَ وَالْوَطَنِ
هَلَّا أَنْتَظَرْتَ رَجُوعِي كَيْ تَشْجَّعَنِي
بِجَمَلَةٍ عَذْبَةٍ مِنْ ثَغْرِكَ الْحَسَنِ؟
خَلَّفْتَ لِي فِي الْحِشَاءِ نَارًا يُسَعِّرُهَا
مَرُورُ سَيْرَتِكَ الْغُرَاءِ بِالْأَذْنِ
وَكُلَّمَا شِئْتُ أَنْ أَنْسَاكَ ذَكَّرَنِي
مَا صَنَعْتُ لَكَ مِنْ أَيْدٍ وَمِنْ مَنِ

☆☆☆☆

يَا ابْنَ عَمِّي يَا مَنْ كُنْتُ لِي عَضْدًا
يَشُدُّ أَرْزِي وَيَا عَوْنِي عَلَى الزَّمَنِ

(١) ديوان شاعر البراري: ٦٥/١، ٦٦. وقد كتبها الشاعر في رثاء ابن عم له وابن خالته في الوقت ذاته اسمه محمد أحمد علي شحاته، كان من الشاعر لكثرة انتلافهما، بمنزلة الأخ والصديق والسمير، توفي في غصن شبابه يوم الجمعة ١٠ رجب ١٣٤٥هـ الموافق ١٤ يناير ١٩٢٧م، وكان الشاعر غائبًا فلم يظفر بنظرة الوداع إليه.

سَلِّ إِلَهَ عَنِ الدَّاءِ الَّذِي عَجَزْتُ
عَنْهُ الْأَسَاءَةُ وَفَهَّمْنِيهِ فِي الْوَسَنِ
وَاعْلَمْ بِأَنْ عَيُونًا كُنْتُ قُرَّتْهَا
لَنْ تَتْرَكَ الْحُزْنَ أَوْ تَعْمَى مِنَ الْحَزَنِ
صَلُّتُ عَلَى قَبْرِكَ الْأَمْلَاكُ مَا نُزِعْتُ
رُوحٌ بِإِذْنِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ بَدَنِ

(٦٩)

[أَتَدْرِي]^(١)

[الطويل]

أَتَدْرِي بَأْنَا الْآنَ فِي لَيْلَةِ الْفِطْرِ
وَأُنَّا جَمِيعًا وَاقِفُونَ عَلَى الْقَبْرِ
وَأَيْضًا أَتَدْرِي مَا الَّذِي قَدْ حَدَا بِنَا
إِلَى هَا هُنَا فِي اللَّيْلِ أَمْ أَنْتَ لَا تَدْرِي
نَهَبْنَا إِلَى دَارٍ تَبَدَّلَ نُورُهَا
ظِلَامًا وَرَاءَ الْبَيْنِ يَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ
فَقَلْنَا لَهَا: يَا دَارُ أَيْنَ «مَحَمَّدٌ»
نُهَنِّيهِ فِي عَامِ الزَّفَافِ بِذَا الْفِطْرِ
فَنَادَى لِسَانُ الْحَالِ مِنْهَا: أَلَا أَسْأَلُوا
صُرُوفَ اللَّيَالِي أَوْ سَلُّوا حَمَلَةَ الدَّهْرِ
فَقَدْ غَالَتْهُ^(٢) مِنْ بَيْنِكُمْ غَيْرَ رَاحِمٍ
وَبُدِّلَ حُلُو الْعَيْشِ مِنْ بَعْدُ بِالْمَرِّ

☆☆☆☆

فَجِئْنَا نُرَوِّي بِالْمَدَامِ مَوْضِعًا
سُجِنْتَ بِهِ قَبْلَ التَّمَتُّعِ بِالْعَمْرِ

(١) ديوان شاعر البراري: ٦٩ / ١، ٧٠. قالها الشاعر على قبر ابن عمه الأثير محمد أحمد علي شحاته ليلة عيد الفطر عام ١٣٤٥ هـ.

(٢) الإحالة في ضمير الغائب إلى الدهر.

نحزنًا بـمـاضـي الحـزن فـيـها^(١) سرورنا
لذلك تُدعى عندنا ليلة النحر
أيشملنا عيدٌ يعود وأنت يا
فتى نازل في ذلك البلد القفر
ألا إنَّه ما عاد إلا ليُلبسَنُ
ذويك جديدَ الحزن لا الفرح والبشر
بربك نبئني أهْلُ عبث البلى
بذاك المُخيَّا الطلق في اليسر والعسر؟
تواري فأورى في الجوانح لوعةً
يُسَعِّرُها دوماً مروءك في ذكري
فلا تحسبن في العيش بعدك مكسباً
فوالعصر إنا بعد موتك في خسِر^(٢)
عليك سلامُ الله ما صام صائمٌ
وما دام شهرُ الصوم يُشَفِّعُ بالفطر

(١) الإحالة في الضمير إلى ليلة الفطر.

(٢) في البيت تداخل نصي مع قوله تعالى: «والعصر * إن الإنسان لفي خسِر» العصر: ١، ٢.

(٧٠)

[قوموا نحج إلى الفقيد]^(١)

[الكامل]

قوموا نحج إلى الفقيد جماعةً
فخريحُهُ «حَرَمٌ» ولا ميقاتُ
حرمٌ ولكن ليس تُرمى حوله أُلـ
جمراتُ بل تتوقَّدُ الجمرات
قد حَفَّ جانبُهُ الأمانُ وإنما
من حوله تُنَخَّطُفُ المهجات
في كلِّ ميقاتٍ يؤذِّنُ فوقَهُ
طيفُ الفقيدِ فتسجدُ العبرات
لا زالت الصلواتُ من ربِّ السما
تتري عليه الدهرُ والرحمات

(١) ديوان شاعر البراري: ١ / ٧١؛ قالها الشاعر راثياً ابن عمه المحبب إلى قلبه محمد أحمد علي شحاته في مجلس من معارفه وأصدقائه.

(٧١)

[بدر العشيرة في جوف الثرى]^(١)

[البسيط]

بدرُ العشيرة في جوفِ الثرى غارا
فانظمْ نجومَ المآقي فيه أشعارا
لا تبكِه بدموعِ العينِ مثلهمو
بل فابكِه بدموعِ القلبِ إكبارا
هو الحسامُ الذي بالأمس قد عَطَلَتْ
يداكِ منه صقيلاً الحَدَّ بتارا
قد دَكَّه الموتُ طوداً لا تزعزعه الـ
أيامُ فأندكُ طودُ الصبرِ وانهارا

☆☆☆☆

يا أُمُّهُ حَذِّثيني لا جفاكِ كرى
عن الذي قاله في يوم أن سارا
أظنُّه قال ليت الموت أمهلني
حتى أزورَ ابن عمي مثلما زارا^(٢)

☆☆☆☆

يا من ثوى في سوافي الأرض متخذاً
بعض المقابر جارا والثرى دارا
بين الضلوع وهذا الليل يشهد لي
بركانٌ وجِدٍ إذا جَنَّ الدُّجى ثارا

(١) ديوان شاعر البراري: ١ / ٧١، ٧٢. قالها الشاعر في رثاء ابن عمه وابن خالته الحبيب محمد أحمد علي شحاته.

(٢) كان الشاعر ينتظر زيارة ابن عمه الفقيد فلما جاءه البرق ظن أن بشير الزيارة فإذا به نعي الموت.

خَلَّفْتَنِي لَا مَعِينَ لِي عَلَى زَمَنِي
إِذَا الزَّمَانُ بَغَى يَا صَاحِ أَوْ جَارَا
فَلَأَسْكِبَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ إِذَا ذَرَفَتْ
رَوَتْ عَنْ الْحَبِّ وَالْإِخْلَاصِ أَخْبَارَا
وَلَأَقْضِيَ لَيْلِي - مَهْمَا ضَرَّنِي سَهْرِي -
أُعْطِي الطِّيُورَ دُرُوسَ الشَّجْوِ أَشْعَارَا



يَا صَاحِ خَلْفَكَ تَكْلِي لَا قَرَارَ لَهَا
يَنْهَلُ مَدْمَعُهَا فِي اللَّيْلِ مَدْرَارَا
مَلْتَاعَةُ الْقَلْبِ مَلَأَى النَّفْسَ لَا نَفْسُ
إِلَّا وَتُخْرِجُهُ مِنْ صَدْرِهَا نَارَا
لَمْ تُبْقِ مِنْهَا لِيَالِيهَا سِوَى رَمَقِ
أَمْسَى لَهُ السُّقْمُ ضَيْفًا وَالضَّنَى جَارَا



كَمْ فِي اعْتِلَالِكَ مَدَدْتُ بِالْدَعَاءِ يَدًا
وَهَلْ يُرَدُّ دَعَاءُ الْمَرِّ أَقْدَارَا
فِي سَاعَةِ النِّزَعِ أُمِّيَالُ الْبَسِيطَةِ قَدْ
صَارَتْ عَلَيْهَا لِهُولِ الْخَطْبِ أَشْبَارَا
قَدْ فَتَّشَتْ بَيْنَ جَنْبَيْهَا فَمَا وَجَدَتْ
قَلْبًا عَلَى كُلِّ خَطْبٍ كَانَ صَبَّارَا
فِيَمَّمَتْ صُورَةً كَانَتْ تُصَبِّرُهَا
عَلَى نَوَاكٍ إِذَا أَرْزَمَعَتْ أَصْفَارَا

فَقَبَّلْتُهَا وَفِي طَيِّ الْفؤَادِ جَوًى
لَوْ صَادَفَ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ مَا دَارَا
ثُمَّ انْحَنَتْ فَوْقَهَا وَالنَّفْسُ هَالِعَةً
وَالدَّمْعُ يُوَضِّحُ مَا قَالَتْهُ إِضْمَارَا
الْيَوْمَ يُوْدِي وَلَا أَوْلَادَ يَتْرُكُهَا
إِذْ أَصُونُكَ حَتَّى الْمَوْتِ تَذْكَارَا^(١)
فَسَلِّ إِلَهَكَ يَقْبِضُهَا إِلَيْهِ فَلَمْ
يَتْرِكْ نَوَاكٍ لَهَا فِي الْعَيْشِ أَوَّارَا

(١) الخطاب للصورة.

(٧٢)

[أبكيك^(١)]

[البسيط]

أبكيك يا غصنُ دوماً فالردى هَصَرَكَ
في ساعةٍ كنتُ فيها أجتَنِي ثَمَرَكَ
أبكيك لا بدموعِ العين بل بدمي
بُكََا الذي كان للأيام مُدْخِرَكَ
أمست حياتي من الأرباح خاليةً
وكيف يربح مثلي بعد ما خسرك
إن أسهرَ الليل من حزني عليك فَكَمْ
أطلتُ يا صاحبي في خدمتي سهرَكَ
ليت الردى يا ابن عمي كان شاورَنِي
إذن لَزِدْتُ بباقي مدتي عُمرَكَ
فأنت نَوَّلْتَنِي يا صاحبي وطَري
ولم تنلُ أنت من دار الفنا وطرك

☆☆☆☆

يا ويح نفسي ففي طي الحشا حَزَنُ
يذوب قلبي منه كلما ذَكَرَكَ
وَعَدْتَنِي يا ابن عمي بالمزار ولم
تكن لتصرفَ عما قلته نظرك

(١) ديوان شاعر البراري: ١ / ٦٦، ٦٧. وقد قالها في رثاء ابن عمه وابن خالته وصفية محمد أحمد علي شحاتة.

فكيف تجعل لما آن موعدها
للقبر لا «للشهيد» يا أخي سفرك^(١)
أهكذا يا أخي تُنْعَى إِلَيَّ ضحى الـ
يوم الذي أنا فيه كنت منتظرَكَ
وهكذا يتوفُّكَ الملاك وَلَمْ
أحضر أنا يا فتى الفتیان مُحْتَضَرَكَ
قل لي برُّكَ هل قد كنتَ ناسِئني
أم كنتَ ذاكَرَني في حين أن حضرَكَ

☆☆☆☆

يا لهفَ نفسي لقد شطَّ المزار ولا
أدري أساءَكَ هذا البينُ أم حبرَكَ
تَقَطَّعَتْ بيننا الأسبابُ أجمعُها
لما حوَّك ترابُ الأرض واحتكرَكَ
فلا النسيمُ بشيءٍ عنكَ ينبئُني
ولا نجومُ الدُّجى يُخْبِرُنِي خَبَرَكَ

☆☆☆☆

ما كنتَ تصمت من تلقاءِ نفسك يا
زينَ الشبابِ فمن بالصمت قد أَمَرَكَ
اصمت كما شئتَ وافسح في ضريحكَ لي
فإنني عن قريبٍ مقتفٍ أَثَرَكَ

(١) كان الشاعر يعود ابن عمه في الجمعة التي سبقت وفاته، ولم تكن حالته الصحية يتوقع منها الخطر، فتواعدا أن ينتظر الشاعر زيارة ابن عمه في الجمعة التالية، وبينما هو في انتظاره وافته برقية النعي؛ فكان لها على نفسه وقعاً قاسياً. والشهيد إحدى قرى مركز المحلة الكبرى التابع لمحافظة الغربية، كان الشاعر يعمل بإحدى مدارسها وقت وفاة ابن عمه.

(٧٣)

امزج دموعك بالدماء^(١)

[الكامل]

امزج دموعك بالدماء وواف
فمجرّد العبرات ليس بكاف
من ذا يقول بأن دمعك وحده
يكفي لتشيع الخليل الوافي
لهفي عليه قد ارتدى أكفانه
من قبل أن يُبلي ثياب زفاف
ناداه هذا القبر في شرخ الصبا
فأتاه محمولاً على الأكتاف

☆☆☆☆

يا راحلاً فارقته فيه تماسكي
أنا لست أسلو إن سلاك خلافي
كيف السُّلو وقد بحثت فلم أجد
لك يا شقيق الروح هفوة هاف

☆☆☆☆

أصبحت إن حن الغريب إلى الحمى
يوماً أحن لرؤية الأجداف^(٢)

(١) ديوان شاعر البراري: ١ / ٦٧، ٦٨. في رثاء ابن عمه وابن خالته وصديقه الصدوق محمد أحمد علي شحاته.
(٢) الأجداف: القبور.

لَمْ يَحْضُبْ بَعْدَكَ لِلْحَمَى قَلْبِي وَلَا أَهْـ
تَزَّرْتُ بِبَاعِثِ فَرَحَةٍ أَعْطَانِي
ذَبَلْتُ رِيَاضَ الْأَنْسِ بَعْدَكَ يَا فَتَى
فَالْعَيْشُ بَعْدَ نَوَاكٍ لَيْسَ بِصَافٍ
كَمْ مِنْ لَيْالٍ فِي نَوَاكٍ طَوِيَتْهَا
فِي نَثْرِ عَجَبَاتٍ وَنَظْمِ قَوَافٍ
أَسْرَفْتُ فِي نَوْحِي وَقَلْتُ لَعْلَهُ
يُجْدِي فَضْرًا بِمَهْجَتِي إِسْرَافِي
وَالْدَمْعُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ مُحْدَثُ
دَاءٍ وَفِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ شَافٍ
فَسَلِ الْإِلَهَ يُفْضُ عَلَيَّ تَصَبُّرًا
أَوْ يُدْنِ يَوْمِي قَبْلَ يَوْمِ تَلَافِي

(٧٤)

إلى الشيخ عبدالرازق أحمد.. أديب بلقاس

عزاء له في حرمه^(١)

[الطويل]

«ثُرِيَّاكَ» إِنْ تَغْرُبُ فَقَدْ غَادَرْتُ بَعْدُ
نَجُومًا بِأَفْقِ الظَّهْرِ يَحْرُسُهَا الْمَجْدُ
هُوَ مِنْ سَمَاءِ الْفَضْلِ مَحْمُودَةَ السُّرَى
فَطَابَ الثَّرَى لَمَّا تَنَاوَلَهَا اللَّحْدُ
طَوَاهَا الرُّدَى مِنْ بَيْنَهُنَّ وَإِنَّمَا
لِتَخْسَرَهَا التَّقْوَى وَيَرْبِحَهَا الْخُلْدُ
فَإِنْ أَنْتَ عَزَّيْتِ الْفُؤَادَ تَسَلَّى
بِهِنَّ - فَهَذَا النَّفْحُ أَعْقَبَهُ الْوَرْدُ
وَإِنْ أَنْتَ أَسْلَمْتَ الْجَوَانِحَ لِلْجَوَى
وَأَصْبَحْتَ نَضُوءًا يَسْتَخِفُّ بِكَ الْوَجْدُ
فَدَوَحْتُكَ الْمَيْمُونَةَ الْغَرَسِ وَالْجَنَى
لَهَا وَاجِبٌ يَا أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْغَرْدُ^(٢)
وَنُوحُكَ فِي أَثَارِهَا لَيْسَ بَدْعَةً
فَقَدْ عَشْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ فِي فَيْئِهَا تَشْدُو

(١) جريدة الوفاق، العدد ٣١، ٣٢، ١ يونيو ١٩٣١م: ص ٣. وبلقاس أحد مراكز محافظة الدقهلية بريف مصر بالقرب من مدينة المنصورة، وفيها يقع منتجع جمصة المشهور، وهي مدينة عتيقة سميت باسم أحد أباطرة الرومان وتشتهر بضخامة مبانيها التي أسست في عصر أسرة محمد علي.
(٢) الأصل: الغرد، وفيه خروج عن قافية المتواتر التي تنبني عليها القصيدة إلى قافية المتركب.

مضت (والربيع الطلق) ماضٍ وراءها
ولكن له عَوْدٌ وليس لها عَوْدٌ^(١)
وما دام رَوْضُ الأرضِ يَبْكِي ربيعَهُ
بدمعٍ هُوَ الزَّهْرُ الذي يَبْتَدِي بَعْدُ
فمن حقِّ (روض الشعر) ندبُ ربيعِهِ
وإِرسَالُ عُبْرَاتٍ يُخَذُّ بها الخدُّ
ومن لبستْ عِقْدَ الفَضِيلَةِ حَيَّةً
يُصَاغُ لها في الموت من مَدْمَعٍ عِقْدُ

(١) الربيع الطلق، عبارة تحيل إلى بيت البحتري المشهور:
أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلَقُ يَخْتَالُ بِاسْمًا مِنْ الحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَنْكَلِمَا

(٧٥)

إلى حسن بك أبو الفتوح^(١)

[الكامل]

أَعْرِفْتُ تَدْفِنُ فَلَذَّةَ الْكَبِدِ
وتعودُ في ثوبٍ مِنَ الرَّشْدِ؟
لا بل صُفَعْتَ جَوَى وَذُبْتَ أَسَى
وَعَرَفْتُ فِي بَحْرِ مِنَ الْكَمَدِ
قُلْ لَلْأَزْهَرِ فِي خَمَائِلِهَا
هَلَّا نَوَيْتَ كَمَا نَوَى (ولدي)؟
أَحْيَا الرِّبْعُ غُصُونَهُمْ وَأَنَا
وَسَدْتُ غُصْنِي فِي الثَّرَى بِيَدِي
لا الأهلُ أهلي يَوْمَ رَاحَ، ولا
بلدي نَهَارُ مُضِيٍّ بِلَدِي
قَدْ كَانَ ظِلُّ غَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ
يَا شَدَّ حَرَّ غَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ
غَسَّأُوهُ لَا بِالمَاءِ، بل بدمي
وَوَقَفْتُ لَا صَبْرِي وَلَا جَلْدِي
وَبَحِثْتُ عَنْ كَبْدِي لِأَمْسِكُهَا
فَإِذَا بِهِمْ لَقُوءٌ فِي كَبْدِي

(١) من خط يد الشاعر وحسن بك أبو الفتوح أحد أعيان بلقاس ورجال إدارتها.

لَمْ تُغْنِ عَنْهُ يَوْمَهَا عُدْدِي
كَأَلَا وَلَا دَفَعَ الرَّدَى عُدْدِي
لَبَّى شَقِيقَتَهُ عَلَى شَغَفٍ
وَمَضَى إِلَيْهَا غَيْرَ مُتُّدٍ
وَسَأَلْتُ، مَا لِي قِيلَ: رُوِّضْتُهَا
أُولَى بِهِذَا الطَّائِرِ الْغَرْدِ
«أَبَا الْفَتْوحِ» الصَّبْرُ مُغْتَنَّمٌ
فَاغْنُمُهُ فِيهِ الْيَوْمَ وَاقْتَصِدْ
حَبْسُ الْجَوَى فِي النَفْسِ يورثُهَا
تَلَفًا، كَحَبْسِ السُّمِّ فِي الْعُدْدِ

(٧٦)

عزيزي سالم^(١)

[مجزوء الكامل]

والله ربَّ «محمَّدٍ»
إنني وجدتُ عليه وجُدتُ
قلبي وقلبك عنده
ومصابي عندي وعندك
ولذاك لستُ بقائل:
أطفئ بماء الصبر وفدك
لكن أقول: احزن إلى
حدٍّ، ولا تتعدَّ حدَّك
قدَّمتُ وردك للخلو
د، وفي غد ستُتِمُّ وردك
وظمئتُ بعد فراقه
فضمنتُ يوم العرضِ وردك
فانزف دموعك لا دماً
ءك واسقِ وجدك وارغ عهدك
وإذا نضبت مدامعاً
فاسمخ لدمعي أن يمدَّك
واحذر- فديتُك - أن تُرى
مستأثراً بالحزن وحدك

(١) من خط يد الشاعر؛ وأرخ لها ب ٨ أكتوبر ١٩٤٠م بكفر الجرايدة، وكفر الجرايدة بلدة الشاعر، وهي قرية مصرية صغيرة تتبع مركز بيلا بكفر الشيخ، وهي معقل آل سراج الدين الذين اتصل بهم الشاعر، وأصهر إليهم.

(٧٧)

عبرة على صديق^(١)

[مجزوء الكامل]

يا كوكبًا ظنُّ الثُّرى
أفُقًا فأسرعَ في خُطاه
لما رضىيتَ عَنِ المما
تِ غضبتُ فيكَ على الحياه

☆☆☆☆

يا قلبُ كيف بقيت قَلْـ
بًا بعدما النُّاعي نعاه
ستكون أكبرَ خائِنِ
إن لم تَذُبْ أسفًا وراه
هولم يَخُنِّي في هوا
ي فلا تخنُّه في هواه
يا أصغريَّ نأى العزى
زُ عليكما فلتبكياه
لم ينتظر (ثوب الزفا
ف) ولم ينل أدنى منها

(١) ديوان شاعر البراري: ٩٦، ٩٧.

فَلتَنْظِمْ نَوْبَ الْفَوْ
دِ قَلَائِدًا وَلْتُلْبِسْ
يَا مَقَلَّتِي إِلَّا اسْتَمِدْ
دَا دَمْعَ قَلْبِي وَابْكِيَاهُ
لَا تَبْكِيَاهُ بِالْدمِ
عِ الصَّافِيَاتِ كَمَنْ بَكَاهُ
بَلْ فَاْبْكِيَاهُ بِالْدمِ
فَالْدمُ يُصْغِرُ فِي عُلاهِ
بِاللَّهِ لَا تَسْتَبْقِيَا
دَمْعًا لَمْ يَخْلُقْ سِوَاهُ
وَإِذَا الْكَرَى وَافَاكُمَا
مِنْ بَعْدِهِ فَلْتَطْرَدَاهُ
هُوَ أَخَذَ عَهْدًا عَلَيَّ
سِي بَأْنِ أَسْهَدَ فِي نَوَاهُ

☆☆☆☆

يَا طَرْفُ كَيْفَ تَكُونُ حِي
نَ تَرَى الرَّفَاقَ وَلَا تَرَاهُ
يَا لَيْتَ قَلْبِي مَا انْتَقَا
هُ وَلَا اصْطَفَاهُ وَلَا اجْتَبَاهُ

☆☆☆☆

لَهْفِي عَلَيْهِ فَقَدْ نَوَى
مِنْ قَبْلِ أَنْ نَجْنِي جَنَاهُ

وَارَوْهُ فِي جَوْفِ الثُّرَى
غَضًّا وَمَدْمَعُهُمْ رَوَاهُ
لَا كَانَ هَذَا الْعَامَ فَهُوَ
وَبَغَى عَلَيْهِ فِي صَبَاهِ
ظَنُوهُ عَامَ (زَفَافِهِ)
فَإِذَا بِهِ عَامَ (الْوَفَاهِ)
اللَّهُ يَرْحَمُهُ بِرَحْمَةٍ
مَتَّيَةٍ وَيَمْنَحُهُ رِضَاهِ

(٧٨)

دنيا^(١)

[الوافر]

سلِ الأهرامَ كيف حملتِ دنيا
إلى قبرٍ وسرتِ بطورِ سينا
دفنتِ بدفنٍ «جبرائيل»^(٢) روحًا
وكنزًا - ساءَ منعاه - لِمِينا^(٣)
فألبيتِ الثرى بالأمس عقدًا
وأشملتِ التُّرابَ الياسمينَا

(١) جريدة الأهرام في ٩ يوليو ١٩٤٣م، ضمن مراثي الشعراء والكتاب في جبرائيل باشا تقلا رئيس تحرير الأهرام ومؤسسها.

(٢) جبرائيل تقلا (١٨٩٠ - ١٩٤٣م) كاتب صحفي كبير لبناني الأصل مصري المولد والوفاة، تعلم بالمدرسة اليسوعية بالقاهرة، وأكمل تعليمه العالي بباريس؛ شارك أخاه بشارة تأسيس الأهرام، وتولى مسؤولية تحريرها عقب وفاة أخيه سنة ١٩١٣م، وتطورت في عهده بصورة كبيرة، وانتخب نقيبًا للصحفيين المصريين عام ١٩١٩م.

(٣) مينا: إشارة إلى الفرعون المؤسس موحد القطرين عام ٣٢٠٠ ق.م، وهو من الأسرة الفرعونية الأولى؛ وفي ذلك إحالة على عموم الشعب المصري.

مع الأصدقاء

(٧٩)

إلى الثقافة^(١)

[المتقارب]

تَرَقَّرَقَ فِيكَ جَمَالُ الصَّبَا
وَأَشْرَقَ مِنْكَ جَلَالُ الْكِبَرِ
فَلَوْ كُنْتَ يَوْمًا لَكُنْتَ الْخُحَى
وَلَوْ كُنْتَ لَيْلًا لَكُنْتَ السَّحَرِ
عَصَرَتِ التَّلِيدَ فَفَاحَ الشُّذَا
وَصُغَتِ الْجَدِيدَ فَذُقْنَا الثَّمَرِ
وَزِدَتْ «الزَّمِيلَاتِ» حُسْنًا كَمَا
يَزِيدُ الشُّذَا فِي جَمَالِ الزَّهَرِ
فَهُنَّ الشِّفَاءُ وَأَنْتِ اللَّمَى
وَهُنَّ الْعَيُونُ وَأَنْتِ الْحَوَرِ
فَنِعْمَ الصَّدِيقَةُ فِي جَانِنَا
وَنِعْمَ الرَفِيقَةُ عِنْدَ السَّفَرِ

(١) مجلة الثقافة، العدد ١١٠، ٤ فبراير ١٩٤١م: ص ١٧٩.
ومجلة الثقافة، مجلة مصرية أسسها أحمد أمين للاعتناء بالثقافة الشرقية، صدرت أعدادها ما بين
عام ١٩٣٩ وعام ١٩٥٢م.

(٨٠)

أيها الوفاق^(١)

[البسيط]

لَبِستَ ما شِئتَ من حَلِيٍّ ومن حُلَلٍ
وجيدٌ غَيْرِكَ يَشْكُو لَوْعَةَ الْعَطَلِ
ثُمَّ اتَّخَذْتَ سِلَاحًا من مُصَارِحَةٍ
ورحمتَ تَفْرِقُ بين الطُّهْرِ وَالْخَطَلِ
فَرَنْ صَوْتُكَ فِي أُذُنِ الزَّمَانِ عَلَى
حادثةِ الْعَهْدِ عهدِ الْجَدِّ وَالْعَمَلِ
يا (ابْنَ الثَّلَاثِ سِنِينَ) الْيَوْمَ لَا عَجَبُ
فِي أَنْ حَزَمَكَ فِينَا حَزْمٌ مُكْتَهِلِ
إِنْ الْمَعَالِي الَّتِي عَزَّتْ مَدَارِكُهَا
عَلَى الْكَثِيرِ فَبَاءُوا بَعْدُ بِالْفَشْلِ
خَطَبَتْهَا وَعَرَفَتْ الْيَوْمَ تَدْرِكُهَا
لَمَّا سَلَكَتْ إِلَيْهَا أَقْصُومَ السُّبُلِ
وَكُلٌّ مَنْ كَانَ نَصْرُ الْحَقِّ غَايَتَهُ
لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ يَنْجُو مِنَ الزَّلْزَلِ

(١) القصيدة من منشورات جريدة الوفاق، سنة ١٩٣٣م، وهي جريدة مصرية أسبوعية بدأ صدورها عام ١٩٣٠م، وأسسها الببلي علي الزيني؛ وتابع ورثته إصدارها من مطبعة الوفاق ببلقاس.

نُمُّ للفضيلة ترعاها وتحفظها
وذلل الصَّعبَ وانهض غير مُنخَـذِل
إن هنئوك بعامٍ جاء مبتسماً
مبشراً بنجاح فيك مُتَّـحِل
ف(بالوفاق) أهني الصحفَ أجمعها
كما أهني (براري مصرَ البيلي)

(٨١)

[توديع]^(١)

[البسيط]

مَحا فراقُكَ يا ذا المجد والثَّأْدِ
ما خَلَّفَتْهُ «عيونُ العين» من كَبِدي
فَلَيْتَنِي يومَ مَدِّي للوداعِ يدي
ذقتُ الرَّدَى قبلَ مَدِّي للوداعِ يدي
لا شيءَ أَصعبُ عندي من فراقِ أخٍ
مسرَّبِلٍ بالتقى والحلم والسُّددِ

☆☆☆☆

خَلَفَتَنِي لا خَلِيلٌ عنكَ يشغلني
ولا صديقٌ يُسَلِّيني على نكدي
لهفانَ أسهرُ وحدي الليلَ لا أحدٌ
يلوي عليَّ ولا ألوي على أحدٍ
يفيض قلبي شجونًا كلُّما خَطَرْتُ
ذكراكَ يا (يوسفُ) المعروف في خلدي
ولا مُعينٌ سوى ترتيلِ قافيةٍ
وهل تُداوِي شجونَ الطيرِ بالغُردِ؟

(١) ديوان شاعر البراري: ١/ ٥٣، ٥٤. وقد بحث بها الشاعر إلى صديقه الجريء الشيخ يوسف أحمد الفقي في ٥ أكتوبر ١٩٢٥م، بعد أن انتقل من منشية عباس إلى سنهور المدينة في ١١ سبتمبر دون أن يتمكن الشاعر من توديعه.

ومنشية عباس إحدى قرى محافظة كفر الشيخ تم تأسيسها عام ١٩١٤م، وتنسب إلى الخديو عباس حلمي الثاني.

وسنهور المدينة، قرية رئيسة تابعة لمركز دسوق بمحافظة كفر الشيخ، اسمها القبطي سنهوري، وأضيفت لها لفظة المدينة لشهرتها بين المدن المصرية القديمة، وقد ذكرها علي مبارك في الخطط التوفيقية.

لم أنس أنس زمانٍ كنت فيه معي
ولست أنساه حتى آخر الأبد
إن أنس يا صاح لا أنسى الدفاع ولا
رمي اليراع أمام الزور والفند^(١)
للناس عندي أيادٍ غير أن يدًا
قدّمتها أنت في التحقيق خير يد
دافعت عني دفاعًا لا يدافعُه
في دهرنا والدُّ يا صاح عن ولد
أريتني كيف يحمي المرء صاحبه
أمام جمع على البُهتان مُحْتَشِدٍ
في موقف حرجٍ ما كان لي سبَدُ
فيه ولا لَبَدُ من ذلك العدد^(٢)
فليجزك الله عني الخير أجمعه
فليس شيءٌ من الأيام تحت يدي

(١) إشارة إلى واقعة اتهام ناظر مصلحة الأملاك الأميرية للشاعر وبعض إخوانه، لخلاف بينهم، بسبب الوزارة وحزبها. وقد أحيل الشاعر ورفاقه إلى التحقيق بسبب هذه التهمة وأريد بالشيخ أحمد الفقي الشهادة على الشاعر وأصحابه إلا أن أمانة الشيخ ونزاهته أبت إلا الدفاع عنهم فيما هم منه براء.

(٢) السبد ما يطلع من رؤوس البنات قبل أن ينتشر، والسبد من الشعر. ولبد الشعر أو الصوف وتلبد أي تداخل وتراكب. والعرب تقول في أمثالها: ما له سبد ولا لبَد؛ أي ليس له ذو وبر طالع ولا صوف متلبد.

(٨٢)

[يا صبا المنشاة]^(١)

[مجزوء الرمل]

يا صَبَا (الْمُنْشَاة) هَبِّي
نحو (سَنُهُورِ المَدِينَةِ)
واقصدي «يوسف» تَوًّا^(٢)
والثَّمِي عَنِّي يَمِينُهُ
واقْرِئِيهِ أَيَّ إِخْلَا
صِي وأشواقِي الدَّفِينِ
واشرحي حالي وقولي
بِسَكُونٍ وسكينه
إن في (المنشاة) صَبًّا
قَرَحَ البَعْدُ جَفُونَهُ
إن شَدَّتْ ورَقَاءُ لِيلاً
هَيَّجَ الشَّدُّ شَجُونَهُ
أو شَدَّتْ ورَقَاءُ صَبْحًا
جَدَّدَ الشَّدُّ حَنِينَهُ

(١) ديوان شاعر البراري: ٥٤، ٥٥. كتبها الشاعر في يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٢٥م لصديقه النزيه الفاضل الشيخ أحمد الفقي ناظر مدرسة منشية عباس بعد انتقاله إلى سنهور المدينة.
(٢) تَوًّا: أي في الحال.

قَلْبُهُ مَهْمَا أَطَالَتْ
شُقُّقُهُ الْبَعْدَ أَنْيَنَهُ
لَنْ يَخُونَنَّ الْوَدَّ مَهْمَا
بِنْتٌ عَنْهُ لَنْ يَخُونَهُ
لَيْسَ يَسْلُو عَنْكَ حَتَّى
يَأْكُلَ الْقَبْرُ وَتَيْنَهُ^(١)

☆☆☆☆

إِنَّ أَيْدِيكَ الْأَوَاتِي
لَمْ تَزَلْ لِلْجِدِّ زِينَهُ
لِحَالٍ مَعَهَا أَنْ
يَتْرَكَ الْخِـدْنُ خَدِينَهُ

(١) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

(٨٣)

[هي الأيام]^(١)

[الوافر]

هِيَ الْيَّامُ إِن سَرَّتْ أَسَاءَتْ
وَأِنْ وَهَبَتْ فَحَتْمًا تَسْتَرِدُّ
وَلَا عَتَبٌ وَلَا لَوْمٌ عَلَيْهَا
فَإِنَّ الْمَرْءَ لِلْأَيَّامِ عَبْدٌ
لَقَدْ عَجَلْتُ لَنَا بِفِرَاقٍ حُرًّا
يُحْصَانُ لَدَيْهِ مِيثَاقٌ وَعَهْدٌ
رَشِيدٌ فِي «رِئَاسَتِهِ» «مَجِيدٌ»
مَجِيدٌ فِي إِدَارَتِهِ مُجِيدٌ
فَلَا هَوْلَ لِيَنَّ فِيهِ هَوْنٌ قَدْرًا
لَدَى أَحَدٍ وَلَا هُوَ مُسْتَبَدُّ

☆☆☆☆

أَيَا مُحَمَّدُ يَا مَنْ أَنْتَ غَوُثُ
وَعَيْثُ مَا بِهِ بَرْقُ وَرَعْدِ
لَنْ حَاكَكَ فِي التَّدْرِيسِ نِدُّ
فَمَا لَكَ فِي التُّقَى يَا صَاحِ نَدُّ
لَقَدْ نُسِبَ الصَّلَاحُ إِلَيْكَ حَتَّى
كَأَنَّكَ لِلصَّلَاحِ أَبٌ وَجَدُّ

(١) ديوان شاعر البراري: ١/ ٦٠، ٦١ وقد قالها في وداع صديقه النبيل الشيخ محمود البرماوي المنقول
كفر الجرايدة إلى الغريب في ٣ سبتمبر ١٩٢٣ م.
والغريب: إحدى قرى مركز زفتا بمحافظة الغربية.

تَأْمَلُ يَا أَخِي فَالْقَوْمُ جَاءُوا
كَ وَفُودًا أَعْظَمًا يَتْلُوهُ وَفِدُ
أَتَوْكَ يَقُودُهُمْ خُصْبٌ كَمِينُ
وَيُزْجِيهِمْ إِلَيْكَ هَوًى وَوُدُ
وَلَا عَجَبٌ فَأَنْتَ بَثْنُتَ فِيهِمْ
مَكَارِمَ لَا تُنَالُ وَلَا تَعُدُ
فَإِنْ تَرَحَّلْ إِذَنْ تَرَحَّلْ مَلِيكًا
قُلُوبُ النَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ جَنْدُ

☆☆☆☆

أَتَشْعُرُ «يَا أَخِي» بِأَنَّ قَلْبِي
تَجَاذَبَهُ عَلَيْكَ جَوًى وَوَجْدُ
فَوَادِي قَدْ غَدَا فُلُكًا وَلَكِنْ
بِبَحْرِ أَسَى لَهُ جَزْرٌ وَمُدُ
فَمَهْلًا أَوْ طَرْفِي مِنْ مَحِيَّا
نَدِ تَنْدُو الْخَوَاطِرُ حِينَ يَبْدُو
سَتَتَرَكْنِي يَثِيرُ الطَّيْرُ شَجْوِي
إِذَا مَا بَاتَ فِي الْعَذَابِ يَشْدُو
عَلَيْكَ تَحِيَّةٌ كَالْمَسْكِ تَتَرَى
يُرُوحُ بِهَا الصَّبَا دَوْمًا وَيَغْدُو

(٨٤)

[خَلِّ الدَّلَالَ]^(١)

[الكامل]

خَلِّ الدَّلَالَ «لذي اللَّمَى والخالِ»
ودعِ المَلَالَ «لِرَبَّةِ الْخَلْخَالِ»
يكفيكَ مني يا «محمَّدُ» ذِكرُةٌ
أصلَّتْ حشاي وهيَّجت بلبالي
بالي ببالي العهد مشغولٌ فلا
تُمرِّرْ خلافي «يا أخي» بالبال
قد حالَ حالي واسألنْ ريحَ الصُّبا
تُنَبِّئُكَ يا قاسي الفؤادِ بحالي
أبكي إذا هبَّتْ تجاه (مطوبس)^(٢)
مُرَّ البكا لِتَغْيِيرِ الأحوالِ
من أين لي قلبٌ كقلبك لا يذو
بُ أَسَى على ذاك الزمانِ الخالي
أيام أن كُنَّا معاً في بلدتي
والصفو دانٍ والهناء مُتَتَالِ

☆☆☆☆

(١) ديوان شاعر البراري: ٥٣ / ١. وقد بعث بها إلى صديقه المخلص الشيخ محمد قناوي الشاذلي في ٢٧ إبريل سنة ١٩٢٦م وكان قد أمسك عن المكاتبة إليه.

(٢) مطوبس: مدينة ومركز ساحلي معروف في محافظة كفر الشيخ.

أظننتُ أنني اعتضتُ عنكَ وأنني
راضٍ بأيام الزمان الحالي؟
إن أسألُ عنكَ فإنني يا «شاذلي»
عن «أحمد وسعاد»^(١) لستُ بسالٍ
ومن البليَّة حُبُّ مَنْ لم يفرِّقا
بين المتيم في الهوى والخال

(١) هما ابن الشيخ محمد قناوي الشاذلي وابنته وكان الشاعر قد تعلق بهما إلى حد بعيد.

(٨٥)

[إلام]^(١)

[الوافر]

إِلَامَ إِلَامَ يَسْأَلُكَ الْكُنْيُ؟!
مَـزَارًا تَـرْتَوِي مِنْهُ الْقُلُوبُ
حَلَفْتُ لَهُ بِخَالِقِهِ ثَلَاثًا
بَأَنَّكَ كُلَّمَا تُدْعَى تُجِيبُ
وَأَقْسَمَ أَنْ يَصُونَ هَوَاكَ مَهْمَا
تَغِيبُ وَقَدْ عَهْدْتُكَ لَا تَغِيبُ
وَهَا أَنَا قَدْ دَعَوْتُ وَلَمْ تُجِبْنِي
فَمَنْ يَا صَاحِبِي إِذْنِ الْكَذُوبِ

☆☆☆☆

يُمَنِّينِي شَرُوقُ الشَّمْسِ دَوْمًا
بِقَرَبِكَ ثُمَّ يُؤَيِّسُنِي الْغُرُوبُ
وَلَمْ تَخْطُرْ بِبَالِي قَطُّ إِلَّا
حَسَبْتُ حَشَاشَتِي شَوْقًا تَذُوبُ
فَأَصْمْتُ مَعُ وَجُودِي بَيْنَ قَوْمِي
كَأَنِّي بَيْنَهُمْ رَجُلٌ غَرِيبُ

(١) ديوان شاعر البراري: ١ / ٥٢. والقصيدة كتبها الشاعر إلى صديقه المخلص الشيخ محمد قناوي الشاذلي وهو في شباس عمير وقد وعد بزيارته ولم يفعل.
وشباس عمير: إحدى قرى مركز قلين بمحافظة كفر الشيخ، وهي قرية قديمة ذات تاريخ عتيق، ومن أبرز مفاخرها، مقاومة أبناؤها الشرسة للحملة الفرنسية.



وما فيهم - بحمد الله - غَيْرِي
ولا في بلدتي مِثْلِي أديب

☆☆☆☆

وَحَقُّكَ لَوْ تُلَاقِي بَعْضَ مَا بِي
لَمَا كَانَ الرَّجَاءُ إِذَا يَخِيبُ
إِذَا جَرَحَ الْبِعَادُ حَشَا مُحِبٍّ
فَلَيْسَ لَهُ سِوَى اللَّقْيَا طَبِيبُ



(٨٦)

طال انتظاري^(١)

[البسيط]

طال انتظاري وما وَاَفَتْ رَسَائِلُكَ
يا قَاسِيَ القَلْبِ فَاسْمَحْ لِي أَسْأَلُكَ
هَذَا الدَّلَالُ وَهَذَا التَّيُّهُ تَفْعَلُهُ
بي؟ أَمْ بِكُلِّ أَخٍ أَمْسَى يِرَاسِلُكَ
لو كُنْتَ مِثْلِي؛ وَطَبَعًا أَنْتَ تَعْرِفْنِي
مَا أَشْغَلْتُكَ عَنِ الْعَانِي مِشَاغِلُكَ
دَعْنِي أَصَاحِبُ إِنْسَانًا يُمَآثِلُنِي
فِي رِقَّةِ القَلْبِ وَاصْحَابٍ مِنْ يَمَآثِلِكَ

(١) ديوان شاعر البراري: ١/ ٥٦، ٥٧. وقد كتبها إلى صديقه الفاضل الشيخ حسين غزال في ٣١ أغسطس ١٩٢٧، وكان قد قطع المكاتبة عن الشاعر دون سبب بعد أن انتقل من محلة القصب إلى الشهيد. ثمة قريتان في ريف مصر تحملان الاسم نفسه (محلة القصب): إحداهما إحدى قرى مركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية، وأظنها المقصودة؛ حيث إن قرية الشهيد التي نقل إليها الشيخ حسين غزال تتبع مركز المحلة الكبرى ذاته. والأخرى إحدى القرى التابعة للحمراء بمركز كفر الشيخ.

(٨٧)

[رُدُّوا]^(١)

[الكامل]

رُدُّوا الرِّسَائِلَ نَفْسَهَا رُدُّوا
إِنْ كَانَ عَزَّ عَلَيْكُمُ الرُّدُّ
كَانَتْ بَذُورُ الْوُدِّ خَالِصَةً
فَعَلَامَ لَمْ يَتَرَعَّرِ الْوُدُّ؟

(١) ديوان شاعر البراري: ١ / ٥٩. وقد بحث بها الشاعر إلى صديق، لم يسمه، أمسك عن رد رسائله عمداً.

(٨٨)

[كرّر رجاءك]^(١)

[الكامل]

كرّر رجاءك أيها المنكودُ
فلعلّ تكرارَ الرجاء يُفيدُ
شهرينِ تنتظرُ البريدَ مؤملاً
نقلاً ولكنّ لم يجنك بريد
ألها خلقت؟ أم الليالي أقسمتُ
ألا يتمّ لشاعرٍ مقصود؟
للسّجن ميقات؛ وسجنك ما له
أمدٌ يُرام، ولا مدى محدود

☆☆☆☆

مولاي نبئني - جُعِلْتُ لك الفدا -
أتراه ينقصُ أم تراه يزيد
إن كنتَ ترضى لي الشُّقاء فإنني
ما دمتَ ترضى لي الشُّقاء سعيد

(١) ديوان شاعر البراري: ٨٥، ٨٦. كتبها الشاعر إلى أحمد بك شرف الدين مفتش المعارف بمركز كفر الشيخ، وكان قد وعده بتقديم اقتراح بنقله من مدرسة البنّاء الأولية إلى إحدى مدارس «المشروع» وتحديدًا مدرسة كفر الجرايدة، وقد صدرت حركة التنقلات ولم تشمل الشاعر.

(٨٩)

خذني لديك^(١)

[مجزوء الكامل]

من صورُ جئتُك أشتكي
شكوى الجريح لخير أس
فَجَعَلْتَنِي الأَيْامُ بِالْـ
مُرَّيْنِ مِنْ بؤسٍ وبأس
فَمِنْ التَّحْكُمِ فِي المَرْثِ
تَبِ لِلتَّحْكُمِ فِي اللَّبَّاسِ
فَاعْطِفْ وَيَدِّلْ وَخَشَّةَ الْـ
أَمَالِ مَنَّى بِأَتِنَاسِ
ما فضلُ عَالِي السُّخْبِ إِنْ
لم يرَوْ ظَامِئَةَ الْغِرَاسِ؟
يا مُخَيِّياً عهدَ الرِّشِيِّ
دِ اضْمُمْ إِلَيْكَ أَبَا نُؤَاسِ^(٢)
خُذْنِي لَدَيْكَ فَقَدْ مَلَأُ
سُتً مِنْ المَدَارِسِ وَالْمِرَاسِ

(١) من خط يد الشاعر كتبها عام ١٩٣٤م؛ ويبدو أنه كتبها لأحد المتنفذين من معارفه في محاولة من محاولاته للنقل إلى بلدة بلقاس.

(٢) إشارة إلى خامس خلفاء بني العباس وأبعدهم شهرة هارون الرشيد بن محمد المهدي، ولد بالري سنة سبع وأربعين ومائة للهجرة (١٤٧هـ) وبويع بالخلافة بعد أخيه موسى الهادي سنة سبعين ومائة للهجرة (١٧٠هـ) ومات بطوس (مشهد حالياً) سنة ثلاث وتسعين ومائة للهجرة (١٩٣هـ). وأبونؤاس الحسن بن هانئ (١٤٦ - ١٩٨ هـ) شاعر عباسي مشهور بزغ نجمة في عصر الرشيد، وبلغ أوجه في عصر ابنه محمد الأمين اشتهر بخمرياته ومجونياته وزهدياته معاً.

حِمْلٌ وَمَسْؤُولِيَّةٌ
كُبْرَى وَبِئْسَ وَابِتِئْسَ
وَمَشَقَّةٌ فِي عَهْدَةٍ
وَتَعَنُّتٌ مِنْ بَعْضِ نَاسٍ
مَالِي وَمَالِ الْقُرْبِ مِنْ
بَلَدِي إِذَا وَهَنَ الْأَسَاسُ؟
الْبُعْدُ خَيْرٌ لِي مِنَ الْـ
قُرْبِ الَّذِي فِيهِ مَسَاسٌ

(٩٠)

[لما غضبت عليّ]^(١)

[الكامل]

لَمَّا غَضِبْتَ عَلَيَّ ضَاقَ بِيَ الْفَضَا
وَوَجَدْتُ كُلَّ الْعَالَمِينَ غَضَابَا
أَنَا قَدْ هَفَوْتُ وَهَذَا أَنَا لَكَ قَادِمٌ
أَحْثُو التُّرَابَ وَأَلْثُمُ الْأَعْتَابَا
إِنْ كُنْتَ أَجَلْتَ الْعِقَابَ تَمَادِيًا
فَكَفَى عِتَابُكَ يَا «سِرَاجُ» عِقَابَا
أَخِذْ أَوْ اصْفَحْ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنِّي
عَبْدٌ أَسَاءَ إِلَيْكَ ثُمَّ أَنَابَا

(١) ديوان شاعر البراري: ٨٢، ٨٣؛ وفيه أن الشاعر كتب هذه الأبيات معتذراً إلى سعادة سراج الدين باشا شاهين؛ وجيه كفر الجرايدة، عن هفوة صدرت من الشاعر في حق الباشا وأنشدها بين يديه في منزل الشيخ طه إبراهيم خال الشاعر ليلة الخميس ٢٨ يناير ١٩٢٦م؛ آملاً أن يتجاوز الباشا عن هذه الهفوة، وأن يساعده على أمر نقله من عمله في محلة القصب إلى كفر الجرايدة، وهو ما وعد به الباشا؛ غير أن واقع الحال كان على غير ذلك، فأدرك الشاعر أن الكلام في الصلح بينهما بعد ذلك لن يفيد متعللاً بقول الشاعر، وتعزى إلى أبي الزوائد الأعرابي: «وَهَلْ يُصْلِحُ الْعِطَارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ».

(٩١)

أَجْنِ الْمَنَاقِبَ^(١)

[الكامل]

أَجْنِ الْمَنَاقِبَ يَا سِرَاجَ الدِّينِ
مِنْ (شَاعِرٍ) لَكَ بِالْوَلَاءِ مَدِينِ
أَنَا رَوْضَةُ الْأَشْعَارِ تَجْنِي زَهْرَهَا
مَا دَمَتَ مِنْ مَاءِ الرِّضَا تَرْوِينِي
سَأُصَوِّغُ مَدْحَكَ فِي عَيُونِ قَصَائِدِ
نَجَلَاءِ تَعَشَّقُهَا (عُيُونُ الْعَيْنِ)
أَلْبَسْتُكَ عَقْدَ الْعَنَافَةِ غَالِيًا
وَعَفَفْتُ زَلَّاتِي بِدُونِ ضَمِينِ
فَلَأُلْبَسَنَّ عُثْلَاكَ عَقْدَ مَدَائِحِ
مَنْ كُلُّ مَعْنَى فِي الثَّنَاءِ ثَمِينِ

☆☆☆☆

لَمَّا غَضِبْتَ عَلَيَّ فِيمَا قَدْ مَضَى
رَقُّ الْعَدُوِّ لَذَّتِي وَشَجُونِي
وَالْيَوْمَ أَصْبَحَ مَذْ عَطَفْتَ عَلَيَّ يَحْدُ
سَدَنِي عَلَى ذَا الْعَطْفِ كُلُّ خَدِينِ
رَضِيَ الْوَرَى وَغَضِبْتَ أَنْتَ فَلَمْ يُفِدْ
هَذَا الرِّضَاءُ وَعَشْتُ عَيْشَ الْهَوْنِ

(١) ديوان شاعر البراري: ٢ / ١٠، ١١. وقد كتبها الشاعر إلى سعادة سراج الدين باشا جاهين شكرًا على جميل أسداه إليه. وتقدم بها إليه في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨م.

ورضيتَ أنتَ فنلتُ كُلَّ مَربِي
وتدبَّرتَ بين الأنعامِ شؤوني
فليغضبِ الزمنُ الظلومَ وأهلُهُ
فرضاك وحدك دائماً يكفيني
ما دام ظِلُّكَ فوق رأسي إنه
عن كلِّ ظلٍّ في الورى يُغنيني
قرَّتْ عيونك دائماً أبداً كما
قرَّتْ بعطفك يا (سراج) عيوني

☆☆☆☆

يا دائني (بجميلِه) بين الورى
أثقلت بالصفح الجميل ديوني
هذي يميني بالولاءِ أمُّها
مشفوعةً مني بحلفِ يمين
لا مُدَّ في أجلٍ ولا نلتُ المنى
إن خُنتُ ودَّكَ بعد مدٍّ يميني
املك وتيني يا (سراج) فإنني
ألقي إليك الآن حبلَ وتيني
سأكون عبداً مخلصاً لك دائماً
إخلاصَ عبدٍ مخلصٍ بيقين
فرضاك يا ركن المكارم من رضا
رَبِّي وحبُّك من تمام الدِّين

(٩٢)

زهر الأمانى^(١)

[البسيط]

قَطَفْتُ زَهَرَ الْأَمَانِي مِنْكَ فِي الْعِيدِ
فَاسْمَعْ إِذْنِي يَا (سِرَاجَ الدِّينِ) تَغْرِيدِي
إِنِّي أَنَا عِنْدَلَيْبُ الشُّعْرِ أَرْسَلُهُ
قَلَائِدًا تَشْتَهِيهَا أَنْحُرُ الْغِيدِ
وَالشُّعْرُ تَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَقَّتُهُ
فِي الْعَطْفِ وَالْجُودِ أَوْ فِي الْعَطْفِ وَالْجِدِ

☆☆☆☆

مَوْلَايَ مَا كَانَ عِيدِي يَوْمَ عِيدِهِمْ
بَلْ كَانَ يَوْمَ الرِّضَا مِنْ سَيِّدِي عِيدِي
وَدَّعْتُ آمَالَ نَفْسِي يَوْمَ نَبَذَ لِي
وَالْيَوْمَ نَادَيْتُهَا عَوْدِي إِذْنِ عَوْدِي
عَوْدِي فَنَفْسُ (سِرَاجِ الدِّينِ) قَدْ رَضِيَتْ
وَسَوْفَ يَخْضَرُّ لِي مَا جَفَّ مِنْ عَوْدِي
هُوَ الْحَيَاةُ فَإِنْ يَغْضَبُ فَنَاضِبَةٌ
دَوْمًا وَإِنْ يَرْضَ نُدْرِكُ كُلَّ مَقْصُودِ

(١) ديوان شاعر البراري: ٩٠٨ / ٢. وقد كتبها الشاعر إلى سعادة سراج الدين باشا جاهين في عيد الأضحى سنة ١٣٤٦هـ.

أنعم به من (سراج) يستنير به
لدى ظلام الأمانى كل منكوذ



مولاي وافاك عيد النحر مبتسماً
برغم أنف أعاديك المناكيد
وافاك يرفل في أثواب مفخرة
ممجداً في علاكم أيّ تمجيد
فؤاده (لفؤاد) كان (محتشداً)
وفي جمال (جميل)^(١) ذاق تسهيدي
فأخيو إلى كل عيد يزدهر بكمو
فأنتمو غرة في جبهة العيد



(١) فؤاد وجميل ابني سراج الدين باشا جاهين.. الممدوح بالقصيدة.
وغني عن البيان أن فؤاد سراج الدين هو محمد فؤاد سراج الدين باشا (١٩١٠ - ٢٠٠٠م) رجل الدولة
والسياسي المصري المشهور، سكرتير حزب الوفد وأحد أبرز قياداته في عهد النحاس تولى عدداً من
المناصب الوزارية في حكومات العهد الملكي، وأعاد تأسيس حزب الوفد الجديد بعد عودة الحياة
الحزبية إلى مصر عام ١٩٧٨م.

(٩٣)

[نأت]^(١)

[البسيط]

نأتُ مسرُّتنا لَمَّا دنا السُّفْرُ
لابنِ الألى كبروا قَدْرًا وما كَبِروا
الباذلونَ وأيدي الدهر ممسكةٌ
والبازغونَ وليلُ الخطبِ معتكِرُ
والعيسويُّونَ مَنْ تُتلى لهم سيرُ
لولا التُّقى قيل عنها إِنَّهَا سور
هم الوجوهُ الألى زينَ الزمانُ بهم
حتى كأنهم وفي طرفه حور
لم يأتِ ساحتَهُمْ يومًا أخو وطرٍ
إلا تَقَضَّى له في يومه الوطر
أرضٌ حَوَّتْهُمْ سماواتٌ، وبیتهمو
سعدُ السَّعودِ، وهم أقمارها الزُّهر
سيَّانٍ مَنْ حجَّ للبيت العتيق وَمَنْ
حجوا لبيتهم المعمور واعتَمروا
فنصفهُ مسجدٌ^(٢) قد أسسوه على
تقوى الإله فلا إثمٌ ولا حذر

(١) ديوان شاعر البراري: ٦٣ / ١. قالها الشاعر - لتوديع الشاب النبيل محمد أفندي نجل أحمد بك العيسوي عميد محلة القصب، وقد انتهت إجازته وحان موعد عودته لاستكمال دروسه بإحدى جامعات ألمانيا - في ليلة سفره يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٢٦م، ناطقًا فيها باسم بلدته.
(٢) إشارة إلى مصلى في منزل هذه الأسرة تؤدي فيه الصلوات جماعة، وتقرأ الأوراد فيه والاستغاثات كل يوم.



ونصفه خيرٌ مستشفًى لمن رَشَقَتْ
سهامها فيهم الأيامُ والغِيرُ



قد بلَّغونا الأمانِي في جوارهمو
ونَفَّرُوا كُلَّ مَكْرُوهِ وَهُمْ نَفَرُ^(١)
وعَلَّمونا الكرى ملء العيون؛ بَأْنُ
صانوا الحقوق، فلا ضَيْرُ ولا ضرر
لذا سنسهرُ إنْ يَبْعُدُ مَحَمَّدُهُمْ
وفي نوى مثله يُسْتَعَذَّبُ السَّهْرُ
هو النبيلُ الذي طوَّلَ الزمان له
في القرب والبعد في ألبابنا أثر
فإن تدانى فغيثُ جاد هاطِلُهُ
وإن تناءى فشمسُ الأفق أو قمر



يا راحلاً بين ألبابٍ وأفئدةٍ
سافرُ تَحَوُّطُ بك الآياتُ والسور
ولا تكن من ركوب البحر ذا وَجَلٍ
فإن جبريلَ عند البحرِ منتظر
شاء الإلهُ لك التغريبَ في جهةٍ
يتم فيها لك المأمولُ والوطر
فاقطفُ ثمار المنى وارجعْ إلى بلدٍ
نأت مَسَرَّتُهُ لما دنا السفر



(١) يقصد قلة عددهم.



(٩٤)

زيارة سمو الأمير^(١)

[مجزوء الكامل]

أشـرقت يا مـولاي إـشـ
— راق الرّجاء المنتظر
فـترنّحت أعطاف «بأ—
— قّاس» بمقدمك الأعـ
فـكأن عيداً عاد قبـ
— ل أوأنه فينا فسـ
أقسـمت لو أن «الرّبـ
— ع» يجيء في زي البشر
ورأيته جـار «الأمـ
— ر» لقلت.. أيهما «عمر»؟
نظراتنا وقلوبنا
كلُّ إليك على سـفر
مُسـتـجـلـيات غـرّة
شـفّت عن الشّيم الغـرر

(١) مجلة الوفاق في ١٣/٧/١٩٣٦، وقد كتبها الشاعر تحية للأمير عمر طوسون أثناء زيارته بلقاس.

فِي ثَوْبِكَ الْبَحْرُ الْفُورَا
تُ الْعَذْبُ، وَالرَّوْضُ الْعَطْرُ
خُلُقٌ سَوِيٌّ مُجْتَلَى
قَدْ زَانَهُ خُلُقٌ أَبْرُ
وَتَوَاضَعُ فِي رَفْقَةٍ
فَالْغَصْنُ حُمِّلَ بِالْثَمَرِ
لَوْ أَنَّ لَلْأَيَّامِ عَيْ
نَا كُنْتَ أَنْتَ لَهَا حَوْرُ
فِي كُلِّ وَادٍ سِيرَةٌ
لَكَ، دُونَهَا نَفْحُ الزَّهْرِ
سَيَرْتُ كَادَ النَّاسِ وَالْأ
أَيَّامُ تَحْسِبُهَا سُورُ
كَمْ قُحِتَ فِي مَصْرِ شَدَى
وَزَارَتْ فِي وَجْهِ الْغَيْرِ
هِيَ مِنْكَ مَا بَيْنَ الْخُلُو
عِ، وَمِلَّةٌ سَمْعَكَ وَالْبَصَرِ
فَإِذَا شَكْتُ كُنْتَ الدُّوَا
وَإِذَا صَدْتُ كُنْتَ الْمَطَرِ
وَإِذَا اعْتَدَى قَدْرٌ عَلَيَّ
هََا كُنْتَ أَنْتَ لَهُ قَدَرِ

فَأَمَامَ مَظْلَمَةٍ حُمِّي
وَأَمَامَ مُظْلِمَةٍ قَمَرِ
سَجَدَ الزَّمَانُ أَمَامَ مَا
خَلَّذَتْ فِيهَا مِنْ أَثَرِ
فَاسَلَمْ وَدُّمَ - لَا زِلْتَ يَا
مَوْلَايَ فَخَرًا يُدْخِرُ

مع الأقربين

(٩٥)

إلى الله^(١)

[البسيط]

يا واهباً لي وقد ولى الصِّبا ولداً
صُنَّه وهَيَّيْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ رَشِداً
حَلَّيْتَهُ الْيَوْمَ فِي ثَوْبِ الْبِرَاءَةِ فَضْداً
فَاضاً عَلَيْهِ فَلَا تَنْزِعْهُ عَنْهُ غِداً
اجْعَلْ لَهُ هَالَةً مِنْ نُورِ دِينِكَ يَا
رَبِّي، وَأَلْبِسْهُ مِنْ نَسِجِ الْهَدْيِ لُبِداً
وَاجْعَلْهُ فَجْراً لَأَمْوَالٍ تَفْجَّرُهَا
عَلَى يَدَيْهِ، وَلَا تَفْجَعْ بِهِ أَحَداً
لِي مِنْ بَنَاتِي بَانَاتٌ وَلَا عَجْبُ
إِذَا تَرَقَّبْتُ مِنْهُ طَائِراً غَرِداً

(١) نشرت في جريدة الوفاق، وقد كتبها تحية لمولد ابنه محمد.

(٩٦)

[أهلاً وسهلاً^(١)]

[البسيط]

أهلاً وسهلاً بناتي هنَّ بَنَاتِي
أشدو عليهنَّ في وادي لَبَانَاتِي
هنَّ اللواتي إذا ضاقتْ أو اتسعتْ
يُمهَلنَ أَنِي ولا يهملنَ أَنَاتِي
فيهنَّ ضعفٌ ولكنِّي أزدُ قوًى
بِضعفهنَّ مُعاناً في مُعانَاتِي
فإنَّ أُمْتُ فَأَمَانَاتٍ سَأَتْرُكُهَا
عندَ الإلهِ الذي يرعى أمانَاتِي

(١) من خط يد الشاعر، وهي ضمن مقال للأستاذ محمد عبدالعزيز حسن بعنوان «المرأة المسلمة عند شاعر البراري»؛ مجلة المنبر، العدد ١٢، السنة ٢٤، ص ٢٤٩.

(٩٧)

وشاح^(١)

[مجزوء الكامل]

يا أَلَفَ أَهْلًا يا «وشاح»
يا صَبْحُ في وجه الصبح
يا زَهْرَةً بَدَأَ «الربيع»
—عُ— بها كتفتيح الأقحاح
أَقْبَلْتُ كَالْحَلَمِ الَّذِي
—ذِ أَوْ الْعَتَابِ الْمُسْتَبَاحِ
فَمَشَيْتَ فِي قَلْبِي كَمَا
يَمْشِي أَنْدَمَالٌ فِي جِرَاحِ
«بِنْتَاهُ» عِشْيَ وَانْهَضِي
فَأَبُوكِ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ
يَبْنِي عَلَيْكَ لِكِ الْمَنَى
مُتَعَشِّمًا فِيكَ الْفَلَاحِ
بِنْتَاهُ هَذَا «وَالِدُ»
أَمْسَى عَلَى وَشَكِ الرُّوْحِ
فَإِذَا كَبُرْتَ «حَمَاكَ رَبُّ»
بُكَ مِنْ أَدَى الْقَدْرِ الْمَتَاحِ
وَسَأَلْتُ عَنِّي يَا وَشَا
—عُ، وَكُلُّ أَمْرٍ لَا تَضَاحِ

(١) نشرت في جريدة الوفاق؛ مؤرخة بـ ٢٢ مارس ١٩٣٢م.

وعلمتِ أَنَّ أَبَاكَ رَا
 حَ فَلَا يَضُرُّكَ قَوْل (رَا ح)
 بَلْ شَمَّرِي عَنْ سَاعِدِيْـ
 لَكَ وَذَلِّي سَبَلَ النِّجَاحِ
 يَا لَيْتَ شَعْرِي مَا وَشَا
 حِي يَوْمَ تَبْرَزُ لِلْكَفَاحِ؟
 هَلْ تَمَلَأُ الدُّنْيَا ابْتِسَا
 مًا؟ أَمْ سَتَمْلؤها نَوَاحِ؟
 أَخْشَى عَلَيْهَا مِنْ حَايَا
 قَدْ كِيدُهَا كِيدُ مَبَاحِ
 يَا لَيْتَنِي نَفَّقْتُ رَأَى
 يَ «أَبِي الْعَلَاء» وَلَا جَنَاحِ^(١)
 «هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلِيٍّ
 يَ» وَقَدْ جَنَيْتُ عَلَى «وَشَاحِ»

(١) إشارة إلى الأديب الكبير والمفكر والفيلسوف أبي العلاء المعري، أحمد بن عبدالله بن سليمان
 (٣٦٣ - ٤٤٩هـ)، حبيب المحبين وصاحب العزلة المشهورة، حرم على نفسه كثيرًا من متع الحياة،
 وأبى أن يتزوج راغبًا عن الإنجاب، وكان قد أمر أن يكتب على قبره:
 هذا جناه أبي عليٍّ يَ وما جنيتُ على أحدٍ
 وهو البيت الذي يتداخل معه الشاعر نصيبًا في آخر أبيات القصيدة.

(٩٨)

أيها السجين^(١)

[الرمل]

أيُّها المنقولُ في الدنيا - على
رُغْمِ أنفي - من سجونٍ لسجون^(٢)
أين تقواك؟ أضاعت عبثًا؟
لا وربِّي - بل له فينا شئون
قَدَرٌ صادق^(٣) «شيخًا هرمًا»
والذي قَدَرٌ لا شك يكون^(٤)
أصحيحٌ أنت جانٍ مذنَّبٍ؟
أم تورطت وهم لا يرحمون؟
مَرَّ عامٌ إثرَ عامٍ وأنا
غارقٌ في بحرٍ شكٍّ وظنون
ليتنى أعلمُ ما أخفيتهُ
أنت، أو يا ليت قومي يعلمون
يا جنين السَّجن ما كان دها
لك؟ أَسِحْرٌ^(٥) أم غباءٌ أم جنون؟

(١) نشرت في جريدة الوفاق، مؤرخة بـ ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣١م. والقصيدة كاملة باختلاف في رواية أبياتها هي النص السادس عشر والأخير بين مجموعة نصوص تحمل عنوان «شجود في سجين» في الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ١٦٠، ١٦١؛ نقلًا عن ديوان «خمر وجمر».

(٢) في الديوان الكبير: «من سجونٍ لسجون».

(٣) في الديوان الكبير: «قَدَرٌ داهم».

(٤) في الديوان الكبير: «والذي قدر حتمًا أن يكون».

(٥) في الديوان الكبير: «يا نزيل السجن ما كان دهاك، أجهل».

اقترافاً واعترافاً إثره؟
 أثّرُ باقٍ^(١) لِقومٍ يعقلون
 طالحو القرية مهما شمتوا
 فيك - يكفي أن بكاك الصالحون
 يا جنينَ السجن^(٢) مهلاً إنني
 مثلكَ اليوم^(٣) وهم لا يشعرون
 قد يهونُ السّجنُ للجسم ولـ
 كنّ سجنًا لضمير لا يهون
 يا جنين السجن^(٤) هل تذكّرني
 مثل ذكري؟ أم قسا القلب الحنون؟
 خلفك «ابنٌ» والله محترق^(٥)
 ناضبُ الآمال فيّاضُ الجفون
 سلّ سكونَ الليل كم أسلمني
 لانتحابٍ واضطرابٍ وسكون
 أنا وافٍ لا أخونُ العهد لا
 من له قلب كقلبي لا يخون
 أفتدي عينيك من دمع النوى
 فدموعُ البين تمضي بالعيون^(٦)

☆☆☆☆

(١) في الديوان الكبير: «واعتراف بعده آية كبرى لقوم».

(٢) في الديوان الكبير: «يا نزيل السجن».

(٣) في الديوان الكبير: «مثلك الآن».

(٤) في الديوان الكبير: «يا نزيل السجن».

(٥) في الديوان الكبير: «خلفك اليوم فتى محترق».

(٦) البيت يأتي بعد تالية في الديوان الكبير.

ما الذي تشكوه في «عامين» أو
ما الذي تشكوه إن مرَّت سنون؟
علموك النّسج لكن يا ترى
هُوَ نسج الغزل أم نسج الشجون؟
هكذا الأيام تَطْغَى يا (أبي)^(١)
هكذا الدنيا مجونٌ في مجون

(١) في الديوان الكبير: «هكذا الأيام تطفئ هكذا».

مع الشعر

(٩٩)

أنا الروض^(١)

[الطويل]

أنا الروضُ لم أُزَقْ ربيعاً ولا ندًى
ولي رغم هذا نَفْحَةٌ ولأم
ولو كنتُ ذا جاهٍ رفيعٍ وثروةٍ
لغنّى بشعري شائبٌ وغلّام
ففي عصرنا لا شعرٌ إلا بشهرةٍ
ولا غيرُ موشي النّجّارِ حُسام

(١) محمد السيد شحاتة؛ ديوان أحضان الطبيعة، بلقاس ١٩٣٥م: ص ١، وهي منشورة ضمن مقال بجريدة الأخبار.

(١٠٠)

يَمِينًا^(١)

[الوافر]

يَمِينًا لَا أَقُولُ الشَّعْرَ عَامَا
وَأِنْ مَلَّتْ قَوَافِيهِ الْفِطَامَا

(١) جريدة الوفاق في ١١ يوليو ١٩٣٢م. والأبيات في الفؤاديات: ص ٩٩ قسم الأسئلة والأجوبة والبيتان الأخيران مع أربعة غيرهما في نص آخر تحت عنوان «معتبتي على الشعر» نشره إسماعيل الصيفي عن ديوان «خمر وجمر» ضمن الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ١١٥؛ نقلًا عن ديوان «خمر وجمر». والأبيات الأربعة الأولى في هذا النص هي:

متى يا شعر تمشي بي أَمَامَا وتملؤني انشراحًا وابتسائمًا؟
كسوتك من شبابي لا ثيابي وطفْتُ بركتك السامي استلاما
وصغْتُك من دموعي بل دمائي وفضْتُ عليك لطفًا وانسجاما
وما رفعت عني اليوم ظلمًا ولا بددت من أفقي ظلامًا

وقد شغل هذا النص الذي نشرته الوفاق لشاعر البراري بعض الشعراء من قراء الجريدة فأرسلوا إليها قصائدهم في الرد على شاعر البراري، فمن هؤلاء شاعر نشرت له الوفاق في عدد ١٨ يوليو ١٩٣٢م باسم «شاعر الوفاق» قصيدة يقول في أولها:

تقول: مشيت باسم الشعر خلفًا وكنت تود لو تمشي أَمَامَا
رويدك، هل ظننت الشعر حصنًا يقيق نواذب الدهر الجساما؟
ومنهم الشاعر علي طاهر النخيلي الذي نشرت له الوفاق في العدد نفسه سبعة أبيات مطلعها:

أحقًا لَنْ تقول الشعر عامًا أتخطمه وما بلغ الفِطَامَا
ومنهم الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل الذي نشرت له الوفاق في عدد أغسطس ١٩٣٢م، قصيدة بعنوان «نجوى»، مهداة إلى الأستاذ شاعر البراري، أولها:

سمعتُ بروضة الدنيا حماما ينوح كأنما لاقى الحماما

أَيُّغْضِبُنِي وَيَمْلُؤُنِي اِكْتِنَابًا
وَأَرْضِيهِ وَأَمْلِؤْهُ ابْتِسَامًا^(١)
مَشَى بِي هَكَذَا يَا قَوْمَ خَلْفًا
وَكُنْتُ أَظُنُّهُ يَمْشِي أَمَامًا
فَلَمْ أَرْفَعْ بِهِ يَا صَاحِ غُرْمًا
وَلَمْ أَجْلِبْ بِهِ إِلَّا غَرَامًا^(٢)
أَسْأَلُ عَوَاطِفِي^(٣) فِي عَهْدِ قَوْمٍ
يَرَوْنَ جَمُودَ أَنْفُسِهِمْ لِيَزَامَا
وَتَغْرِيدُ الْبَلَابِلِ فِي رِيَاضٍ
يَبْسُتْنَ أَعْدُهُ شَيْئًا حَرَامًا

(١) البيت ليس في الفؤاديات.

(٢) روايته في الفؤاديات: «فلم أدفع به في الدهر غرمًا».

(٣) في الديوان الكبير لشاعر البرازي: «أسلت عواطفي».

(١٠١)

فلأسمع الصخر الأصم توجعي^(١)

[الكامل]

مالَتْ وأَيَّامُ (الأديب) تَمِيلُ
وَسَكَتُ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ يَقُولُ^(٢)
وَالْيَوْمَ أَرْجِعُ لِلْقَوَانِي رَجْعَةً
يَزُورُ مِنْهَا حَاسِدٌ وَعَذُولُ
أَنَا إِنْ سَكَتُ فَمَا عَجَزْتُ وَإِنَّمَا
حَالَتُ ظُرُوفٌ - وَالظُّرُوفُ تَحُولُ
بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ «مَعْرَكَةٌ» حَمَى
فِيهَا الْقِتَالُ (وَأَصْلُهَا مَجْهُولٌ)*
لَا نَارُهَا تَخْبُو، وَلَا هُوَ رَاحِمٌ
ضَعْفِي، وَلَا الصَّبْرُ الْجَمِيلُ جَمِيلٌ*
هَلَّتْ لَهَا نَفْسِي، وَمَنْ هَذَا الَّذِي
يَقْوَى عَلَى الْأَيَّامِ حِينَ تَصُولُ؟
أَسْطُولٌ هَمٌّ خَاضَ بَحَرَ عَوَاطِفِي
يَا لَيْتَ لَا بَحْرٌ وَلَا أَسْطُولُ
أُودِي بِصَبْرِي وَالشَّعْوِرِ كِلَيْهِمَا
وَكَذَا تَضَافُ إِلَى الْحَمُولِ حَمُولُ

(١) نشرت في جريدة الوفاق؛ والأبيات المؤشر عليها(*) . في خمر وجمر: ص ٤٨.
(٢) في ديوان خمر وجمر: عجز البيت (وكذا تضاف إلى الحمول حمول). وهو عجز ثامن أبيات القصيدة
حسبما نشرت في جريدة الوفاق.

بعضي تولّى والبقية أرجئت
حتى يعزيها الورى وتزول^(١)*
يا صاحبات الأيكِ دونك طولي
لحن التّعازي فالصائب طويل
مات الشعور وما وجدت معزّيًا
إنّ المعزي في الشعور قليل
فلأسمع الصخر الأصم توجّعي
من حيث سمع العالمين ثقیل^(٢)*
أنا إن يكن فلّ الزمانُ بصرفه
حدّي، فحدّ خواطري مصقول
روض القوافي لم يزل مُتَضَوِّعًا
عندي وزهري لم يصبه ذبول^(٣)*

(١) في ديوان خمر وجمر: عجز البيت (تستوعب الباقي لها وتزول).

(٢) في ديوان خمر وجمر: فالיום سمع العالمين ثقیل.

(٣) في ديوان خمر وجمر:

شعري رياض لا تزال غصونها خضرًا وزهري لم يصبه ذبول

(١٠٢)

الشعر في الريف^(١)

[مجزوء الخفيف]

مَلَّ أُخْدُوثَةَ الْوَرَى
مَلَّ مِنْ طَوْل مَا افْتَرَى^(٢)
كَانَ مِنْ قَبْلُ فِي الثُّرَى
يَا فَزَنُوه لِاتُّرَى^(٣)

☆☆☆☆

اتْرَكُوهُ يَنْنَمْ، وَلَا
تَوْقِظُوهُ مِنْ الْكَرَى^(٤)
أَوْ فَوَّقُوا حَقْوَقَهُ
وَارْفَعُوهُ إِلَى الذُّرَى

(١) نشرت في جريدة الوفاق. والقصيدة منشورة في الديوان الكبير لشاعر البراري تحت العنوان نفسه «الشعر في الريف»: ص ٣٠٥، ٣٠٦؛ نقلاً عن ديوان «وحي البراري». مع إشارة من الشاعر إلى أنها أُلقيت في حفل افتتاح (الرابطَة الأدبية) ببلقاس في ٢٧ أغسطس ١٩٣٨ م.
(٢) ليس البيت في الديوان الكبير؛ ومطلع القصيدة فيه:

وقفوه على الورى رجعوهُ إلى الورا

(٣) رواية البيت في الديوان الكبير:

خفضوه من الثرى يا، جزافاً، إلى الثرى

وبعده:

بالمراثي، وبالنها ني، وبالمدح مُفْتَرَى

(٤) قبل هذا البيت في الديوان الكبير:

يا رجال الشعور، يا قائلِي الشعر في القرى

اسْكُبُوهُ عَلَى الطَّيِّبِ
 عَةِ سَكَرَانَ مُسَكِّرَا
 ابْنُهَا - وَهِيَ أُمُّهُ
 وَهِيَ أُولَى مِنَ الْوَرَى
 اجْعَلُوهُ^(١) لَهَا حُلَى
 وَلَسَانًا مُعَبِّرَا
 وَابْعَثُوهُ إِلَى السَّمَاءِ
 وَاتِ نَجْمًا مُنَوَّرَا^(٢)
 وَابْعَثُوهُ إِلَى الرِّيَاءِ
 ضِ نَسِيمًا مُعْطَرَا
 وَابْعَثُوهُ إِلَى الْكُرُو
 مِ مُدَامًا مُطَهَّرَا
 وَابْعَثُوهُ إِلَى الطُّيُوسِ
 رِ غَنَاءً مُؤَوَّرَا
 وَابْعَثُوهُ إِلَى الزُّهْوِ
 رِ أَرِيَجًا مُنَشَّرَا
 وَابْعَثُوهُ إِلَى الزُّمَاءِ
 نِ كِتَابًا مُؤَوَّرَا
 وَاجْعَلُوهُ لِقَوْمِكُمْ
 مُنْذَرًا أَوْ مُبَشَّرَا

(١) في الديوان الكبير: «فاجعلوه».

(٢) بعد هذا البيت في الديوان الكبير:

وَابْعَثُوهُ إِلَى السَّحَابِ نَبْ دَمْعًا مُقَطَّرَا

(١٠٣)

حظ الأديب^(١)

[الكامل]

حظُّ الأديب (براعةٌ استهلالِ)
(وجناسُ) قولٍ (واقتباسُ) مقالٍ^(٢)
درسَ (الحقيقةَ) في الحياة وما (اغتنى)
فغداً يُحلَّقُ في سماءِ خيال
كم ذا يلاقي من زمانٍ أهْلُهُ
تبعُ لذي (الأطيانِ) والأموالِ^(٣)
يبدو الفتى ملءَ العيون مهابةً
عاليه ثوباً عَفَّةٍ وجلال
حتى إذا ما قيل لا ملُكُ له
نظروا إليه نظرةً استذلال

☆☆☆☆

يا من يعاتب لي الزمانَ فإنه
قاسي الفؤادِ وسيءُ الأفعال
عادى الأديبَ وخصَّه من بينهم
بالبؤس في الدنيا وسوء الحال

(١) ديوان شاعر البراري: ٢٧/٢، ٢٨.

(٢) إشارة إلى ثلاثة من ألوان البديع حسبما يقرر البلاغيون.

(٣) ذو الأطيان: صاحب الأملاك الزراعية.

وحبّا وحابى مَعشَرًا لم يعرفوا
شيئًا سوى رمضانَ من شوال
سأل الأديب، وما تحسن حاله
وأُتُوا مطالبهم بغير سؤال
والمرءُ إن غلبت عليه سعادةٌ
سالت لديه جنادل (الأجبال)
أما إذا غلبت عليه شقاوةٌ
تقف (المياه) لديه في (الغريال)^(١)

☆☆☆☆

لله كم قاسى الأديبُ وكم مشى
مُتَعَتِّرًا في ذيل ثوب بال
بيننا حصان البعض يُكسى ظهره
سرجًا موشى بالحرير الغالي
خاض الحياة وما لديه (دراهم)
والمال عند سواه (بالأرطال)^(٢)
ملأى من الدُرِّ الحِسان (أكفّه)
أما (الجيوُّ) فإنهنَّ خوال
نظر اللآلي في النحور فغاص في
لجج البديع فصاد خير لآلي
وأتى بها سوق الحياة يبيعها
ظنًا بأن السُّوقَ سوق رجال

(١) الغريال: وعاء خشبي ذو قاعدة شبكية تنقى عبرها الشوائب من الطحين وخلافه.

(٢) الأرطال: جمع رطل وهو من مكايل الوزن.

عُرِضَتْ هُنَاكَ فَلَمْ تَصَادَفْ شَارِيًّا
بَارِتْ وَأُغْرِمْ أَجْرَةَ الدَّلَالِ

☆☆☆☆

يَا دَوْلَةَ الْأَمْوَالِ ظَلُّكَ زَائِلٌ
مَا لَمْ تَعِينِي (دَوْلَةَ الْأَقْوَالِ)

مع الشيب

(١٠٤)

طلّاع الشيب^(١)

[الخفيف]

يا نجومًا طلّعنَ في ليلِ شعري
ليت هذا الطلوعَ في ليلِ شعري^(٢)
اطمئنّي^(٣) فلا غروبَ إلى أنْ
تغربي بي هناك في قاعِ قبري
قيل: شيبٌ، فقلت: بل بسماءُ
من ثغور المنونِ أخجلنِ ثغري^(٤)
قيل: زهرٌ، فقلت: لا بل رذاذُ
من دموع الصّبا المولّي بزهرى^(٥)
هُنَّ ضيفاتي النواهبُ عمري^(٦)
أصلحَ الله أمرهنَّ وأمري

(١) خمر وجمر: ص ٣٠، ٣١. والنص منشور في الديوان الكبير لشاعر البراري باختلاف في رواية بعض

الفاظه: ص ٣١٥ نقلًا عن ديوان «وحي البراري».

(٢) في الديوان الكبير: «أي معنى يصوغه فيك شعري؟».

(٣) في الديوان الكبير: «استقري».

(٤) رواية البيت في الديوان الكبير:

قيل: شيبٌ، فقلت: كلا ولكن بسمات فيهن إخجال ثغري

(٥) رواية البيت في الديوان الكبير:

وزهور يشربن ماء شبابي ثم ينعين لي شبابي وزهري

(٦) في الديوان الكبير: «عجباً ضيفاتي وينهن عمري»

(١٠٥)

صباح الشَّيب^(١)

[الوافر]

صباحُ الشَّيب رَدُّ عليَّ بابي،
وظلُّ لَدَيَّ مرتقبًا ذهابي..
وليسَ براحِلٍ عَنِّي إلى أنْ
أوَزَى مِثْلَ غَيْرِي فِي التُّراب..
ولا أدري، أَلْبَسُ يَوْمَ بَعَثِي
صباحَ الشَّيب، أم لَيْلَ الشُّباب؟

(١) من خط يد الشاعر؛ وكان الشاعر قد وضع لها أولاً عنوان الصباح المقيم، ثم عدل عنه إلى:
صباح الشَّيب.

مع المرأة

(١٠٦)

ما كنت أبخل^(١)

[الكامل]

ملاً الغرامُ عليَّ كلَّ جهاتي
وأنارَ عندي كامنَ الخطراتِ
بأبي وأمي يا غرامُ فأنتَ أَسْـ
تأذُّ تُعلِّمُنِي اختِرامَ حياتي
أغليتها مِن بعدِ رخصٍ جاء مِن
بُطءِ المنى وتسرُّعِ التَّكباتِ
قَرَّبْتَ زهرتها وقلتَ: إلَيْهَا
فَقَطَفْتُهَا مِن روضةِ الوجَناتِ
مَن لم تَزُرْهُ يا غرامُ فإنه
رغمَ الحياةِ يُعَدُّ في الأمواتِ
أَمَّا الَّذِي تُلْقِي عَصَاكَ ببابِهِ
فصفاتهُ مِن بعدِ خيرِ صفاتِ
تدعو إلى التفكيرِ والتقديرِ بلْ
وُثْرِيهِ كَيْفَ يُذِلُّ الْعُقَبَاتِ
كَم مِن نِطاقٍ ضَيِّقٍ أَوْسَعَتْهُ
كَم خَفَّةٍ حَوَّلَتْهَا لِثَبَاتِ
كَم مِن عَوَاطِفَ جامِدتِ زرتها
فَنَضَرْنَ بَعْدُ وَجِئْنَ بِالثَّمَرَاتِ

(١) ديوان شاعر البراري: ١٢٠/٢ - ١٢٢.

بُخْلُ الْبَخِيلِ تَرُدُّهُ كَرَمًا وَاحِدَ
جَامِ الْجَبَانِ تَرُدُّهُ وَثَبَاتٍ
(مِيزَانٌ^(١)) أَذْوَاقٍ تُسَوِّي دَائِمًا
بَيْنَ الْكِبَائِرِ بَعْدُ وَالْهَفَوَاتِ
تَكْسُو لِسَانَ الْمَرْءِ ثَوْبَ تَحَقُّظٍ
فَيَصُونُهُ خَوْفًا مِنَ الْعَثَرَاتِ
حَسَنَاتُ هَذَا الدَّهْرِ لَا عَدَدَ لَهَا
وَالْحُبُّ أَحْسَنُ هَذِهِ الْحَسَنَاتِ
عَوَّذْتُهُ مِنْ أَعْيُنِ السَّلَوَانِ بِاللَّ
لِهِ الْقَوِيِّ مُسَخَّرِ النَّسَمَاتِ

☆☆☆☆

مَنْ أَيْنَ كَانَ (الشَّعْرُ) يَطْرُقُ فِكْرَهُ
لَوْلَا خُضُوعُ الْقَلْبِ لِلْحِظَاتِ
الْحُبُّ مِفْتَاحُ الْقَرِيضِ وَمَنْ أَتَى
مِنْ غَيْرِهِ يَسَاءُ مِنَ الْوَقَفَاتِ
فَتَحَّتْ عَيُونَ الشَّعْرِ عِنْدَ الْأَوَّلِيِّ
نَ وَفَجَّرَتْهَا أَغْيُنُ الظُّبْيَاتِ
مَنْ أَجَلَ ذَا قَدَّرُوا الصَّبَابَةَ قَدَّرَهَا
وَمَشُّوا وَرَاءَ جَمَالِ كُلِّ فَتَاةٍ
انْظُرْ تَجِدُهُمْ يَبْدُونَ مَدَائِحَ الْ
أَمْرَاءَ بِالتَّشْبِيهِ فِي الْغَادَاتِ
مِمَّا يَدُلُّ بِأَنَّهُمْ يَا صَاحِبِي
عَدُّوا الْهَوَى فَيَضُا مِنَ الرَّحِمَاتِ

☆☆☆☆

أَمَّا أَنَا فَلَقَدْ وَهَبْتُ مَوَاهِبِي
(لِفَتَاةٍ رِيْفٍ) حُلُوةَ اللَّفَاتِ

(١) خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنت.

ظُبِيَّةِ النظراتِ يَأْبَى طَيْفُهَا
 فِي اللَّيْلِ أَنْ يُرْخِيَ عَنَانَ سَبَاتِي
 تَخْطُو فَيَخْطُو الْقَلْبُ بَيْنَ جَوَانِحِي
 طَبُّقًا لَوَقَعَ أَوْلَيْكَ الْخَطَوَاتِ
 تَسْتَأْ مِنْ صَبْرِي، وَتَقْبِضُ وَجْهَهَا
 غَضَبًا عَلَيَّ إِذَا بَسَطْتَ شَكَاتِي
 إِنْ أَنْسَهَا؛ لَمْ أَنْسَهَا يَوْمَ النَّوَى
 لَمَّا مَشَتْ وَجَمَدَتْ فِي حَرَكَاتِي
 أَتْبَعْتُهَا نَظْرِي فَسَارَ وَرَاءَهَا
 مُتَعَثِّرًا فِي أَذْيِلِ الْعِبْرَاتِ^(١)
 سَارَتْ وَحَاوَلْتُ الْمَسِيرَ فَلَمْ أَطُقْ
 وَبَقِيْتُ بَيْنَ بَرَاثِنِ الْحَسَرَاتِ
 أَشْفَقْتُ سَاعَتَهَا عَلَى قَلْبِي؛ لَخَا
 طِرْهَا، وَلَمْ أَشْفُقْ عَلَيْهِ لِدَاتِي
 مَا كُنْتُ أَبْخُلُ بِالْحَيَاةِ وَرَاءَهَا
 لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِاللِّقَاءِ الْآتِي

(١) البيت آخر أربعة أبيات ذات نفس صوفي تحت عنوان «بعض الصالحين» في الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٥٥٥؛ نقلاً عن ديوان «بين الماضي والحاضر»؛ ونصها:

تركوا الكلام وراءهم، وتقدموا	يتكلمون بالأسن النظرات
يمشون، أيديهم مذللة الجنى	وقلوبهم مشبوبة الجمرات
نظروا إلى «ليلي» فلم تعرفهمو	وعرفتهم فتضاعفت حسراتي
أتبعتهم نظري فسار وراءهم	متعثراً في «أذيل» العبرات

(١٠٧)

يا خَلِيَّ القلبِ حاذِر^(١)

[الرمل]

قد تَبَدَّيْ مثلَ غصنٍ ومضى
فسبَى قلبي المَعْنَى ومضى
رُدُّ قلبي يا (غزالي) أو إذا
كان قد ضاع فهاتِ العَوْضَا
كنتُ لا أطلبُ قلبي أبداً
لو أخذتِ القلبَ مني عن رضا
غَرَّكُم يا (معشر الغزلان) أنْ
لن تُساقوا - في قتيلٍ - للقضا
قد قضى الله علينا بكمو
وَمَنْ المُسْطَيعُ تغييرَ القضا؟

☆☆☆☆

مَنْ شفيعي عند ظبي كَلِّما
أعرَضُ الشكوى عليه أعرَضَا؟
صار قلبي في هواه غرضاً
ثُمَّ لَمَّا أقضٍ منه غرضاً
صَحَّ فيه سهدُ عيني في الدُّجَى
طول ليلا تي وصبري مرضاً
يا خَلِيَّ القلبِ حاذِرَ فالهوى
عارضٌ يُطرُّ جُمُراتِ الغضى
لا تسلني الآن عن حالاته
بل فَسَلْنِي الآن عن ضيقِ الفضا

(١) ديوان شاعر البراري: ١٠٨/٢.

(١٠٨)

[تشكو الهوى]^(١)

[البسيط]

تشكو الهوى حال أن الظل معتدلٌ؟
ما بال لومالت الأيام يا رجلٌ؟
خلَّ الشَّكِّي لمن خانتُهُ غادتهُ
ومالهُ في الهوى حولٌ ولا حيل
يهنيك أن «فتاة الحَيِّ» ثابتةُ
على هواك ودأبُ الشمس تنتقل
يهنيك أن بادلَّتكَ الحبَّ وانعطفتْ
ميلاً إليك ورقُّ العطف والبذل^(٢)
عوذَّ عواطفها من شرِّ ذي حسدٍ
فمن يكن مثلها يُحسدُ ولا جدل^(٣)
وفيةً، والغواني لا وفاء لها
أقلُّ ما يعتريها في الهوى الملل

☆☆☆☆

أما التَّجني فلا تجزع له أبداً
فما خبا أملٌ إلا بدا أمل
تريده خالصاً مما يكدره؟
هذا الذي لم ينلْهُ العشر الأول

(١) جريدة الوفاق ٢٧ يونيو ١٩٣٢م: ص ٣، وقد أرخ الشاعر لكتابة القصيدة في ٢٢ يونيو ١٩٣٢م.

(٢) العطف والبذل من أبواب النحو في قسم التوابع.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: «ومن شر حاسد إذا حسد»؛ الفلق: ٥.

هو الهوى لذة في طيها ألم
مثل الخلية فيها النحل والعسل
قاسى «جميل» كثيرًا في «بثينته»
واستخدم الريح لما عَزَّتِ الرُّسُلُ^(١)
«وعزة» الحُسنِ عَزَّتْ عن «كُثَيَّرَهَا»
حتى السلام وضاقت حوله السبل^(٢)



يا داخلَ الخدر مأخوذًا ومضطربًا
أقلُّ ما في الهوى أن الهوى خَبِلَ
أردتْ تُبْرِئَ جرحًا في الحشا فَدَمِي
جرح الصَّبابَةِ يدمى حين يندمل
جلست والقلب نصفٌ همٌّ مرتجياً
والنصف أوشك عن جنبك يرتحل
لك السلامة منه موقفًا حرجًا
القلبُ منفصلٌ فيه ومتَّصل



أما الحديثُ الذي قدر دار بينكما
فلم يكن هو إلا السَّحر والثَّمَلُ
أنساكَ نفسكَ حتى قمت منفعلًا
والمرءُ لا شكَّ ينسى حين ينفعل

(١) جميل بن عبدالله بن معمر العذري (ت ٨٢هـ)، المعروف بجميل بثينة، من عشاق العرب المشهورين، قصر شعره على الغزل، وافتن بحبيبته بثينة ونسب إليها.
(٢) كثير بن عبدالرحمن الخزاعي (٤٠ - ١٠٥هـ) المعروف بكثير عزة، شاعر متيم مشهور من بادية المدينة، وأكثر إقامته بمصر عند واليها عبدالعزيز بن مروان بن الحكم؛ وتنوعت أغراض شعره، وإن اشتهر بغزلياته في محبوبته عزة التي ينسب إليها.

أظن يا صاحٍ لم ينطقُ هناك فمٌ
وإنما حدَّثتك الأعيُنُ النُّجُلُ

☆☆☆☆

ماذا تريد من الشكوى؟ أعن علي
فينتهي؟ أم هواها ما له علل؟
لَهْفي عليك وإن عَرُفْتَ نفسك لي
شاطرْتُكَ الشُّجُوَ حتى ينتهي الأجل

(١٠٩)

ألم يكفكم^(١)

[الطويل]

حجبتُم شمسَ الكتُب من زمنٍ عنَّا
فهل ذا لِعذرٍ؟ أم لِأمرٍ لَكُم عنَّا؟
أَحبابُنَا باللهِ مُنُّوا بِكُتُبِكُم
ومُنُّوا بتوضيحِ الذي قد جرى مِنَّا
أَلَمْ يَكْفِكُم أَنْ القُلُوبَ مقيمةٌ
لديكُم وإن كنا بأجسامنا بِنَّا؟
وأنَّا - على أن الهوى ذو قلبٍ -
تَبَتُّنَا على حِفْظِ العهودِ وما خُنَّا
وأنَّا إذا غَنَّى الحَمَامُ نَظْمَهُ
يُبَشِّرُ باللقيا فَنَضْبُو إذا غَنَّى
وأنَّا إذا ما أن في الليلِ ذو ضنَّى
نئنُّ من الداءِ الدَّفِينِ كما أنَّا
وأنَّا نعانِي - والنجومِ شواهدُ -
سُهادًا يوافينا به الليلِ إن جُنَّا
وأنَّا بكم هُنَّا، وكنا أعزَّة
ويا طالما خُضْنَا الخطوبَ وما هُنَّا

(١) ديوان شاعر البراري: ٢٨/١.

فلا تحسبوا أنَّنا سلونا وأننا
بغير هواكم في البرايا تَدِينُنا
رضيناها ديناً وامتنلنا لحكمه
فلا تقطعوا آياتِ عطفكمو عَنَّا

(١١٠)

إِذْنُ فَهْمُو تَسَلُّوا عَنْ غَرَامِي^(١)

[الوافر]

سَهَرْتُ اللَّيْلَ بَعْدَهُمْ وَنَامُوا
إِذْنُ فَعَلَيْكَ يَا دُنْيَا السَّلَامُ
بِأَيِّ جَوَانِحٍ جَنَحُوا لِنَوْمٍ؟
وَكَيْفَ أُتِيحَ بَيْنَهُمُ الْمَنَامُ
هَمُّ وَجَدُوا الْكَرَى شَيْئًا حَلَالًا
وَعِنْدِي أَنَّهُ شَيْءٌ حَرَامُ
غَرَامُ الْمَرْءِ إِنْ هُوَ لَمْ يَشْرُدْ
كَرَاهًا، فَلَا يُقَالُ لَهُ غَرَامُ
إِذْنُ فَهْمُو تَسَلُّوا عَنْ غَرَامِي
(وَكُلُّ رِضَاعَةٍ وَلَهَا فِطَامُ)
أَظَنَّهُمْ رَأَوْا شَيْئًا عَالَانِي
فَخَلُّوا حَبْلَ مِيثَاقِي وَنَامُوا!
نَعَمْ قَدْ شَابَ شَعْرُ الرَّأْسِ لَكُنْ
فَوَادِي فِي مَحَبَّتِهِمْ غَلَامُ
وَشَعْرِي لَمْ يَشِبْ كِبَرًا وَلَكُنْ
(ذَوُو الْقُرْبَى قَعَدَتْ بِهِمْ وَقَامُوا)
أَحَاطُوا بِي فَحَاطَتْ بِي هَمُومُ
وَالْأُمُّ وَأَهْلُ الْوَالِدِ جَسَامُ

(١) ديوان شاعر البراري: ١٢٦/٢، ١٢٧.

إِذَا أَمْطَرْتَهُمْ وَدًّا وَحَبًّا
تَبَدُّوا لِي وَهُمْ سَحْبٌ كَهَامٍ
(أَسْوَدٌ) فِي مَعَامِلَتِي وَلَكِنْ
نَحْنُ إِنِ عَامِلُوا غَيْرِي (نَعَامٌ)^(١)
سَهَامُهُمْو تَصِيبٌ صَمِيمٌ قَلْبِي
فَمَا أَقْسَاكَ يَا هَذَا السَّهَامِ
عَفَا الرَّحْمَنُ عَنْهُمْ رَغْمَ هَذَا
فَهُمْ أَهْلِي وَإِنْ ضَاعَ الذَّمَامُ

☆☆☆☆

بِرُوحِي أَفْتَدِي أَقْمَارَ تَمِّ
لَهُمْ فِي مَهْجَتِي فَلَكَ مُقَامٌ
رَأَيْتُ الدَّهْرَ مَعَهُمْ فِي اجْتِمَاعٍ
فَفَرَّقْنَا - وَلِلدَّهْرِ احْتِكَامٌ
نَأْوُ عَنْ صَبِّهِمْ فَكِرَاهُ سُهْدٌ
وَرَاءَهُمْو، وَصَحْنُهُ سِقَامٌ
صَفَا عِيشِي بِهِمْ زَمْنًا وَلَكِنْ
صَفَاءُ الْعِيشِ لَيْسَ لَهُ دَوَامٌ

(١) إشارة إلى القول الذائع من شعر عمران بن حطان السدوسي (ت ٨٤هـ) رأس القعدة من صفرية
الخوارج وخطيبهم وشاعرهم؛ يخاطب به الحجاج بن يوسف الثقفي:
أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ
رَبْدَاءُ تَجْفُلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ

(١١١)

أظن سعاداً حملته رسالة؟^(١)

[الطويل]

تَدَلَّى فَأَوْتَهُ هَناكَ غُصُونُ
حَمَامٌ لَهُ بَيْنَ الْهَدِيلِ أَنْيُنْ
تَغْنَى فَسَالَتْ عَبْرَتِي رَغْمَ خَاطِرِي
وَأَنْ فَهَاجَتْ فِي الْفَوَادِ شَجُونُ
فَقُلْتُ: إِنْ أَفْضِي إِلَيْهِ بِلَوْعَتِي
وَأَنْظُرَ مَاذَا بَعْدَ ذَاكَ يَكُونُ
فَأَنْشَدْتُ تَشْبِيبِي فَأَطْرَقَ مَصْغِيَاً
فَلَمَّا خَتَمْتُ الْقَوْلَ عَادَ يَبِينُ
إِذَا فَهُوَ مِثْلِي قَدْ جَفَاهُ أَلْيَفُهُ
وَقَدْ شَفَّاهُ وَجَدُّ لَدَيْهِ دَفِينُ
لِكُلِّ شَجُونٍ غَيْرَ أَنَّ شَجُونَهُ
أَثَارَتْ شَجُونِي وَالشَّجُونُ فَنُونُ
يُعِينُ عَلَى حَمْلِ الْغَرَامِ وَحَبِّذَا
حَمَامٌ عَلَى حَمْلِ الْغَرَامِ يُعِينُ

☆☆☆☆

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي قَدْ حَدا بِهِ
إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْغَرِيبُ مَهِينُ

(١) ديوان شاعر البراري: ١١٥/٢، ١١٦.



أظن (سعاداً) حَمَلَتْهُ رِسَالَةٌ
وقالت حَمَامُ الْأَيْكِ لَيْسَ يَخُونُ؟
فجاء يُوَدِّيْهَا لَصَبٍّ عِيُونُهُ
قَرَحْنَ فَلَمْ تُطْبِقْ لَهُنَّ جَفُون

☆☆☆☆

وقاهُ إِلَهُ النَّاسِ مِنْ كُلِّ صَائِدٍ
فهذا رَسُولٌ فِي الْغِرَامِ أَمِينٌ
ولا زال مَمْدُودَ الْجَنَاحِينَ مَطْلَقًا
ولا فَجَعَتْهُ فِي بَنِيهِ مَنْوَن



(١١٢)

إِذَنْ أَشْكُوكَ^(١)

[الوافر]

أُ (سَيِّدَتِي) قَفِي بِي عِنْدَ حَدٍّ
فَقَدْ أُسْرِفْتُ فِي تِيهِ وَصَدَّ
أَنَا لَا أَطْلُبُ اسْتِمْرَارَ قَرَبٍ
فَأَحْلَى الْقَرَبِ قَرَبٌ بَعْدَ بُعْدٍ
وَلَكِنْ كُلُّ مَا أَرْجُوهُ إِلَّا
تَشَوُّبِي فِي الْهَوَى هَزْلاً بَجْدٍ
أَيْمَنُكَ الدَّلَالُ - وَقَدْ تَوَالَتْ
عَلَيْكَ رَسَائِلِي - مَنْ أَنْ تَرُدِّي
إِذَا كَانَ الدَّلَالُ أَبَاحَ هَذَا
فَرُدِّي نَفْسَ مَا أُرْسَلْتُ رُدِّي
وَحَسْبِي أَنْ يُوَافِينِي كِتَابٌ
وَعَنَوَانِي عَلَيْهِ بَخَطٍ (هَنْد)

☆☆☆☆

أَظُنُّكَ قَدْ عَبَثْتَ بِهِنَّ لَمَّا
وَجَدْتَ رَسَائِلَ الْأَشْوَاقِ تُعْذِي
إِذَنْ أَشْكُوكَ لِلْحُسْنِ الْمَفْدَى
لِيَعْلَمَ كَيْفَ خَنَتْ الْآنَ عَهْدِي
وَهَذَا الْحُسْنُ لَنْ يَرْضَى بِحَالٍ
مَنْ الْأَحْوََالَ أَنْ يَخْتَانَ وَدِّي

(١) ديوان شاعر البراري: ١١٨/٢، ١١٩.

بماذا أنت تعتذرين لِمَا
أُبَيِّنُ لَهُ ظِلَامَاتِي وَأُبْدِي
أَسَاءَتِي وَمَا أَسَاءْتُ إِلَيْكَ يَوْمًا
ظَلَمْتُ وَأَيُّ مَعْذِرَةٍ سَتُجِدِي؟
أظنك سوف تَخْتَلِقِينَ ذَنْبًا
ليثبتَ بعضُ هذا الحقِّ ضِدِّي؟
جمالُكَ عالمٌ واللَّهُ أيضًا
بأنِّي قد (حببتُكَ) فوق جهدي

☆☆☆☆

مكاتبةُ الأُحَبَّةِ مِنْ قَدِيمٍ
وكم من أسطرٍ للغيدِ عندي
أَكُونُ ظَلَمْتُ نَفْسِي شَرًّا ظَلَمٍ
لو استطرَفْتُهَا يا (هَندُ) وحدي

(١١٣)

ألقى عصاه واستقر^(١)

[مجزوء الكامل]

لحظاك يا ذاتَ الحَوَزِ
أَسْرَا الفؤَادَ على قَدَرِ
نَفَثًا به السَّحَرِ الحَالَا
لَ فصَيِّراًهُ على خطرِ
حَاذَرْتُ من شَرِّكَ الغَرَا
مِ فلم يُفِدْ هذا الحذرِ
ما دام لي قلبٌ يَرْقُبُ
قُ فليس لي منه مَفَرِ
أَمَرَ الجمالُ وواجبُ
أنِّي أطيع إذا أَمَرَ
مَنْ لَمْ يُجِبْ داعي الهوى
يومًا فقل عنه حَجَرُ

☆☆☆☆

الحُسْنُ يملك مِقْوَدِي
في البدو كان أو الحضرِ
أهوى الجمال وإن شَقِيحِ
تُ به وَمَسَّنِي الخطرِ

(١) ديوان شاعر البراري: ١٢٤/٢، ١٢٥.

وَيَلْذُ لِي صَوَغَ الْقَوَا
فِي فِي التَّجَنِّي وَالْخَفَرُ
فَالشَّعْرُ يُثْمَرُ فِي الْجَسَا
نِ الْبَيْضِ أَشْبَاهَ الرَّهَرُ
وَيَضِيغُ فِي بَاقِي الْوَرَى
لَا سِيَمَا فِي ذَا الْعَصَرِ
كَمْ قَطْعَةً إِنْ وَجِهُتْ
لِلصَّخْرِ يَوْمًا لَأَنْفَجَرُ
وَجِهُتْهَا لَفَتَّى فَلَمْ
يَظْهَرْ لَهَا فِيهِ أَثَرُ

☆☆☆☆

أَعْيَانُ مَصْرٍ أَصْبَحُوا
لَا يَشْعُرُونَ بِمَنْ شَعَرَ
جَمُودَتْ عَوَاطِفُهُمْ فَلَا
خَيْرٌ لَدَيْهِمْ يُنْتَظَرُ
أَرْنِي فَتَّى مِنْهُمْ وَقَى
بِوَعُودِهِ يَوْمًا وَبَرُّ
يَعْدُ الْوَعُودَ وَلَا يَفِي
مَا ضَرَّهْ لَوْ يَعْتَذِرُ
أَرْنِي فَتَّى مِنْهُمْ إِذَا
وَأَفْأَاهُ مَغْلُوبٌ نَصْرُ
أَرْنِي فَتَّى مِنْهُمْ إِذَا
أَوَّلِيَّتُهُ عَرَفَا شُكْرُ

أرني فتَّى منهم عفا
عن غيرِه لَمَّا قَدَرُ
يا ليتهم يعفوننا
يا صاحٍ من خيرٍ وشرٍ
أرْبأُ بشعركَ عنهمو
فالشعرُ فيهمُ محتقر
يا ربة الحُسنِ البديءِ
مع فداكِ سمعي والبصرِ
علمتني (نظم القوا
في) يا مليحة في الصغر
فذهبتُ فيه مذهباً
لم يبتكرها (صردر)^(١)
فتحكمي في مهجتي
ومُـرري فـؤادي ياتمر
وعليّ أني لا أحبُّ
بُـسـواكِ حتى أحتضر
هذا غرامُك في الحشا
ألقي عصاه واستقر

(١) هو علي بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي، شاعر عباسي مشهور كان يقال لأبيه صرُّ بعر لبخله، وانتقل إليه اللقب، حتى قال له نظام الملك: أنت صرُّ دُرِّ فلزمته؛ توفي سنة ٤٦٥هـ.

(١١٤)

في الحب^(١)

[البسيط]

وفي المنازلِ غُصْنٌ أَذْمَعِي ثَمْرُهُ
سَهَرْتُ فِيهِ، وفي غير الهوى سَهْرُهُ
مَوْزُغُ القلب، لم أحكم عواطفَهُ
وحدي، لذلك أهـواه وأحتقرُهُ
نَخَى صَبَاحٍ وَصَالِي ثُمَّ الْبَسْنِي
ليلاً من الهجر لا أدري متى سَحَرُهُ
فهل لقلبي دواءٌ يَسْتَعِينُ بِهِ؟
أم لا دواءَ لَصَبِّ دَاوَاهُ قَدَرُهُ؟

(١) الفؤاديات: ص ٩٨ ضمن قسم الأسئلة والأجوبة.

(١١٥)

أعيروني فؤادًا أعش به^(١)

[الطويل]

أنا يا رفاقي قد فقدتُ فؤادي
فقوموا ابحثوا عنه بحي «سعاد»
والأ أعيروني فؤادًا أعش به
فما أنا مَنْ يحيا بدون فؤاد
ولا تعذلوني إنني قد فقدتُهُ
بِوَادٍ به شهب الجمال بِوَادٍ
مررتُ به من قبل أن أعرفَ الهوى
فجدَّ الهوى عندي بغيرِ مرادي

(١) ديوان شاعر البراري: ٣٣/١.

(١١٦)

هي العيون^(١)

[البسيط]

هي العيونُ ولا إثمٌ ولا حرجُ
تَرنو فتسجدُ إجلالاً لها المَهجُ
فَلِيَعْذُرِ الوالَةَ المشغوفَ عاذِلُهُ
لا ذنبَ لَلْفُلكِ تعلو فوقَهُ اللُّججُ

(١) ديوان شاعر البراري: ١٠٧/٢.

(١١٧)

كأنها^(١)

[الكامل]

مَن لي بها «قِبْطِيَّة» لو أدركتُ
عهد «المسيح» أتى بها «الإنجيل»
بَهَرَتْ عَقُولَ أُولِي الْعُقُولِ كَأَنَّهَا
«رُؤْيَا» وَلَمْ يُعْلَمْ لَهَا «تَأْوِيل»

(١) ديوان شاعر البراري: ٣٧/١.

(١١٨)

في حبيب بعث يعاتب^(١)

[المتقارب]

تلا لي أي العتابِ الرسولُ
وذنبِي جَلِيٌّ فماذا أقولُ؟
فإن شئتَ اخِذْ، وإن شئتَ فاصفحْ
ومني المتأبُّ، ومنك القبول

(١) ديوان شاعر البراري: ٣٠/١.

(١١٩)

يجود بقبلة ويملُّ منها^(١)

[الوافر]

أَقُولُ لَهُ: لَقَدْ بَلَغَ الْهُوَى بِي
مَدَاهُ، يَقُولُ لِي: وَمَنِ الشَّهَوْدُ؟
شُّهُودِي فِي الْهُوَى وَجُدِي وَسُهِدِي
وَنَجْمُ اللَّيْلِ فَوْقَهُمَا شَهِيدُ
أَمَّا يَكْفِيهِ أَنْ الْقَلْبُ بِالِ
وَأَنْ هَوَاهُ مَعُ قَدَمٍ جَدِيدِ
لِي اللَّهُ الْمَهِيْمَنُ فِي غَزَالِ
غَرِيرٌ، وَاسْمُهُ فِينَا رَشِيدُ
قَرِيبٌ فِي مَسَاكِنِهِ بَعِيدُ
فَلَا أُدْرِي قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدُ
يُعِينُ عَلَيَّ غُذَّالِي وَيُبْكِي
فَلَا أُدْرِي وَدُودٌ أَمْ لَدُودٌ؟
يَقَاطِعُنِي وَمَنْتَظَرٌ وَصَالُ
وَيَأْتِيَنِي وَمَنْتَظَرٌ صَدُودُ
وَكَلَّتَا الْحَالَتَيْنِ بَلَا تَرَوُ
فَلَا وَعْدٌ لَدَيْهِ وَلَا وَعِيدُ
يَجُودُ بِقُبْلَةٍ وَيَمْلُ مِنْهَا
مَرَادِي لَا يَمْلُ وَلَا يَجُودُ

(١) ديوان شاعر البراري: ١٢٢/٢، ١٢٣.

يَزِيدُ تَجَنُّيًا فَاَزِيدُ وَجُدًا
وَيَخْشَى أَنْ يَزِيدَ وَلَا أَزِيدُ
حَبِيبِي لَيْسَ لِي ذَنْبٌ فَمَهْلًا
تَرْفُقُ بِي فَمَا قَلْبِي حَدِيدُ
تَجَنُّي الْحُبُّ لَيْسَ لَهُ حُدُودُ
كَذَاكَ الْوَجْدُ لَيْسَ لَهُ حُدُودُ
تَعَالَ نَقْفٌ لِحَدِّ نَرْتَضِيهِ
وَإِنْ قَصَّرْتُ فَاَفْعَلْ مَا تَرِيدُ
أَنَا عَبْدُ الْهَوَى وَأَخُو التَّصَابِي
وَكَمْ لِلْحَسَنِ فِي الدُّنْيَا عَبِيدُ
خُلِقْتُ يَقْوَدُنِي قَدٌّ وَخَدٌّ
وَيَمْلِكُ مَهْجَتِي عِطْفٌ وَجِيدُ
وَلِي فِي عَالَمِ التَّشْبِيبِ (دَيْنُ)
وَلِي بِمَوَاسِمِ الْعِشَاقِ (عَيْنُ)
يَحِيدُ النَّاسَ عَنْ ظَبْيِي لُظْبِي
وَمَهْمَا حَادَ غَيْرِي لَا أَحِيدُ

(١٢٠)

قصدي^(١)

[مجزوء الكامل]

يا أَخْتِ أَغْصَانِ الْأَرَاكِ
قصدي أراك؛ فهل أراك؟
أنا فيك سهرانٌ فهل
أقالتِ بعدي من كراك
كلًّا فلو ذقتِ السُّها
دَلَّ لكان أثَّرَ في بهاك
أبكي عليكِ وأننتِ لا
تُبْكَيْنَ يَوْمًا مَنْ بَكَكَ
لا تحزني فأننا أخوا
فُ على عيونكِ من بُكَكَ
لا عاشَ مَنْ مِنْ أَجَلِهِ
تبكي وتسهدُ مقلتك
أنا لا أعاني مِنْ زما
ني ما أعاني مِنْ جفاك
هلاً نَهاكِ عن الجَفا
يا جَنَّةَ الدنْيا نُهاكِ؟

(١) ديوان شاعر البراري: ٣٠/١، ٣١.

زِيدِي جَفًّا وَتَمَنُّعًا
إِنْ كَانَ فِي هَذَا رِضَاكَ
أَنَا لَسْتُ أَهْوَى أَيَّ شَيْءٍ
— مِثْلَمَا أَهْوَى لِقَاكَ
دَوْمًا لِقَاؤُكَ مِنْ مُنَا
يَ فَهَلْ لِقَائِي مِنْ مُنَاكَ؟
إِنْ كَانَ ذَلِكَ فَاقْبَلِي
أَوْ فَاسْأَلِي أَتِي (جِدَاكَ)^(١)

(١) جِدَا: ظرف بمعنى عند، يستعمل في اللهجة الريفية المصرية، وينطق بفتح الحاء أو كسرهما.

(١٢١)

سَيَّان^(١)

[مجزوء الكامل]

قَاتَمَ عَلَيَّ لَقْدُ غَوَى
وَأَضْلَأَهُ عَشْقُ الدُّمَى
وَوَحَقُّ مَنْ فَلَاقَ النَّوَى
(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا)^(٢)
مَنْ ذَا يَقُولُ بِنَاءً عَشَى
سَقَّ الْغَيْدُ صَارَ مُحَرَّمَا؟
إِذْ أَعْذَرُوا أَوْ فَاعْذَلُوا
سَيَّانٍ فِي نَظَرِي هَمَا
عَذْلُ الْعَذُولِ لَدَيَّ كَالِـ
مَاءِ الْكُرْزَلِ عَلَى الظُّمَا
أَمَا أَنَا فَارَى الْهُوَى
فَرَضًا عَلَيَّ مُحْتَمَا
أَخَذَ الْجَمَالَ عَلَيَّ عَهْدُ
—دَا أَنْ أَظِلَّ مُتَتَيَّمَا
فَإِذْ أَعْذَرُوا الْأَنْبَاءَ إِذْ لِحَا
لَقَهُمْ يُسَيِّرُهُمْ كَمَا...
لَا تَعْذَلُوا مُضْنَى الْهُوَى
فِي حَبِّ مَعْسُولِ اللَّامَى
لَا عَارَ فِي هَذَا وَلَوْ
صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَا

(١) ديوان شاعر البراري: ١٠٧/٢، ١٠٨.

(٢) تداخل مع قوله تعالى: «ما ضل صاحبكم وما غوى» النجم: ٢.

(١٢٢)

وشاية^(١)

[مجزوء الوافر]

وَشَى بِي عِنْدَهَا قَوْمٌ
وَثَارَ هُنَاكَ بِرِكَانُ^(٢)
فَرَدَّتْهُمْ «فَمَا رِبَحْتُ
تَجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا»^(٣)

(١) من خط يد الشاعر. والبيتان تحت عنوان «فما ربحت» في الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ١٤٢؛

نقلًا عن ديوان «خمر وجمر».

(٢) رواية البيت في الديوان الكبير:

وَشَى بِي عِنْدَهُمْ قَوْمٌ وَسُوقَ الْغَشْشِ مَا لَانَ

(٣) تداخل نصي مع قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ البقرة: ١٦.

(١٢٣)

وإن يستغيثوا^(١)

[المتقارب]

هل البائسون^(٢) سوى العاشقين
وهل هو^(٣) إلا أشدُّ بلاءً؟
نزيفٌ كلامٍ، وفرطُ سقامٍ
وَوَحْزٌ مَلَامٍ^(٤)، ونارٌ جفاءٍ
فإنَّ يصبروا فقلوبٌ تذوبُ
«وإن يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ...»^(٥)

(١) من خط يد الشاعر. والأبيات منشورة تحت عنوان «العشاق» في الديوان الكبير لشاعر البراري:

ص ١٤٢ نقلاً عن ديوان «خمر وجمر».

(٢) في الديوان الكبير: «هل البؤساء».

(٣) في الديوان الكبير: «وما الحب».

(٤) في الديوان الكبير: «وماء ملام». وفي هذه الرواية إشارة إلى بيت أبي تمام المشهور:

لا تسقني ماء الملام فإنني صَبُّ قد استعذبتُ ماء بكائي

(٥) تداخل نصي مع قوله تعالى: «وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه» الكهف: ٢٩.

(١٢٤)

إني أرى^(١)

[مجزوء الكامل]

يا لائِـمـيَّ لأنـني

لم أـمـشِ تحت الحـبِّ هـؤُـنا^(٢)

إـنـي بـريءٌ مـنـكـمـو

«إني أرى ما لا تـروُنـا»^(٣)

(١) من خط يد الشاعر. والبيتان تحت عنوان «أهكذا» في الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ١٤١ نقلاً عن ديوان «خمر وجمر».

(٢) في الديوان الكبير:

يا هاجرين أهكذا تمشون تحت الحب هؤنا؟

(٣) تداخل نصي مع قوله تعالى: «إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله» الأنفال: ٤٨.

(١٢٥)

يخطبون^(١)

[الخفيف]

يَخْطُبُونَ الْوُدَادَ مِنْكَ، وَلَمَّا
تَتَفَانِي يَنْسُونَ مَا يَخْطُبُونَا
اسْتَقِمْ أَنْتَ فِي الْهَوَىٰ يَا فَوَادِي^(٢)
ثُمَّ «ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»^(٣)

(١) من خط يد الشاعر. والبيتان تحت عنوان «استقم أنت» في الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٢٩٧؛

نقلًا عن ديوان «وحي البراري».

(٢) في الديوان الكبير: «استقم أنت وارع عهدك معهم».

(٣) تداخل نصي مع قوله تعالى: «قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون» الأنعام: ٩١.

(١٢٦)

قلت^(١)

[مجزوء الرمل]

قلتُ يوماً لحبيبي^(٢):

لا تُجربْ فيَّ عدْلَكَ

أنا كَسْرُ فاختَصِرني

قال: «قد أوتيت سؤالك»^(٣)

(١) ديوان خمر وجمر: ص ٧٣. والبيتان تحت العنوان نفسه «قلت» في الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ١٤٠ نقلاً عن ديوان «خمر وجمر»؛ وقد أوردهما إسماعيل الصيفي مرة أخرى تحت عنوان «لا تجرب» في الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٢٩٦؛ نقلاً عن ديوان «وحي البراري».

(٢) ثمة نسخة أخرى من خط يد الشاعر، وفيها: «قلت للدهر المؤلي». وهي رواية الديوان الكبير (قلت): ص ١٤٠.

وفي الديوان الكبير (لا تجرب): ص ٢٩٦ «قلت: يا صرف الليالي».

(٣) تداخل نصي مع قوله تعالى: «قال قد أوتيت سؤالك يا موسى» طه: ٣٦.

(١٢٧)

قلت^(١)

[مجزوء الخفيف]

قلتُ للقلب: أعفِني^(٢)

مِن غرامٍ ومِن كَأَفْ

فَعَصَا الحَبِّ حَيَّةٌ

قال: «خذها ولا تَخَفْ»^(٣)

(١) من خط يد الشاعر.

(٢) قطعت همزة الوصل لضرورة الإيقاع.

(٣) تداخل نصي مع قوله تعالى: «قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى» طه: ٢١.

(١٢٨)

فوادي^(١)

[الهج]

فوادي لَوْنَضَا حُبِّي^(٢)
ولم يَحْمِلْ أَعَاصِيرَهُ
لَمَّا اسْتَصْحَبَتْهُ يَوْمًا^(٣)
«ولو أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ»^(٤)

(١) من خط يد الشاعر. والبيتان تحت عنوان «ولو» في الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ١٤٠؛ نقلًا عن ديوان «خمر وجمر».

(٢) في الديوان الكبير: «ولو قلبي شكاً وجدى».

(٣) في الديوان الكبير: «لما أرضاه لي قلباً».

(٤) تداخل نصي مع قوله تعالى: «بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره» القيامة: ١٤ / ١٥.

(١٢٩)

سألته^(١)

[المجتث]

سألته ذات يوم
سؤال صائبٍ مخاطِرُ
أصائِمُ يا حبيبي
عن جَبْرِ كسرِ الخواطرِ؟
فقال لي في ابتِسَامٍ^(٢)
«الحمْدُ لله فَاطِرُ»^(٣)

(١) من خط يد الشاعر. والأبيات تحت العنوان نفسه «سألته» في الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٢٩٥؛
نقلًا عن ديوان «من وحي الطبيعة».

(٢) في الديوان الكبير: «فكان رد سؤالي».

(٣) تداخل نصي مع قوله تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ فاطر: ١؛ مع ملاحظة استعمال
كلمة «فاطر» وفق مدلولها في العامية المصرية: بمعنى مفطر.

(١٣٠)

رد الحبيب على العذول^(١)

[مجزوء الكامل]

قال العذولُ لِمَنْ أُجِبُ—
—بُ: «مَحَمَّدٌ» بسواكَ مُغْرَى
فَرَنَّا إِلَيْهِ بَعِينِهِ
شَذَرًا وَرَدَّ عَلَيْهِ فَوْرًا
لَا تَتَهَمُّهُ فَقَائِبُهُ
بَيْتِي: «وَرُبُّ الْبَيْتِ أَذْرَى»

(١) ديوان شاعر البراري: ٣٠/١.

(١٣١)

عيد في روض^(١)

[الخفيف]

كَتَبْتُ لِي حَبِيبَتِي يَوْمَ عِيدِ
بانتظاري لها بروضٍ بعيدِ
ثم جاءت إلى مكاني تَهَادِي
في قميصٍ مِنْ الحريرِ جديدِ
فَمَشِينَا هُنَاكَ فَوْقَ بَسَاطِ
سُنْدُسِيٍّ مِنْ نَسِجِ رَبِّ مُجِيدِ
بين طيرٍ يشدو بأغصانه المِيثِ
يَاسَ شَدُّوا يُهَيِّجُ شَجْوَ الْعَمِيدِ
وَعَصَوْنَ تَزَيَّنَتْ بِثَمَارِ
كَقَدُودٍ تَزَيَّنَتْ بِنُهْودِ
وزهورٍ على الخمائلِ ضَاءِ
كَعَقُودٍ عَلَى تَرَائِبِ غِيدِ
ومياهٍ على الثرى تَتَلَوَّى
كالأفاعي في يومٍ حَرٍّ شَدِيدِ
راقَها منظرُ الجميعِ فغَنَّتْ:
يا رياضًا جمعنَ حُسْنَ الوجودِ

(١) ديوان شاعر البراري: ٢٦/١.

نزهتي فيك مع حبيبي خير
لكلينا من ألف عيدٍ وعيد
ثم قالت: هَلُمَّ «يا صاح» نشرب
بين وردٍ وبين «فل» نخيد
قلت: يا سلوةَ النفوسِ دعيني
من كؤوسِ الطّلا وهذي الورود
لا أحبُّ المدام والوردَ إلا
من عصير اللّمي وروضِ الخدود
فَسَقَتْنِي من الرُّضابِ وعُدنا
بسلاَمٍ وذاك بيتُ القصيدِ

(١٣٢)

أنصفيني (بس) يوماً^(١)

[مجزوء الرمل]

يا نصيبي من وجودي
قصرى عهد الصُّدودِ
فلقد ذوّبتِ قلباً
كان من صلب الحديد
كلُّ شيءٍ منك حلّ
ما عدّا مَطْلُ الوعودِ
إن يكن يُرضيك هذا
فامطِئِني من جديد
ذاك شيءٌ في يدك
فانقضي منه وزيدي

☆☆☆☆

ذُبْتُ من وجدي فِرْقِي
لي وجودي في وجودي
إن في داخل قلبي
جمرة ذات وقود
سَعَرْتُها في فؤادي
وردة فوق الخدود

(١) ديوان شاعر البراري: ٢١/١، ٢٢.

وردّة إن بَغْتِهَا لي
أشْتَرِيهَا بـوَرِيدي

☆☆☆☆

أنصفيني (بَسَّسْ) ^(١) يومًا
رُغْمَ لَاحٍ وحسود
أنا من يسهر فيك اللّـ
لَيْلَ رَعِيًّا للعهد
والنجومُ الزهرُ إن كذُ
ذَبَتْنِي خيرُ شهود
لَكَ حَبَّي لَكَ قلبي
دون مَيَّاسِ القدود
فارحمي اليومَ شبابي
يا نصيبي من وجودي

(١) بس: مفردة عامية مصرية تعني: فقط.

(١٣٣)

قولوا لها^(١)

[مجزوء الكامل]

قم هات من تحت الوسادة
يا صاح ما كتبت «سعادة»
وأعبد على سمعي فما
تخلو الإعانة من إفاده
كتبت ثلاثة أسطر
ما ضرر لو كتبت زياده
قد أوجزت في ذا الخطا
ب وهذه ليست بعادة
يا هل ترى سئمت مكا
تبتى؟ أم اقترضت مداده؟
يا ليتها قد طوأت
فيه وقد بعثته (عاده)^(٢)
كتبت له لي بدم مشهـ
هرة بمن جرحت فواده
قولوا لها حظ المتيـ
يم فيك أسود يا «سعادة»
فبأسود الحبر اكتبني
لتشاطري العاني سواده

(١) ديوان شاعر البراري: ٣١/١.

(٢) العادة: ما يعتاد على فعله.

(١٣٤)

حَبُّ الْيَوْمِ^(١)

[الوافر]

يُرِيدُ «الْحَلُو» مَنِّي أَنْ أُحِبَّهُ
لَأَنَّ عَلَيَّ «قُفْطَانًا وَجُيْبَهُ»^(٢)
وَفِي رِجْلِي حِذَاءً «أَجْلَسِيَهُ»^(٣)
وَطَبْعًا فِي يَدِي الْيَمْنَى «مَذْبَهُ»
مُظَاهِرٌ إِنْ رَأَتْهَا «السُّتُ» يَوْمًا
تَنْظُنُّ بَأَنَّ لِي فِي الْحَيِّ «عِزْبَهُ»^(٤)
فَتَعْمَلُ جَهْدَهَا لِتَصِيدَ جِيْبِي
وَرَأَ قَلْبِي وَتَجْلِبَ لِي الْمَسْبُةُ

☆☆☆☆

«فَتَلْحَسُ»^(٥) يَا أَخِي عَقْلِي وَمَالِي
وَحَسْبِي أَنَّهَا بِهَوَايَ صَبَّهَ
أَفِيْقُ إِذَا بَدَتْ وَأَدُوْخُ جَدًّا
إِذَا غَابَتْ عَنِ الْعَيْنَيْنِ «حَبُّهُ»^(٦)
وَكُلُّ تَقَابُلٍ أَهْلًا وَسَهْلًا
وَأَعِزَمُ يَا أَخِي «لِلْسُّتِ» حَسْبَهُ

(١) من خط يد الشاعر.

(٢) الحلو: لفظة ذات دلالة على المحبوب في العامية المصرية. والقفطان والجبة: ثوب وعباءة من ملابس أهل العلم والأزهريين منهم على وجه الخصوص.

(٣) الحذاء الأجليسه: لون من الأحذية الجلدية الفاخرة ذات اللمعة والبريق.

(٤) العزبه: يقصد بها ملكية واسعة من الأراضي الزراعية.

(٥) تلحس: لفظة عامية ذات دلالة على الاستلاب والمحو؛ واللحس هو اللعق.

(٦) حبه: لفظة عامية ذات دلالة على القلة.

فَمِنْ قَرِطٍ «لَمَانَطُوهُ لِبَاطُوهُ»^(١)
لِفَسْتَانٍ يَبْيِّنُ كُلَّ رُكْبِهِ
وَأَنْ قَصَّزْتُ فِي طَلَبٍ بَسِيطٍ
تُطَلِّقُنِي وَتَنْقَطِعُ الْحَبَّةُ
☆☆☆☆

وَهَذَا حَالُ مَصْرِ فِي التَّصَابِي
إِذَا فَالْحُبُّ فِي ذِي الْعَصْرِ «شَرِبَهُ»^(٢)
أَرْوِنِي غَادَةً حَبَّتْ^(٣) فَقِيرًا
وَلَوْ هُوَ مَلَأَ عَيْنَ الدَّهْرِ هَيْبَهُ
لَقَدْ كَانَ الْهُوَى الْمَاضِي انْتِصَارًا
وَأَمَّا حُبُّنَا الْحَالِي فَخَيْبُهُ
☆☆☆☆

فَحَازِرُ أَنْ تَمِيلَ مَعَ الْغَوَانِي
وَحَازِرُ يَا أَخِي سُوءَ الْمَغْبَةِ
وَأِنْ كَانَ الْهُوَى لَا بَدًّا فَاعْشُقْ
فَتَاءَ بَابِ أَهْلِهَا بِضَبِّهِ^(٤)
☆☆☆☆

وَعَوَّدَهَا عَلَى (الْفُؤْلِ السُّودَانِي)
وَلَا تَذْكُرْ لَهَا اسْمَ (الْمُرْبَةِ)^(٥)
وَأِنْ تَغْرَمَ لَهَا تَغْرَمَ (شَرَابًا)
(وَقُبْقَابًا) وَمَنْدِيلًا (وَعَصْبَهُ)^(٦)

(١) المانطوه والباطوه من أكسية النساء.
(٢) الشربة: دواء أغلبه مسهل، وأكثره مستبشع الطعام؛ ويجوز أن يكون شربه بضم الشين، وهي الحساء، وهي لفظة عامية ذات ظلال دلالية على قلة القيمة؛ مادياً ومعنوياً.
(٣) حبت: البنية الصرفية عامية وإن كانت دلالتها واضحة.
(٤) الضبة: يقصد الرتاج وهو الخشبة المستعرضة كالحقل على باب الدار، وعلى عهد الشاعر كانت لا تزال مستعملة في بيوت الريفيين وأبناء الأحياء الشعبية.
(٥) الفول السوداني والمربة: طعامان معروفان.
(٦) الشراب: الجورب. القبقاب: حذاء خشبي. العصبة: ربطة توضع على الرأس.

(١٣٥)

البسة^(١)

[مجزوء الوافر]

قصدتُ حبيبتي خلسه
لأجلس عندها جلسه
فقلت لي ألم تشبع
جلوساً؟ قلت: (لأ لسه)^(٢)
فقامت أضررت أكلاً
بطول العمر لم أنسه
ولمَّ لم يجي أحد
جلسنا نلعب (البسة)^(٣)
فتضربني وأضربها
ولا فحش ولا خسه

☆☆☆☆

ودق الباب فاندعرت
وقالت: ادخل «العرسه»^(٤)
دخلت الفرن من فوري
ولا تسأل عن «الدمسه»^(٥)

(١) من خط يد الشاعر.

(٢) (لأ لسه): تعبير عامي معناه: ليس بعد.

(٣) البسة: من ألعاب الولدان وتكون بأن يضع أحد اللاعبين يمينه على الأرض، ويضع الآخر كلتا يديه وراء أذنه ثم يضربه بأحدهما قائلاً: (بس)، فإن لمس يمينه فهو الفائز، وإن أخطأها فاز صاحبه.

(٤) العرسه: إناء ضخم من الفخار، وربما كان في بعض الأحيان الفرن ذاته.

(٥) الدمس: لون من الطهي خص به الفول والعدس.

وَقَامَتْ أَدْخَلْتُ «بَابَا»

وَوَظَّأْتُ عَنْدَهُ خَمْسَهُ^(١)

☆☆☆☆

وَجَاءَتْنِي بِالْمُبْتَهَا

لَتَنْظُرَ تِلْكَمُو «الْوَحْسَةُ»^(٢)

فَقُلْتُ لَهَا أَلَا فَادَعِي

بَأَنَا نَشْتَهِي «حَسَّه»^(٣)

أَزَالُ إِلَى هُنَا أَنْسِي

أَزَالُ إِلَهُنَا أُنْسَهُ

فَضُمَّتْنِي إِلَى صَدْرِ

بِرُوحِي أَفْتَدِي غَرْسَهُ

☆☆☆☆

وَقَالَتْ لِي إِذَا فَاخْرُجْ

وَعُدْ لِي هَكَذَا خِلْسَهُ

فَزَاقَ الْبَابُ فِي فَتْحِ

فَقَالَ «الشَّيْخُ» يَا «نَعْسَهُ»^(٤)

بِبَابِ الْبَدَارِ إِنْ سَأَنْ

فَقَالَتْ «يُمْكِنُ الْعِرْسَهُ»^(٥)

(١) خمسة: تعني في العامية المصرية: برهة قليلة من الوقت.

(٢) الوحسة: الورطة.

(٣) حسه: لمسة.

(٤) زاق الباب: أي صرَّ. ونعسه: اسم الفتاة.

(٥) يمكن: ربما. العرسه: أو ابن عرس، حيوان ثديي أكل اللحوم، سريع فتاك خاصة بالدواجن. ومنها نوع شديد الانتشار في مصر يعرف بالعرسة المصرية.

(١٣٦)

التشيب الفلّاحي^(١)

[الكامل]

يا بنتَ مَنْ أَكَلَ السَّبَّاحُ غَبِيطَهُ
فَعَدْتُ حِمَارْتُهُ بِغَيْرِ غَبِيطِ^(٢)
نَفْسِي مَشْوُوقَةٌ إِلَيْكَ فَيَا تُرَى
أَلْقَاكَ فِي الدُّوَارِ أَمْ فِي الْغَيْطِ؟
يا (صِيرَةً)^(٣) بَهَرَ الْعَيُونَ جَمَالُهَا
مَاذَا فَعَلْتَ بِمَهْجَةٍ (الْقَرْمُوطِ)؟
أَشْقَيْتَنِي مَا لِي وَمَا لَكَ فِي الْهُوَى
وَرَطَّيْتَنِي مَا لِي وَلِلتَّوْرِيطِ؟
أَنَا اسْتَرَطْنَا فِي الْغَرَامِ عَلَى الْوَفَا
فَعَلَامَ خُنْتَ شَرْوَطَهُ وَشَرْوَطِي؟
لَا تَحْسَبِي أَنِّي عَبِيطُ فِي الْهُوَى
الْحَبُّ لَا يَأْتِي لِأَيِّ عَبِيطِ
خَرَطْتُ^(٤) أَحْشَائِي بِسَكِينِ الْجَفَا
وَفَتَكْتُ بِي ظُلْمًا (كَبَنْتِ الْحَيْطِ)
وَطَبَخْتُ قَلْبِي فَوْقَ نِيرَانِ الْهُوَى
بَعْدَ الْعَذَابِ وَذَلِكَ التَّخْرِيطِ

(١) جريدة الوفاق في ٢٤ فبراير ١٩٣٠م والقصيدة محشوة بكثير من الألفاظ المستعملة في الريف المصري.

(٢) السباح: لون من ألوان الأسمدة الطبيعية. الغبيط في الأصل: رحل يشد على البعير ليشد عليه الهودج الذي تركبه النساء.

(٣) الصيرة في الأصل: حظيرة مسيجة. والقرموط: هو سمك السلور وهو من الأسماك القوية التي يصعب اصطيادها.

(٤) خرطت: أي قطعت. بنت الحيط ربما قصد جنبة البحر التي تكون وراء حائط صد مياه الفيضان، حسب ما يشاع في الريف.

نَطَطتِ عيني يا مليحةً فارحمني
 لم يبقَ لي صبرٌ على التَّنطيطِ^(١)
 لا تحسبي أن السُّلُوَّ أريدُه
 مهما غَشَشَتِ الوعد بالتَّمطيطِ^(٢)
 ثوبُ السلُوِّ شَرَطْتُه ورميْتُه
 ما لي وما لِلْمَلْبَسِ المَشْرُوطِ^(٣)
 مهما شططتُ فليس في الامكان أن
 ألوي عنانَ فؤادي المشطوطِ^(٤)

☆☆☆☆

يا بنتَ ذي (الرَّعْبُوطِ) حسبي ميزةً
 أني فُتِنْتُ ببنتَ ذي الرَّعْبُوطِ^(٥)
 خُلِقَ الفتى يا بنتُ غيرِ (لباسه)
 وأخوك لا يغترُّ بالتَّقْمِيطِ^(٦)
 فَلَرَبِّ (بَلُطُو) جَيِّدٍ أو (بَدَلَةٍ)
 ضُمَّتْ على التقصير والتفريطِ^(٧)
 وَلَرَبِّ (زَعْبُوطٍ) يُخْضَمُ على وفا
 وتَكْرُمُ بِسماحةٍ مخلوط

(١) التَّنطيط: شدة القفز.

(٢) التَّمطيط: المماطلة.

(٣) شرطته: شققته.

(٤) المشطوط: الملتهب.

(٥) الزعبوط: من ملابس الريفيات أشبه بالعباءة.

(٦) التَّقْمِيط: العصب.

(٧) البلطو: من ملابس النساء، والبدلة من ملابس الرجال.

(١٣٧)

تهنّي يا سعاد^(١)

[مجزوء الوافر]

تُنَازِعُنِي عَلَى كِبِدِي
سَعَادُ كَأَنَّهَا تَرِكَهُ
وَمَا كَبِدٌ بِسَالَةٍ
إِذَا نَحَبَ الْهَوَى شَرَكُهُ
تَهَنِّي يَا (سَعَادُ) فَقَدْ
مَلَكَتِ وَلَسَتْ مُمْتَالِكُهُ
وَمَا أَشَقَى الْفُؤَادَ إِذَا
غَرَامُ مَلِيحَةٍ مَلَكَهُ
يُحَرِّكُهُ وَأَحْيَانًا
يُسَكِّنُهُ عَنِ الْحَرَكَةِ
وَدَابُّ الْحَبِّ لَا يُبْقِي
عَلَى قَلْبٍ إِذَا امْتَلَكَهُ
جَزَعْتُ لِحَمْلِهِ وَحَدِي
فَلَيْتَكَ فِيهِ مُشْتَرِكُهُ

☆☆☆☆

هِيَ (الشُّرَكَاتُ) قَدْ عَادَتْ
عَلَى الْأَقْوَامِ بِالْبَرْكِ
فَيَا مَنْ تَرَحَّمِ الْعِشَا
قَ (أَسَّسَ لِلْهَوَى شَرِكُهُ)

(١) ديوان شاعر البراري: ١٠٩/٢.

(١٣٨)

تعالِي^(١)

[الوافر]

قديمُ هـواكِ جِدَّدَهُ التَّصَابِي
فلا تتجاهلي يا (هَنَدُ) ما بي
(جَمَعْتُ) عواطفِي و(قَسَمْتُ) قلبي
على لحظيكِ يا ذاتِ النَّقَابِ
و(طَرَحِي) من فؤادٍ فيه (ضَرْبُ)
من الإيلامِ لم يكُ في (حسابي)^(٢)
حجابُ الصَّدِّ سَبَبَ (كَسَرَ) نَفْسِي
ولم تَشْفَعْ مواصلةُ انْتِحَابِي
وهجْرُكِ (قاسمُ قلبي) وقلبي
برغمِ (مُضَاعَفِ) الهجرانِ صَابِ
(خَسَارَةُ مَكْسَبِي) في الحبِّ (رَبْحُ)
(بِنَسَبَتِهِ) لِأَيَّامِ الشُّبَابِ
وخَيْرُ (تَنَاسُبٍ) ما بين قلبي
وقلبكِ رفَعُ ذِيَّكَ الحجابِ

(١) ديوان شاعر البراري: ١٢٣/٢، ١٢٤.

(٢) الطرح والضرب من مصطلحات الحساب؛ وكذا ما يرد في الأبيات التالية من أفاضل مثل: قاسم، مضاعف، خسارة، نسبة، تناسب، جبر، كسر.

فإن شئت (اجبري كسري) بوضِّل
تُبَادَلُ فيه أَكْوَابُ الْعِتَابِ
(فَخَلَطُ) الْحُسْنِ بِالْإِحْسَانِ سَهْلٌ
عليك (كمزج) عيشي بالعذابِ
تعالِي اليَوْمَ زوريني وغنِّي
قديمُ هَوَايَ جِدَّةُ التَّصَابِي

(١٣٩)

في الخال^(١)

[البسيط]

يا مُرْسِلَ الشُّعْرِ فوق الوَرْدِ يَحْرُسُهُ
من البَرِيَّةِ مِنْ خَالٍ وملتاعِ
(خَالٌ بِخَدِّكَ) قُلْ لِي، يا فداك أباي
أَمْ تِلْكَ (سِنْسِنَةٌ فِي قُرْصِ نَعْنَاعٍ)؟^(٢)

(١) ديوان شاعر البراري: ١١٧/٢.

(٢) السنسنة: حبيبات صغيرة؛ وأصلها حروف فقار الظهر العليا.

(١٤٠)

عجبا لها^(١)

[الكامل]

وَدَّعْتُ أَمْسَ شَقِيقَةَ الْبَدْرِ
بَيْنَ الْحَيَاءِ وَقِلَّةِ الصَّبْرِ
وَبَحِثْتُ عَنْ قَلْبِي لِأَمْسِكُهُ
فَإِذَا بِهِ قَدْ فَرَّ مِنْ صَدْرِي
كَانَ الْقَطَارُ إِلَى «قَطُور»^(٢) بِهَا
يَجْرِي وَقَلْبِي خَلْفَهُ يَجْرِي
عَجْبًا لَهَا تَسْرِي وَمَسْكُنُهَا
يَسْرِي وَرَاهَا أَيْنَمَا تَسْرِي

(١) ديوان شاعر البراري: ٢٣/١.

(٢) قطور: أحد مراكز محافظة الغربية بريف مصر.

(١٤١)

لو^(١)

[الكامل]

لو كُنْتُ حَاضِرَهَا وَقَدْ سَارَتْ بِهَا
«سَيَارَةٌ» زَهَبَتْ بِصَفْوِ حَيَاتِي
لَاغْتِيضَ عَنْ «بَنْزِينِهَا» وَ«بُخَارِهَا»
«بِمَدَامِعِي» الْحَرَّى «وَبِالزَّفَرَاتِ»

(١) ديوان شاعر البراري: ٢٤/١.

مع الطبيعة

(١٤٢)

ليل الريف^(١)

[الرمل]

تغربُ الشمسُ فتبكيها السَّما
بدموعٍ لُمَّعٍ هُنَّ النجومُ
وبنوها لم يراعوا ذَمَمًا
بل يروحون يريحون الجسومَ
تاركين الجوَّ في ثوب الحدادِ

☆☆☆☆

أُذًا ولَّتْ تولُّوا ومَضُّوا
يخطبونُ النومَ في بدءِ المساءِ
وإذا عادت تراهم نهضوا
قبلها؟ هذا إذا عَيْنُ الرِّاءِ
وقليلٌ من يُوقِّفي في البِعادِ

☆☆☆☆

يستمر الليل ممدودَ الجناحِ
ناشرًا أعلامَ رُوعٍ وسكونِ
والدراي مثل أطراف الرماحِ
تحرس الأقوامَ مِنْ عادِ خَوْونِ
كتب الله عليهنَّ السُّهادِ

☆☆☆☆

(١) خمر وجمر: ص ١٢ - ١٤.



لُحْنٌ «مِنْ بَدْرِي»^(١) وما هُنَّ سَوَى
شَعْرَاتُ الشَّيْبِ فِي رَأْسِ الظَّلَامِ
لو درى العاصي بهذا لا زُعوى
فَمَشِيْبُ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ غَلَامُ
يَلْفَتْ الْمِرَّةَ إِلَى قَرَبِ الْحَصَادِ



ثُمَّ يُرْخِي مِنْ دَجَى اللَّيْلِ رِداءً
تَعْتُرُ الْأَنْظَارُ مِنْهُ فِي الذُّيُولِ
فَيَرْوِحُ الذَّنْبَ يَعْوِي فِي الْعِراءِ
طُلْتَ يَا لَيْلُ كَأَنَّ لَسْتَ تَحُولُ
فَتَقُولُ الطَّيْرُ: كُلُّ لِّلْنَفَادِ



يَسْمَعُ الصَّوْتَ عَلَى الْبَعْدِ الْقَمَرُ
فَيَشْقُ الْأَرْضَ مِنْ خَيْرِ الْجِهَاتِ
فَيَرَى فَرْعَ الدِّيَاجِي مَنْتَشِرُ
وَيَرَى اللَّيْلَ أَخَافَ الْكَائِنَاتِ
وَجَرَى فِيهَا كَبْحَرٍ مِنْ مَدَادِ



فَيَعْرِيهُ مِنَ الثُّوبِ الْخَفِيفِ
مُذْهِبًا مِنْ رَوْعِهِ مَا أَمَكْنَا
ثُمَّ يُرْخِي فَوْقَهُ ثُوبًا شَغُوفُ
حَيْثُكَ مِنْ عَطْفٍ وَلُطْفٍ وَسَنَا
كَلِمَا يُنْقَضُ لَلَاءُ يُزَادُ



(١) من بدري: تركيب عامي يعني به: باكرًا.



فَيَحْصِرُ اللَّيْلُ بِالْبَدْرِ الْمَطْلُ
مِثْلَ شَكِّ قَدْ جَرَى فِيهِ يَقِينُ
أَوْ كَيْأَسٍ قَدْ سَرَى فِيهِ أَمْلُ
جَلَّ شَأْنُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
كُلُّ شَيْءٍ يَنْتَنِي بَعْدَ اشْتِدَادِ

☆☆☆☆

الْقَرَى فِيهِ يُشَابِهَنَّ الْقُبُورُ
فَإِذَا مَا أَسْفَرَ الصُّبْحُ وَضَاءُ
كَانَ بَرَهَانًا عَلَى أَنَّ النُّشُورُ
وَاقِعٌ يَا قَوْمُ مِنْ غَيْرِ مَرَاءِ
فَلْيَصِدِّقْ أَوْ يَكْذِبْ مَنْ أَرَادَ

☆☆☆☆

تَرْقُبُ الْأَطْيَارُ فِيهِ السَّحَرَا
هَالِعَاتٍ مِنْ دُجَاهِ الْمُسْتَفِيزِ
إِذْ نَسِيْمُ الْخَوْفِ فِيهِنَّ سَرَى
وَجَنَاحُ الصَّبْرِ مِنْهِنَّ مَهِيْضُ
بَيْنَ صَمْتٍ وَسُكُونٍ وَسَوَادِ

☆☆☆☆

فَإِذَا مَا بَدَدَ الْفَجْرُ الظُّلَمَ
حَلَّ فِي الْأَطْيَارِ بَشْرٌ وَانْشِرَاحُ
فَيُهِئُنَّ الْأَغَانِي وَالنَّغَمَ
ثُمَّ يَهْتَفْنَ يُهَيِّئُنَّ الصَّبَاحَ
وَيَهْنَأْنَ بِهِ كُلُّ الْعِبَادِ

(١٤٣)

الربيع^(١)

[الطويل]

سَأَلْتُ وَلَكِنَّ الرِّبْعَ أَسْأَلُنِي
حَنِينًا، فَيَا ذَكَرِي هَوَايَ رِدِينِي
نَسِيمَ الصَّبَا يَا قَوْمَ نَشْوَانٍ بِالشِّذَا
وَكَمْ مِنْ خَدِينٍ يَنْتَشِي بِخَدِينِ
وَعَصْنِ الرُّبَى مُصْنَعٍ لَصَوْتِ هَزَارِهَا
وَكَمْ دَائِنٍ يَصْغِي لَصَوْتِ مَدِينِ
تَقُولُونَ لِي أَكْثَرْتَ فِيهِ، وَإِنَّمَا
لَكُمْ دِينُكُمْ فِيهِ، وَلِي أَنَا دِينِي^(٢)

(١) من خط يد الشاعر.

(٢) تداخل نصي مع قوله تعالى: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» الكافرون: ٦.

(١٤٤)

إلى البراري^(١)

[المتقارب]

نأى عنك جسمي، وقلبي أبى
وظلّ مقيماً بتلك الرُّبى
ففيك الجمال الذي قد سبى
وفيه الشعور الذي قد صبا
رعى لك عهد الهوى قائلاً
لخيف الهوى : مرحباً مرحباً
وحذت عنك نجوم الدُّجى
وحمل فيك نسيم الصُّبا
وطاب ضحكك له مسرّحاً
وطاب دُجّاك له ملعباً
فيا مُسْتَقَرَّ نعيمي، ويا
عذابي الذي ظلّ مُسْتَعْدَباً
سأُنشُرُ أزهار طنطا عليـ
ك يا جنّتي غزلاً مُلهباً
وحسبُ الهوى أنني في النوى
نأيتُ بجسمي، وقلبي أبى

(١) من خط يد الشاعر.

(١٤٥)

الروض^(١)

[مجزوء الرمل]

أَيُّهَا الرُّوضُ الْأَغْنُ
فُتِحَ أَرِيحًا وَازْدِهَرُ
صُرتَ ذَا شَكْلٍ حَسَنُ
حِينَما الزَّهْرُ ظَهَرَ
يَتَلالَا كَالنُّجُومِ

☆☆☆☆

كُلُّمَا الْغَيْثُ بَكَى
فِيكَ بِالْدمْعِ الْغَدِيقُ
ضَجَّكَ الزَّهْرُ بِكَ
مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَرَقِ
وَهُوَ كَالْعَقْدِ النُّظْمِ

☆☆☆☆

فِيكَ تَعْتَلُّ الصُّبَا
وَتَصْحُحُ الْأَنْفُسُ
وَالَّذِي حَالُ الصُّبَا
فِيكَ دَوْمًا يَجْلِسُ
يَكْسِبُ الذُّوقَ السَّالِمُ

☆☆☆☆

(١) ديوان شاعر البراري: ٨٠/٢، ٨١.

نَقَلْتُ عَنْكَ الْكَرَمُ
كُلُّ أَجْوَادِ السُّورِ
أَنْتَ أَسْتَأْذُ لَهُمْ
تَنْتُزُّ الزَّهْرَ قَرَى
حِينَ يَغْشَاكَ النِّسِيمُ



أَنْتَ يَا حُلُوَ الثَّمَرِ
قُدْرَةُ التَّقْوَى لَنَا
كَلِمَا غُضُنْ كُتْرُ
فَوْقَهُ الزَّهْرُ انْحَنِى
يَشْكُرُ الْمَوْلَى الْكَرِيمُ



(١٤٦)

وردة الخريف^(١)

[الكامل]

نفسُ الخريفِ ضنينةٌ بالطَّيبِ
فَلأَيِّ شَيْءٍ جِئْتُ مَعَهُ؟ أَجِيبِي
أَعَلَى يَدِ الْإِرْهَابِ قَدْ أَقْبَلْتُ، أَمْ
أَقْبَلْتُ مَعَهُ عَلَى يَدِ التَّرْغِيبِ؟
عُرِّبْتُ عَنْ دُنْيَا الرَّبِيعِ فَمَا اسْتَفْذُ
تِ، وَلَا أَفْذُتِ الْغَيْرَ بِالتَّغْرِيبِ
وَرْدُ الرَّبِيعِ أَهْيَمُ فِيهِ لَأَنْ فِي
أَوْرَاقِهِ ذَكَرِي أَرِيحُ حَبِيبِي

(١) مجلة الثقافة، العدد ٤١٨، ٣١ ديسمبر ١٩٤٦م: ص ٢٨. وفي الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٤٣٤
نقلًا عن ديوان بين أحضان الطبيعة؛ نص شديد التداخل مع هذه القصيدة، يحمل عنوان «وردة
الشتاء»، وهذا تمامه:

دنيا الشتاء ضنينةٌ بالطَّيبِ	فَلأَيِّ شَيْءٍ جِئْتُ مَعَهُ؟ أَجِيبِي
أعلى يد الترغيب قد أقبلت أم	أَقْبَلْتُ مَعَهُ عَلَى يَدِ التَّرْهِيْبِ؟
عُرِّبْتُ فِي دُنْيَا الْخُمُولِ فَمَا اسْتَفْذُ	تِ وَلَا أَفْذُتِ سَوَاكَ بِالتَّغْرِيبِ
«بنتُ الربيع» هي الغذاء لأن في	أَوْرَاقِهَا ذَكَرِي لِكُلِّ حَبِيبِ
لم تُؤْتِ مِنْ دُنْيَا الْعَبِيرِ نَصِيْبَهَا	إِلَّا مَرَجَّتْ نَصِيْبَهَا بِنَسِيْبِي
أما التي يرد الشتاء بها فليد	سَ لَهَا نَصِيْبٌ مِنْ حُلَى تَرْحِيْبِي
ما... دة الشذا معتلة الـ	أَوْرَاقُ؟ يَا هَذَا احْضُرِي أَوْ غِيْبِي
[عودي] إلى حضن الثرى وإذا سرى	طَيْبُ الرَّبِيعِ فَاقْبَلِي لِتَطْيِيْبِي

فعلَى أَمِيرِ الْعَامِ مَنَحْ نَصِيْبِهِ
وَعَلَيَّ مَزَجْ نَصِيْبِهِ بِنَصِيْبِي
أُمَّا التِي وَرَدُ الْخَرِيفِ بِهَا فَلِي
سَ لَهَا نَصِيْبٌ مِّنْ حُلَى تَرْحِيْبِي
مَا لِي وَفَاقِدَةُ الشُّذَا، مَعْتَلَّةُ الْـ
أَوْرَاقٍ؟.. يَا هَذَا احْضُرِي أَوْ غِيْبِي
عُودِي إِلَى حُضْنِ الثَّرَى وَإِذَا سَرَى
طَيِّبُ الرِّبِيْعِ فَأَقْبَلِي لِتَطْيِيْبِي

(١٤٧)

وردة الندى^(١)

[الكامل]

سبحانهُ، في الروض أَلْبَسَهَا الـ
مُتَنَاقِضَيْنِ، المَاءَ وَاللُّهَبَا
فحسبْتُهَا من فَرْطِ حُمْرَتِهَا
كأُسَا، ورقراقَ الندى حَبَبَا
أو خدَّ فاتنتي نهارَ جَرَى
دمعُ الوادع عليه منسكبا
فليَهْنِهَا أنَّ الهجيرَ إذا
ما مسَّهَا تستنجدُ السُّحْبَا
أَمَّا فَوَادِي، «وَهَوَيْتُ شَبَّهَهَا»
لا شيءَ يُطْفِئُهُ إذا التهبَا

(١) خمر وجمر: ٢٩، ٣٠. وفي الديوان الكبير لشاعر البراري ص ٢٨٣: نقلاً عن ديوان «وحي البراري» نص يحمل العنوان نفسه «وردة الندى»، ويتداخل معه تداخلاً شديداً ونصه:

سبحانه، في الروض ألبسها الـ	متناقضين، الماء واللهبا
فحسبْتُهَا كأُسَا مشعشة	وحسبتُ حبات الندى حبا
ورأيتُ فيها خدَّ فاتنتي	يجري عليه الدمعُ منسكبا

☆☆☆☆

رَقَّتْ فلا أدري، لرققتها	شربتُ نداها العذبَ أم شربا؟
النهرُ يسقيها إذا ظمئتُ	وإذا توانى وكَلَّ السُّحْبَا
لتظل في البستان ناضرة	توحي القريض وتخدم الأبناء

(١٤٨)

في وردة^(١)

[الكامل]

ووردةٌ بُسْتَانٍ كَخَدٍّ خَرِيدَةٍ
إِذَا قُبِّلَتْ كَرْهًا وَأَبَدَتْ تَأْذِيهَا
تَنَحَّتْ يَدِي عَنْهَا بَغَيْرِ كَرَاهَةٍ
وَكَانَتْ تُغْذِيْنِي وَكَانَتْ أُغْذِيْهَا
أَمِيلُ إِلَى حَمْلِ الزَّهْوَرِ وَإِنَّمَا
أَخَافُ عَلَيْهَا مِنْ زَفِيرِي يُؤْذِيْهَا

(١) خمروجمر: ص ٢٢.

(١٤٩)

التغذية النباتية^(١)

[البسيط]

لما اتجهتُ إليها غيرَ ملتفتٍ
إلى سِواها استقرَّت في دمي رُوحِي
وسحتُ في الأرض طيفًا غيرَ مضطربٍ
ولُحْتُ في الأفق طيرًا غيرَ مجروح
وقلتُ يا نخلة البستان هأنذا
رُوحِي اخطبي لي نباتاتِ الرُّبَى، رُوحِي

(١) من خط يد الشاعر ، وقد ورد في الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٢٥٥ من مخطوطات للشاعر نص تحت عنوان «يقظة تشبه المنام»؛ يتداخل مع هذا النص؛ مع مقدمة شارحة؛ يقول فيها: بدا لي في الأطمعة شيء لم أكن أعرفه من قبل، فاكتفيت بالتغذية النباتية المبسطة، بضعة أشهر، خف فيها جسمي، وشف فيها وجداني فكنت في يقظة تشبه المنام، أو في منام يشبه اليقظة، غير أنني لم أستطع مواصلة السير في هذا الطريق بلا رفيق، فعدت من حيث أتيت، وفي أثناء تلك الهجرة وجهت الأبيات التالية إلى النخلة «كأخت لي» يسرّها ما يسرني.

يا «نخلة الحقل» رُوحِي بلغني خبري	إلى جميع نباتات الربى، رُوحِي
لقد طرحْتُ سِواها، واكتفيتُ بها	وقد شفى الله مجموعي بمطروحي
في «نصف عام» رأَت عيناَي ما رأَا	من الجمال، وقَرَّت في دمي رُوحِي
وصدري الضيقُ الواهي استحال إلى	صدرٍ فسيحٍ قوَّى الركن مشروح
أمشي على الأرض طيفًا غير مضطرب	وأمتطي الأفق طيرًا غير مجروح

(١٥٠)

الندى^(١)

[الخفيف]

أدموع العشاق في الأسحار
يَشْتَكِين «الأزهار» للأزهار^(٢)
أم دموع الأفاق ضُرْعن للفج
ر لئلاً يُخفي^(٣) ابتسام الدراري
يا ندى أنت والزهور حباب
وكئوس^(٤)، جلُّ البديع الباري^(٥)
يا ندى إن ظُلْمَةَ الليل حوْلي
كذنوبي، وأنت كاستغفاري^(٦)

(١) مجلة الثقافة، العدد ١٣٠، ٢٤ يونيو ١٩٤١م: ص ٨٣٧، ٨٣٨. والقصيدة منشورة تحت العنوان نفسه «الندى» في الديوان الكبير لشاعر البراري؛ ص ٣٨٢؛ نقلاً عن الجزء الأول من ديوان «بين أحضان الطبيعة».

(٢) رواية البيت في الديوان الكبير:

أنت دمع العشاق في الأسحار رُحْتَ تشكو الأزهار للأزهار

(٣) في الديوان الكبير:

أم دموع الأفاق تَضُرْع للفج ر لئلاً يطفي

(٤) في الديوان الكبير:

أنت في أكؤس الزهور الحبيبا حُبَاب

(٥) بعد هذا البيت في الديوان الكبير:

أنت سرُّ تفشيهِ فينا الليالي كل أنثى تضيق بالأسرار

(٦) رواية البيت في الديوان الكبير:

أنت ما مَثَّل الدجى لي خطيئاً تِي إلاً مَثَّلَت لي استغفاري

يا ندى ما الذي يروعك حتى^(١)
تتلاشى أمام وجه النُّهار؟
ما رأينا «الجمان» قبلك يوماً
يتلاشى على وميض «النُّصار»
يا ندى جفّ مدمعي في جفوني
فَتَرِيْتُ أَنْظُمَكَ فِي أَشْعَارِي
وتماسك أنثرك فوق روابي الـ
حبِّ حبّاً أُغْرِي بِهِ أَطْيَارِي
كلُّ دُرٍّ فِي النُّظْمِ يَبْدُو جَمِيلاً
وجمالُ النُّدى لَدَى الْإِنْثَارِ

(١) في الديوان الكبير: «غَيْرَ أَنِّي لَمْ أُدْرِ بَعْدَ لِمَاذَا».

(١٥١)

البلبل^(١)

[البسيط]

غَنَى «سُلَيْمَان» فِي دُنْيَا «سُلَيْمَانَا»
وَجَاءَ يَشْرَحُ دُنْيَاهُ لِذُنْيَانَا
غَنَى «سُلَيْمَان» جُنْدِيًّا لَهُ، وَرَأَى
فِي زَهْرَةِ النِّيلِ بَلْقِيسًا فَعَنَّا^(٢)
حُسْنُ الرِّبِيعِ وَإِحْسَانُ الرُّبَى حَلَفَا
أَنْ يَخْلَقَا مِنْهُ فِي الْأَغْصَانِ «حَسَانَا»^(٣)
وَهَكَذَا الْحَسَنُ وَالْإِحْسَانُ مَا اجْتَمَعَا
إِلَّا وَزَقُّوا إِلَى الْإِيَّامِ فَنَّا
أَفْدِيهِ فِي الْإِيكِ فَنَّا عَلَى فَنِي
رَوَى حَدِيثَ الْهَوَى صَدْحًا فَرَوَانَا
صَاحِي التَّأْمَلِ، نَشْوَانُ الْغِنَاءِ، أَلَا
أَهْلًا بِهِ صَاحِبًا فِي الدَّوْحِ نَشْوَانَا
مَا زَانَهُ بِجَمَالِ الرِّيشِ خَالِقُهُ
بَلْ قَالَ: كُنْ بِجَمَالِ اللَّحْنِ مُزْدَانَا
فَإِنْ بَدَا انْصَرَفَتْ عَنْهُ الْعَيُونُ، وَإِنْ
شَدَا اسْتَحَالَتْ قُلُوبُ النَّاسِ أَذَانَا
يَشْدُو وَحِيدًا بَعِيدًا عَنْ فَصِيلَتِهِ
كَأَنَّهُ قَدْ رَأَاهَا دُونَهُ شَانَا

(١) من خط يد الشاعر.

(٢) إشارة إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، وإلى بلقيس ملكة سبأ؛ ولهما خبر في القرآن الكريم. النمل: الآيات ٢٠ - ٤٤.

(٣) إشارة إلى حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه (ت ٥٤هـ) شاعر الرسول ﷺ.

من الطيور ولكن الطبيعة قد
كادت لعمري تُرينا منه إنسانا
مستغرق في أحاسيس يخبئ بها
أننا، ويشدو بها فوق الرُبى أنا
يبيت منتظراً للموت، مُؤتزرًا
بالصمت حين يبيت الغصن عُريانا
حتى إذا ما انقضى عهد الشتاء ووا
فأه الربيع المرجى سال ألعانا
يُهَنَّى الغصن بالثوب الجديد وبأل
عقد النضيد، كأن الأمس ما كانا
ويسكب النغم السحري في السحر السد
سحري سكبًا يزيد القلب إيمانًا
ونثر دُر الندى حوله.. يمنعنا
من أن نقول: يُغنى الناس مجانًا
فإن تسمُّعته خلَّت الخميَّة مُح
رأبًا، وخلَّت الذي يتلوه قرأنا
وهكذا السحر المصري في زمن الر
ربيع يُضفى علينا السحر ألوانا
يا للعجائب من طير يُفيض على
أسحارنا لحنه الفتان هُنا
وينثنى صامتًا، لا في أصائلنا
يشدو، ولا يتغنى في عشاينا
كأنه وجد الأسحار صائنة
أمينه، وسوى الأسحار حوانا



ففاضَ فيها أغاريداً^(١) وتذكراً
وغاضَ في غيرها صمّتاً ونسياناً

☆☆☆☆

يا بلبلَ الأيكِ يا أحلى الورى نغمًا
ويا أرقَّ طيورِ الدُّوحِ وجَدَانَا
فَلأَحْنَا عرفَ الإحسانَ منك على
مَرَّ الزمانِ، ولأَقَى منك معوانا
«غَزَا» بمنقاركَ الآفاتِ منتصرًا
وما غزا أفهٌ إلا وعَدَانَا
ولي إليك رجاءٌ إن سمحتَ بهِ
أَصْفَتَ بَعْدُ إلى الإحسانِ إحسانا
لنا قضايا على بعض الغُصُونِ فَجُدْ
ببعض وقتكَ واحكمْ في قضايانا
لَعَلَّ حُكْمَكَ يا ابنَ الأيكِ يُقْنِعُهَا
تِيكَ الغصونِ فلا يُثْمِرْنَ هجرانا

☆☆☆☆

يا حابسَ البلبلِ الصِّداحِ في قفصٍ
لمنْ إذا دوحُه المُلْتَفُّ أغصانا؟
أميرُ طيرِ الأغاني لا يجوز لنا
حرمانه اثنين: أوطارًا وأوطانا
لو أصبحتَ «جنَّةُ الفردوس» في كنفِ الدُّ
دُنْيا لوَصَّى بهِ الرحمنُ رَضوانا

(١) هكذا في الأصل، وبه يكون النسق الإيقاعي على أصله في التفعيلة الثالثة من البسيط: (ريداً وتذ) ٥//٥/٥/ مستعلن، مع مخالفة القاعدة النحوية بصرف ما لا ينصرف على غير ضرورة إذ لو كان القول على الأصل النحوي لما خالف النسق العروضي الذي يجوز فيه جوازاً مستحسنًا أن تكون التفعيلة (ريد وتذ) ٥//٥/٥/ مستعلن.



(١٥٢)

الطائر الباكي^(١)

[البسيط]

بينَ الزهور؛ وتبكي أيها الباكي
ماذا تركتَ لطيرٍ بين أشواكٍ
يا مطلقاً كالأماني ما تكون إذنُ
لو بُتَّ في شَرَكٍ مِنْ نَوْعِ أَشْرَاكِي
دعِ البُكاءَ لِمَنْ أغصانُهُ يَبْسَتْ
أو أَشْرَكَ اليومَ فيها شرّاً إشراك
لا تبكِ.. غصنُكَ ضاقي الظِّلِّ مُعْتَدِلٌ
يميل عطفاً على المحكيِّ والحاكي

(١) خمر وجمر: ص ٢٦، ٢٧. ونشر إسماعيل الصيفي نصاً بعنوان «من شاعر إلى طائر» في الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٣٩٧؛ نقلاً عن الجزء الأول من ديوان «بين أحضان الطبيعة»؛ والنص حسبما نشره الصيفي ضمن ترجمة شاعر البراري في معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٢٠٦/١٦. وهو نص متداخل بشكل كبير مع هذا النص؛ مع ملاحظة أن خطأ ما وقع بنهاية البيت الثاني فكلمة «أنواع» تصيب الإيقاع بالخلل:

بين الزهور وتبكي أيها الباكي	ماذا تركت لطيرٍ بين أشواك؟
يا مطلقاً كخيالي ما تكون إذا	ما بُتَّ في شَرَكٍ من أنواع أشراكي
أبكي وتبكي ولكن لست أنت أنا	أنا المُعْنَى، وأنت المدَّعي الحاكي
يابنَ الخميْلَةِ أغصانُ الخميْلَةِ لا	تقسو على صادقٍ أو صائحٍ باك
أما أنا فغصوني، فوق قسوتها	تببت تصغي إلى واشٍ وأفَّاك
أمددُ جناحيك واضممني إليك تجدُ	مَشْكُوءَ النارِ أَصْلَتْ مَهْجَةَ الشاكي

ما كان يُخَفِّقُ في الدنيا أخو أَمَلٍ
لو هكذا يَرُؤُفُ المَبْكِيُّ بالبَاقِي
أَمْدُدْ جَنَاحِيكَ واضْمُمْني إِلَيْكَ تَجِدْ
مَشْكُوءَ النارِ أَضَلَّتْ مَهْجَةُ الشَّاكِي

(١٥٣)

منظر البحر عند رأس البر^(١)

[الطويل]

وبحرٍ كمثلِ الدهرِ في المدِّ والجزرِ
تبسّمَ لكنْ عن دهاءٍ وعن مكرٍ
يواجهُ «نهرَ النيل» بالشرِّ مثلما
يواجهني دوماً بالأمِّه دهرى
أيجزيه عن عذبِ فراتٍ بملحِه؟
حرامٌ يلاقي عطفَةَ الجارِ بالجورِ
ترقّصتِ الأمواجُ فيه كأنها
بقيةُ أمالٍ يفيض بها صدري
وتسمع منه زأرةً إثرَ زأرةٍ
كليثٍ هصورِ راعه الدهرُ في أمرٍ
وأنا له صوتٌ خفيٌّ كأنه
يمثّلُ أناتِي إذا خانني صبري
يُريك إذا ما الموجُ لاطمَ شطّه
ثغورُ لجَيْنٍ قد تلاشينَ في تبرٍ
وتحسبُه والغانياتُ سوابحُ
سماءٍ تحلّتْ بعدُ بالأنجمِ الزُّهرِ
كتابُ بديعاتِ الجوّاري سطورُهُ
وصدرٌ يصونُ السّرَّ في جانبِ السّرِّ

(١) خمر وجمر: ص ٢٤.

(١٥٤)

على الساحل^(١)

[الكامل]

ما هذه الوثبات يا موج؟
مُتَخَوِّفٌ، أَمْ مَقْبِلُ تَرْجُو؟
أَمْ مَعَكَ لِلشَّطِّ الْعَزِيزِ رِسَا
لَاتٌ، وَإِنْ أَبْطَأَتْ يَحْتَجُّ؟
أَمْ، رَمْلُهُ فِيمَا تَرَى، حَرَمٌ
وَتَوَثُّبَاتُكَ نَحْوُهُ حُجٌّ؟
أَمْ ضِيقَتْ بِالْحَبْسِ الطَوِيلِ فَحَا
وُلِّتَ الْهَرُوبَ؟ وَأَيْنَ يَا مَوْجُ؟
مَثَّلْتَ فَوْجَ مُنَى يَدْفَعُهُ
فِي الصُّدْرِ فَوْجٌ خَلْفَهُ فَوْجُ
وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ غَيْرَ أَنْي لَا
أَدْرِي أَتُطْرِي الدَّهْرَ أَمْ تَهْجُو؟
يَا مَوْجُ كَدْتُ أَضِيقُ مِثْلَكَ بَالُ
أَيَّامٍ لَوْلَا يَوْمِي الْمَرْجُو
إِنِّي سَأَنْجُو بِالْمَنْيَّةِ مِنْ
هَذَا الْمَضِيقِ، وَأَنْتَ لَا تَنْجُو

(١) من خط يد الشاعر.

(١٥٥)

الصيد والسمكة^(١)

[مجزوء الكامل]

اصطادها سـوداءٍ مِنـْ
لَـلِـلِ أَوْ حَظُّ الأَدِيبِ
عَشْرُونَ رِطْلاً وَزُنْهَـا
وثلَاثَةُ نِغَمِ النُّصِيبِ
فَأَتَى بِهَا رَوْضَـا وَقَا
لَ نُقِلَتْ مِنْ طِيبِ لَطِيبِ
البَّرِّ أَحْسَنُ مَنْظَرًا
والبَّرِّ أَرْوَحُ للقلوبِ
عِشِّي هِنَا بَيْنَ الهَوَا
إِ الطَّلِقِ والرَّوْضِ الخَصِيبِ
وَتَقْلَبِي فَوْقَ الزُّهْوِ
رِ مِنْ الشَّمَالِ إِلَى الجَنُوبِ
وَأَنَا سَأَمُضِي كَيْفَ أُمُـ
ضِي ثُمَّ أَتِي فِي الغُرُوبِ
أَسْقِيكَ مَاءَ الـوَرْدِ مَمُـ
زُوجًا وَأَسْقِيكَ الحَلِيبِ
حَتَّى إِذَا نَامَتْ عِيو
نُ النَّاسِ وَابْتَعَدَ الرَّقِيبِ

(١) ديوان خمروجمر: ص ٤١ / ٤٢.

أُدْلِي إِلَيْكَ بِمَسْمَعِي
شأنَ الحبيبِ مع الحبيبِ
لِتُحَدِّثَنِي عَنْ «يُونُسَ»
(والنُّونِ)^(١) ذِي الْأَمْرِ الْعَجِيبِ
وَتُحَدِّثَنِي عَنْ «حُوتٍ مُوْ»
سَمَى^(٢) كَيْفَ أَمَكَّنَهُ الْهَرُوبُ؟

(١) النون: الحوت؛ والإشارة إلى قصة نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام، الأنبياء: ٨٧، ٨٨.
(٢) إشارة إلى سمكة موسى التي اتخذت سبيلها في البحر سرياً؛ الكهف: ٦٠ - ٦٣، وقد ورد خبرها في القرآن الكريم.

(١٥٦)

النمل ومعيشته^(١)

[البسيط]

فضل:

مِنْ أَيْنَ لِلنَّمْلِ هَذَا الْحَبُّ يَا عُمَرُ
أَيَزْرَعُ الْقَمْحَ أَمْ فِي الْقَمْحِ يَتَّجِرُ

عمر:

لَا لَا وَلَكِنَّهُ فِي الصَّيْفِ يَجْمَعُهُ
جَمَعَ الْحَرِيصِ عَلَيْهِ ثُمَّ يَنْتَظِرُ
حَتَّى إِذَا مَا أَتَى فَصْلُ الشِّتَاءِ أَتَى
وَقَوْتُهُ عِنْدَهُ فِي الْجُحْرِ مَدَّخِرُ

فضل:

وَكَيْفَ يَجْمَعُهُ أَمْ كَيْفَ يَحْمِلُهُ
وَالْحَبُّ أَكْبَرُ حَجْمًا مِنْهُ يَا عُمَرُ؟

عمر:

يُسَاعِدُ الْبَعْضُ فِيهِ الْبَعْضَ مَجْتَهِدًا
لَا يَأْسُ يَنْتَابُهُ يَوْمًا وَلَا ضَجْرُ

فضل:

وَفِيمَ يَتْرَكُهُ فِي الطَّرْقِ مَنْتَثِرًا
وَهَذِهِ كُلُّهَا يَا صَاحِبِي حُفَرُ

(١) ديوان شاعر البراري: ١٠١/١، ١٠٢.

عمر:

قد كان في حُجْرَةٍ هذا وأُخْرِجَهُ
في الشمس يا فضلُ ما بَلَّغَهُ المطرُ؟

فضل:

هذا جميلٌ ومن يا صاح كَسَّرَهُ
أظنُّهُ مِنْهُ حَالُ النُّقْلِ يَنْكَسِرُ

عمر:

هو الذي خَشِيَتْهُ الْإِنْبَاتُ تَكُسَّرُهُ
عَمْدًا وَيَقْشِرُهُ أَيْضًا فَيَنْقَشِرُ

فضل:

تَبَارَكَ اللَّهُ هَادِيَهُ وَمُلْهُمُهُ
فَكُلُّ أَعْمَالِهِ يَا صَاحِبِي عِبَرُ

(١٥٧)

النجوم^(١)

بين محمود وفضل وهما في الخلاء ليلاً

[البسيط]

محمود:

ما بال طرفك بين النجم دَوَّارٌ؟
أفي النجوم لهذا الطرف أوطارُ

فضل:

قد أسفرت مثل زهر الروض ضاحكةً
فطاب منها لهذا الكون أسفارُ

محمود:

وما انتفاع بني الدنيا بطلعتها؟^(٢)

فضل:

تَهْدِي الأَنَامَ إِذَا هُمْ فِي الدَّجَى سَارُوا

محمود:

أَجْسُمُهَا مِثْلَ جِسْمِ الشَّمْسِ مُلْتَهَبٌ
حَتَّى تُنَارَ بِهَا يَا فَضْلُ أَقْطَارُ؟

(١) ديوان شاعر البراري: ١٠٠/١.

(٢) تداخل نصي مع بيت المتنبي المشهور:

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره
إذا استوت عند الأنوار والظلم

فضل:

تنيرُ من غير نارٍ يا أخي أبداً
كالكهرباءِ لها نورٌ ولا نار

محمود:

وما لنا لا نراها في النهار؟ أهْلُ
ظهورها هاهنا يا فضلُ أدوار؟

فضل:

أشِعَّةُ الشَّمْسِ يا محمودُ تمنعها
من أن تراها لدى الإصباح أبصارُ

محمود:

وما لبعضِ نجومِ الغربِ قد غُرِبَتْ؟
ألكواكبِ مثلِ الناسِ أعمارُ؟

فضل:

ما غابَ منها سيبدو بعد خفيتهِ
فبعضها ثابتٌ والبعضُ سيَّار

محمود:

تباركَ الله - ذي يا «فضلُ» أنظمتُ
تَهارُ فيهنَّ البابُ وأفكارُ

(١٥٨)

إلى القمر^(١)

[الكامل]

يا ساهراً كالواله المشتاق
ماذا تُقاسي في السما وتُلاقي؟^(٢)
هذي النجوم دموعُ طرفك في الدجى
رقرقَتَهَا في صَفْحَةِ الأفاق
متأَلِّقاتٍ في الفضاءِ كأنما
هِيَ أَكْوَؤُسٌ صُقَّتْ وَأَنْتَ السَّاقِي^(٣)
أَقْداحُ سُهْدٍ لَمْ تُجَهِّزْهَا يَدُ
مَشْرُوبَةٍ في اللَّيْلِ بالأحداقِ
شَرِبْتُ جَفُونِي السُّهْدَ مِنْهَا هَكَذَا^(٤)
حتى اكْتَفَتْ وَشَرِبْتَ أَنْتَ الْبَاقِي
سَهْدِي وَسَهْدَكَ فِي الظُّلَامِ تَعَادِلًا^(٥)
فَكأَنَّمَا نَحْيَا عَلَى مِيثَاقِ

(١) خمر وجمر: ص ٢٢، ٢٣ والقصيدة منشورة في جريدة الوفاق، والقصيدة تحت العنوان نفسه «إلى القمر» منشورة باختلاف في الديوان الكبير لشاعر البراري: ص ٢٨٧، ٢٨٨؛ عن ديوان «وحي البراري».

(٢) اختزلت الأبيات الثلاثة الأولى إلى بيتين في الديوان الكبير على النحو الآتي:

يا ساهراً كالواله المشتاق متنقلاً في صفحة الأفاق
ما الأنجم الزهراء حولك أنجم بل تلك أقداح وأنت الساقِي

(٣) في الديوان الكبير:

استغفر الرحمن ليست أدمعاً بك تلك أقداح وأنت الساقِي

وأظن (بك) تصحيفاً صوابه: بل.

(٤) في الديوان الكبير: «السهد منها في الدجى»

(٥) في الديوان الكبير: «في الظلام تكافاً».

وأرى سهادك في السُّهادِ يَمُدُّني
 كالنَّارِ تُغْري النَّارَ بالإحراق^(١)
 من أي ناحيةٍ سهرتَ أَمِنْ جَوَى
 أم مِنْ هَوَى^(٢) أم من فراقٍ رفاق؟
 أم أنت سهرانٌ لتَسْمَعَ هكذا
 لأولي المواجه^(٣) أو أولي الأشواق؟
 إذنِ استمعْ شكواي وارثِ لِوَعْتي^(٤)
 وانظرْ لدهري كيف شدَّ وثاقي
 حَوَلي من النُّكباتِ ما لو وُجِّهَتْ
 لك لا عتذرتَ لنا عن الإِشراق
 يَهْنِيكَ أَنْكَ لم تَهْنُ مثلي ولم^(٥)
 تحملُ بلاءَ الدهرِ^(٦) غير مطاقٍ
 لك مِنْ ذُكَاءٍ رعايَةٍ ووقاية^(٧)
 ومن البروجِ معاقلٌ ومَرَّاق^(٨)
 و(محاق) وجهك كُلُّ شهرٍ مرَّةً
 أما أنا فقد استمرَّ (مُحَاقِي)

(١) البيت غير موجود في الديوان الكبير.

(٢) في الديوان الكبير: «أَمِنْ هَوَى - أم من جَوَى».

(٣) في الديوان الكبير: «أم أنت سهرانٌ تواسي في الظلا م أولي الكوارث».

(٤) في الديوان الكبير: «اسمع إذا شكواي وارث لأنني».

(٥) في الديوان الكبير: «يهنيك أنك لم تواجهها، ولم».

(٦) في الديوان الكبير: «بلاء العيش».

(٧) في الديوان الكبير: «رعاية ودعاية».

(٨) ذكاء: الشمس، والبروج: يقصد أبراج الفلك.

(١٥٩)

الغروب^(١)

[الكامل]

عَبَرْتُ مَحِيطَ الْأَفْقِ سَبَّاحَهُ
وَلِذَاكَ رَاحَتْ تَطْلُبُ الرَّاحَهُ
وَبِرْقَّةٍ وَقَتِ الشُّرُوقِ، وَفِي
وَقَتِ الْغُرُوبِ تَصِيرُ «تُفَّاحَهُ»
مُحْمَرَّةُ الْوَجْنَاتِ أَلْمَهَا
إِهْمَالُ وَادِي النِّيلِ «فَلَّاحَهُ»

☆☆☆☆☆

(١) الثقافة، العدد ٩١، في ٢٤ سبتمبر ١٩٤٠م: ص ٣٣. ونشر إسماعيل الصيفي تحت رقم ٢ - ، يسبقها قطعة أخرى تحمل عنوان «الغروب» في الديوان الكبير لشاعر البراري، ص ٣٨٤؛ نقلاً عن الجزء الأول من ديوان «بين أحضان الطبيعة». والنص يتداخل بصورة واضحة مع هذه القصيدة:

لِكَ يَا ذُكَاءُ غُرُوبٍ قَانَعَةٍ	بين السورى وشروق طمَّاحه
لكن كلا الاثنين يمنع أن	تستشعري شيئاً من الراحه
يتعاقبان فيقضيان بأن	تتنقّلي في الأفق سَبَّاحه
«برقوّة» وقت الشروق، ووقد	سَتَ نَوَاكِ تنقلبين تفاحه
يصفر وجهك في الغروب على	ظَنِّ، وخيلُ الظنِّ «جمَّاحه»
رفقاً بنفسك، إن عهدك مرّ	عيّ، وعين هواك نضّاحه
النجم بعدك خافقُ أرقّ	مترقّب في الأفق إصباحه
والدوح يضمّر في جوانبه	حُبّاً يجيد الطيرُ إيضاحه
فإذا غربت سمعت نائحه	وإذا طلعت سمعت صدّاحه

ذُكِّا ففم فركف ساففنا؟
أملأف رؤففة هفه الساففة؟
أم عفف صأفة عالم طمسف
أفراأفه فف الفرب أفراأه؟
عأببأ أجمعف عفروب قانعة
بفن الفورى وشروق طمأاه
النأفم بعفك ساهف أرفق
مفرفقب فف الأفق إصباحه
والففوف ففضمرف فف أوانبه
أببأ فوفى الطفر إفصاأه
فإذا عفربف سمعف فائفه
وإذا طلعت سمعف صفاأه

مع اليقين



(١٦٠)

إلى الله^(١)

[مجزوء الكامل]

رَبِّاهُ أَنْتَ مَنْحَتْنِي	قَلَمًا يُبِينُ وَلَا يُعَمِّي
وَرَدَدْتَ يَا رَبِّاهُ رَوْحِي	حَ أَبِي إِلَهِي، وَرَوْحَ أُمِّي
وَجَعَلْتَ مِنِّي جَنَّةً	رِيحَانُهَا شَمَمِي وَشَمَمِي
رَبِّاهُ إِنِّي قَدْ نَشَرْتُ	تُ إِنَابَتِي، وَطَوَيْتُ هَمِّي
وَعَرَسْتُ يَا رَبِّاهُ فَيْدِي	كَ فَنَمَّ عَرَسِي فَيْدِي، نَمَّ

(١) من خط يد الشاعر.

(١٦١)

شريعة محمد^(١)

[الخفيف]

هِيَ يَا صَاحِبِي عَصَا مُوسَى
وَمَثَانِ، وَحَكْمَةُ عِيسَى
وَكِتَابُ وَافِي الإِحَاطَةِ هَزْ أَلْ
أَرْضَ هَزْ أَلْ بَرُوحَةِ الْمَعْنَى
وَحَدِيثُ فِيهِ الْفَصَاحَةُ جَمْعًا
ءَ، وَفِيهِ الصَّرَاحَةُ النَّبَوِيُّ

☆☆☆☆

يَا لَهَا مِنْ شَرِيعَةٍ قَدْ تَجَلَّتْ
لِلْوَرَى دُنْيَوِيَّةٌ أُخْرَوِيَّةُ
مَرَّ أَلْفٌ وَثُلُثُ أَلْفٍ عَلَيْهَا
عَنْ مَعَانِي الْوَرَاثَةِ الْأَبَوِيَّةِ
قَدْ هَرَمْنَا، وَلَا تَزَالُ فَتَاءً
وَضَعَفْنَا، وَلَا تَزَالُ قَوِيَّةً

(١) من خط يد الشاعر.

(١٦٢)

النبي اليتيم^(١)

[الخفيف]

النبيُّ الذي استهلَّ يتيماً
نال فضلاً من الإله عظيمًا
قد تولَّى تنشيئَهُ ربُّهُ اللّـ
هُ رحيماً بهِ، فشَبَّ رحيماً
غير أن الطغاة أذوه لما
جاءهم، والسَّفِيهُ يُوْذِي الحليماً
فغزاهم، كما علمتم، فذاقوا
من سَنَا بَرْقِهِ عَذَاباً أليماً
نعمَةُ الله ما استخفَّ بها الإِنـ
سانُ إلا عادت عليه جحيماً

(١) من خط يد الشاعر.

(١٦٣)

يا رسول الله^(١)

[الوافر]

لَكَ التَّخْيِيرُ، تَرْحَلُ أَوْ تَجِلُّ
بِلا قَيْدٍ، وَتُكْثِرُ أَوْ تَقَلُّ
إِلَهُ الْكَوْنِ قَدْ أَعْطَاكَ هَذَا
وَنَبَّأَنَا بِأَنَّكَ لَا تَخِيلُ
وَنَوْءُ بِالْبِلَادِ وَأَنْتَ فِيهَا
وَفِي هَذَا يَقُولُ: (وَأَنْتَ حَلٌّ..)^(٢)

(١) من خط يد الشاعر؛ وقد أَرخها بآكتوبر ١٩٥٦م؛ منطقة طنطا التعليمية.
(٢) تداخل نصي مع قوله تعالى: «فَلَا أَقْسَمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» البلد: ٢/١.

(١٦٤)

نَلْتُ^(١)

[مجزوء الكامل]

نَلْتُ الفصاحةَ والصِّرا
حَةً من رسول الله رأساً
ولمستُ بين يديه بَغْـ
خَ حقائق الأشياء لَمَسَا
وأقولُها عَلَنًا إذا
ما قالها الجُبْناءُ هَمَسَا

(١) من خط يد الشاعر.

(١٦٥)

إلى ظل أصبع رسول الله^(١)

[الكامل]

يا ظِلُّ أَصْبُعِ أَحْمَدٍ يا ناقِشًا
في الصخر لي تحت الكرى تصرّيحًا^(٢)
ارجع إليّ وحلّ لي من رمزه
شيئًا أرَدُّ به العليلَ صحيحًا

☆☆☆☆

يا ظِلُّ أَصْبُعِ أَحْمَدٍ يا مُرَوِّيًا
روحي، وكم يُروِّي امتدادك^(٣) روحًا
لوَّحَ لروحي مرةً أخرى وقُلْ
هذا مَراخِكِ فادخليه مُريحًا

☆☆☆☆

يا ظِلُّ أَصْبُعِ أَحْمَدٍ يا بانيًا
لي من تَلَفُظِهِ الصريحِ صُروحًا
أُنطِقْ لي الدنيا وأنطِقْني عَنِ الدِّ
أخرى فصيحَ الأصغرَيْنِ صريحًا

☆☆☆☆

يا ظِلُّ أَصْبُعِ أَحْمَدٍ يا تاركًا
قلبي مُعافًى في الضلوعِ جريحًا^(٤)

(١) من خط يد الشاعر، وقد كتبها دون عنوان، في ٢٢ رجب ١٣٦٧هـ الموافق ٣١ مايو ١٩٤٨م بطنطا؛ ويبدو أنه أعاد صياغتها مرة أخرى تحت عنوان «إلى ظل أصبع رسول الله» دون أن يحدد تاريخ النسخة الثانية التي اعتمدنا عليها بوصفها النسخة النهائية مع الإشارة إلى ما ورد بالنسخة الأولى من اختلافات.

(٢) الصياغة الأولى: «تبريحًا».

(٣) الصياغة الأولى: «سحاوَك».

(٤) صياغة البيت الأولى:

يا ظل أصبع أحمد يا أبيا لمعين قلبي أن يظل سحيحا



لُح في مسائي تَسْتَقِرُّ مضاجعي^(١)
أو في صباحي يستمرُّ صبيحا

☆☆☆☆

يا ظلُّ أَصْبُعِ أَحْمَدٍ يا جاعلي
طيرًا أَحَلَّقُ في حماك طموحا
امنح جناحي قوَّةً وهدايةً^(٢)
أبدًا ووضَّعْ نهجَهُ توضيحا

☆☆☆☆

يا ظلُّ أَصْبُعِ أَحْمَدٍ يا مالئًا
منِّي الجوانحَ كُلَّهُنَّ جُنوحا
رَوْحٌ على روعي بروحك مُهدِّيا
لي من فراديس السلامة^(٣) ريحا

☆☆☆☆

يا ظلُّ أَصْبُعِ أَحْمَدٍ يا فاسحًا
لي في الرجاء ارجعْ إليَّ فسيحا
ارجعْ إليَّ مُذَلَّلًا ومُظَلَّلًا
مِنَحُ الإله تُظَلِّلُ الممنوحا^(٤)

(١) الصياغة الأولى: «تستقرُّ بك أنجمي».

(٢) الصياغة الأولى: «قوة ورعاية».

(٣) في الصياغة الأولى: «فراديس العناية ريحا».

(٤) ورد في ختام الصياغة الثانية بخط الشاعر وتوقيعه: «وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم».



(١٦٦)

الخريدة^(١)

[الكامل]

يا أكرمَ الثَّقَلَيْنِ يا مَنْ لَمْ يَزُلْ
إِحْسَانُهُ يَحْتَاجُهُ الثَّقَلَانِ
أَهْدِي إِلَيْكَ (خَرِيدَةً) قَدْ زَفَّهَا
فَكَرِي وَصَاغَ (حُلِيِّهَا) وَجَدَانِي
لَوْ أَدْرَكْتَ (حَسَّانَ) يَوْمًا لَا غَتَدْتَ
مَعشوقَةً إِذْ ذَاكَ مِنْ (حَسَّانَ)^(٢)
مَا (مَهْرُهَا) إِلَّا (رِضَاكَ) وَإِنَّهُ
مَهْرٌ أَتَيْتُهُ بِهِ عَلَى أَقْرَانِي

☆☆☆☆

يَا مَنْهَلَ الظُّمآنِ، بَلْ يَا مَأْمَلَ الْ
لَهْفَانِ، بَلْ يَا مَوْئِلَ الْحِيرَانِ
لَكَ أَشْتَكِي مِمَّا أَلَمْتُ، وَهَكَذَا
يُشْكِي الْبَلَاءُ إِلَى الرُّؤُوفِ الْحَانِي
دَهْرِي تَنْكَرَ لِي وَأَيَّامِي قَسَتْ
وَزِيَادَتِي دَوْمًا إِلَى نَقْصَانِ
أَبْنِي كِيَانِي إِثْرَ بَضْعِ كَوَارِثِ
فَتَجِدُ كَارِثَةَ تَهْدُ كِيَانِي

(١) من خط يد الشاعر.

(٢) حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه شاعر الرسول ﷺ.

لو كان همًّا واحدًا لم أشكهِ
لكن أقاسي (سِنَّةً) وأعاني
بؤسي، وتغريبي، وفقدُ أحبَّتي
وضياع آمالي ويتم (عناني)^(١)
(وَأَبُ^(٢)) بقاع السجن) أصبح هيكلاً
متصدِّعًا من قسوة السجَّان
الله يعلم كيف (أجرم جرْمَه)
ومضى (يصلي الصبح) في اطمئنان
أهلاً وسهلاً، حين قالوا من جنى؟
وأجابهم بالفور: (إنني الجاني)
ما حامت الشُّبُهَاتُ فيها حَوْلَه
فعلام لم يجنح إلى النُّكران؟
هل ظنَّ أن الأمر أمرًا هيئناً
أم كان مشتاقاً إلى (الليمان)^(٣)؟
ويلاه منه، فقد مضى وأنا الذي
مالي على ميل الحمول يدان
حكموا عليه (بخمس عشرة حجة)^(٤)
قد تنتهي ويعود للأوطان

(١) عنان هي ابنة الشاعر ماتت أمها وتركها وليدة. وقد وردت اللفظة هكذا في الأصل بإثبات الياء، وهي على هذا النحو مضافة إلى ياء المتكلم للدلالة على اختصاصها به.
(٢) إشارة إلى سجن والده في جريدة لم يرتكبها وإن اعترف بها مجاملة لأحد الأعيان.
(٣) الليمان: السجن.
(٤) حجة: سنة.



أَمَّا أَنَا فَالْجِسْمُ حَرٌّ مُطْلَقٌ
والقلب في سجن من الأخران
ناء يرأسني (بطيف) إن يطفُ
لم ينصرف إلا إذا أبكاني
أَقْرِيهِ مِنْ دَمْعِي وَفَرَطُ تَفْجُوعِي
وتوجعي مهما يكون مكاني
كهلاً ولكنَّ اعترافاً هكذا
لم يُنْتَظَرُ حَتَّى مِنْ (الصبيان)
سبب بسيط لا يبرر جرمه
وإذا الجناية (سرّها رباني)



وخلاف هذا كلّهُ أنا مذنبٌ
طول الزمان يقودني شيطاني
وافي الخطايا ما أطعت الله ربّ
بي (مرّة) إلا عصيت ثماني
أجلُ الشقاء يطيل في أجلي ويا
ويلي إذا لم يَقْصُرِ الأجلان
راح الشباب، وما انتفعتُ بظله
دينًا ولا دُنْيَا فما أشقاني
يا ويلتا أشكو الزمان وإنه
لو يستطيع تَكَلُّمًا لَشَكَانِي



لي صفحة أثقلتُها بفعائلي
ظلمًا فنَاءَ بِحَمْلِهَا جسماني
تَاجَرْتُ في (سوق المعاصي) حاملاً
سَلْعَ البوار فبِئْتُ بِالْخُسْرَانِ
قيد (الهموم) حَزَنَتْهُ لَكُنْماً
قيدُ (المعاصي) حَزَنِي وَبَرَانِي
سَأَمُوتُ لَا زَائِدَ يوصلني وَلَا
زَنْةٌ ترجحني لَدَى ميزاني
نخر الورى (عملاً) ولم أنخر أنا
إِلَّا (رجاء مُحَمَّدٍ)، وَكَفَانِي
فَإِذَا اضْطَرَبْتُ عَلَى (الصُّرَاطِ) وَزَوَّغْتُ
عَيْنِي الذُّنُوبُ وَزَلَّتِ الْقَدَمَانِ
فَامْدُدْ يَدَيْكَ وَنَادِ (رَبِّكَ) قَائِلاً:
- هذا الفتى في حوزتي وضماني -

☆☆☆☆

وعليك صلى الله يا (مختار) ما
صَلُّوا عَلَيْكَ وَرَاءَ كُلِّ أَذَانٍ

(١٦٧)

يوسف أيها الصديق^(١)

[مجزوء الكامل]

أرأيت لما أجمعوا
أن يسجنوك وأنت دائن؟
أزدننت في الدنيا به
والسَّجْنُ للبراء زائن
أرأيت لما صرَّحتُ
لهموبأنك غيرُ خائن؟
تصريحُها قد كان مفد
تأخُّلاً لأبواب الخزائن
ومن الدُّجى يأتي ضياء
ءُ الصَّبْحِ، والمقدورُ كائن
أرأيت لما أعلنوا
لك بؤسهم ولهم دفائن؟
عرَّفتَ نفسك غافراً
لهمو، وذلك غيرُ شائن
في هدأةِ اللُّجِّيِّ يا..
صديِّقُ أَمْسِنُ للسَّفائن
أرأيت عاقبةَ القميـ
ص، وهل تتاح لغير صائن؟
تلك البصائرُ مُلْكُهَا
يعلو على مُلْكِ المدائن

(١) من خط يد الشاعر، ومؤرخة ببلقاس في ١٩٦٢/٣/١م.

(١٦٨)

أرأيت يا موسى؟^(١)

[مجزوء الكامل]

أرأيتَ لمَّا جِئْتَهُ^(٢)
وأخذتَ تذْكَرُ ما سَلَفُ؟
كانَ الجِزَاءُ على «السَّقا
ية» قَوْلُهُ لَكَ «لا تخف»^(٣)
أرأيتَ لما قَالَتْ: «اسـ
تأْجِرُهُ»، وانكشَفَ الهدَفُ؟^(٤)
كنتَ الأَجِيرَ لَهُ كما
طَلَبْتُ، وكانَ لَهُ الشُّرْفُ
أرأيتَ لما لاحَت «النُّـ
نَّارُ» الممنوعة الكنفُ؟
لاحَتْ على قَدَرِ هِنا
لك، لا على محضِ الصُّدْفِ
فترَكْتَ «أهْلَكَ» ما كَثُرَ
—نَ، وقلْتَ يذهبُ من عرفِ
وزَهِبْتَ تَطالِبُ الاقْتِطَا
فَ فكنْتَ أَنْتَ الْمُقْتَطَفُ

(١) من خط يد الشاعر، ببلقاس في ٢٨ رمضان ١٣٨٢هـ الموافق ٥ مارس ١٩٦٢م.

(٢) الإحالة في الضمير على نبي الله شعيب صلوات الله وسلامه عليه.

(٣) تداخل نصي مع قوله تعالى: «فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين» القصص: ٢٥.

(٤) تداخل نصي مع قوله تعالى: «قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين» القصص: ٢٦. والهدف إشارة إلى تزويج شعيب موسى عليهما الصلاة والسلام إحدى ابنتيه.

(١٦٩)

الله أكبر^(١)

[مجزوء الكامل]

الله أكبرُ، هذه الدُّ
دُنْيا طريقُ مِنْ تليدُ
أنا في الجديد أرى القدي
مَ، وفي القديم أرى الجديد
أنا في البعيد أرى القري
بَ، وفي القريب أرى البعيد
أبصرتُ في دنياي أ
خرتي، وأطمع أن أزيد
يا صاحِ دنيانا وأخُ—
—رانا هما ظلُّ مديد
يا صاحِ دنيانا وأخُ—
—رانا هما عِقدُ نخيد
عِقدُ ولكن لا يحيي
طبه سوى البصرِ الحديد
نَظَمْتُهُ قَدَرْتُهُ التّي
نَظَمْتُ لَنَا حَبَّ الحصيد
سبحانَ ذي الملكوتِ والـ
جبروتِ والعرشِ المجيد

☆☆☆☆

(١) من خط يد الشاعر.

أنا ههنا ولد، نشأ
تُ ووالدي ركني الشديد
هو والدي وموَجَّهي
هو سائقي وهو الشهيد
أنا والبد أفضى بأس
—رار الحياة إلى وليد
أنا ههنا جد، وزر
عُ الجد يحصدُه الحفيد
أنا ههنا العبدُ المطيع
عُ له، أو العاصي العنيد
النشأة الأولى رشا
دُ أو ضلالٌ للعبيد
والنشأة الأخرى ريا
ضُ أو مقامعُ من حديد
هو بادئ الإنسان، جُل
لَ جلاله، وهو المعيد
يطوي وينشر، وهُو في الـ
حالين يفعل ما يريد
نارٌ وفـردوس وإنـ
سانٌ شقي، أو سعيد

(١٧٠)

البناء الناقص^(١)

[الكامل]

يا باني الدنيا وتارك «أختها»
ستغادر الدنيا بأسوأ حالٍ
إن الذي تبنيه يُطوى ظلُّه
عن ناظريك عشية التَّرحال
وإذا «الخلايا» لم تكن «فَنِّيَّةً»
ضاعت جهود «النحل والنَّحَال»
من يَبْنِ جثَّتْهُ ويَهْمِلُ رَوْحَهُ
يخسرهما في ساعة التَّرحال

(١) من خط يد الشاعر.

(١٧١)

مريضة^(١)

[مجزوء الكامل]

عَانَقْتُهَا، أَفَقًّا وَأَرْضَا
وَضَمَمْتُهَا طَوْلًا وَعَرْضَا
وَتَكَشَّفْتُ لِي بَعْدَ ذَا
كَ فَقُلْتُ لَا، أَنَا لَسْتُ أَرْضَى
إِنْ «الْحَيَاةَ» مَرِيضَةٌ
وَجَمِيعٌ مِنْ فِي الْأَرْضِ مَرَضَى

(١) من خط يد الشاعر.

(١٧٢)

الملك ملكي وصرفت فيه

أحمد البدوي^(١)

(أَلِلهُ مع الله بل أكثرهم لا يعلمون)

النمل: ٦١

[الوافر]

تَصَرَّفَ أَيُّهَا الْبَدَوِيُّ^(٢) تَصَرَّفَ
فَأَنْتَ مَفْوُضٌ فِينَا مُصَرَّفٌ
تَصَرَّفَ فِي الْأَنَامِ وَأَنْتَ مَيِّتٌ
وَفِي الْأَقْدَارِ يَا بَدَوِيُّ تَلَطَّفُ

(١) ديوان شاعر البراري: ٨٨/١، ٨٩. وقد كتب هذه القصيدة وقد ضمه مجلس سمع فيه من أحدهم هذه العبارة، فوصفه الشاعر بأنه مسلم غير مسلم.

(٢) أحمد البدوي (٥٩٦ - ٦٧٥هـ): هو أحمد بن علي بن يحيى بن عيسى بن أبي بكر؛ يذهب كثير من علماء الأنساب والمؤرخون إلى اتصال نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهو ما ينكره بعضهم. والبدوي هو إمام صوفي سني مشهور؛ وهو ثالث أقطاب الولاية الصوفية الأربعة (عبدالقادر الجيلاني، وإبراهيم الدسوقي، وأحمد البدوي، وأحمد الرفاعي) وإليه تنسب الطريقة البدوية ذات الراية الحمراء.

ولد بفاس وهاجر مع أسرته إلى مكة المكرمة، وسافر مع شقيقه الأكبر حسن إلى العراق وعاد منها إلى مكة، ثم استقر به المقام في طنطا بدلًا النيل واتخذها مركزًا لنشر طريقته. نسبت له كرمات كثيرة، أشهرها أنه كان ينقذ الأسرى المصريين الذين أخذوا إلى أوروبا في الحروب الصليبية؛ وإلى ذلك يعزو بعض الباحثين المقولة الشعبية «الله الله يا البدوي جاب اليسرى». بنى تلميذه عبدالعال حول ضريحه خلوة تحولت إلى مسجد ينسب إليه ويقام له احتفال بمولده مرتين في العام؛ ويعد الاحتفال بمولده من أكبر الاحتفالات الدينية في مصر حيث يشارك فيه ما يقرب من مليوني زائر. ومن ألقابه السطوحي حيث كان يسكن سطح دار تاجر اسمه ابن شحيط. ومن ألقابه أيضًا شيخ العرب، ولقب بالبدوي لأنه كان متلثمًا كعادة البدو الرحل صيفًا وشتاءً.

سَكَتٌ فَلَمْ أَعْرِفْ سَوْءَ حَالِي
فَعَارِفٌ أَيُّ شَيْءٍ لَا يُعَرِّفُ^(١)
☆☆☆☆

تَعَالَوْا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ نَعْرُضُ
عَلَى الْبَابِ نَا هَذَا التَّعَطُّفُ
أَيَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ الْخَلْقَ خَلْقُ؟
إِنَّ لَا شَأْنَ لِلْخَلْقِ يُعْرِفُ
أُ «الْبِدَوِيِّ» التَّصَرُّفُ فِي الْبِرَايَا؟
إِذْ فَعِبَادَةُ الْبِدَوِيِّ أَنْصَفُ
أَصْرَفُهُ مُلِكُ الْمَلِكِ فِيهِ؟
إِذْ يَا قَوْمَ مَا عَمَلُ الْمَصْرَفِ
هُوَ الْإِنْسَانُ مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ
فَمَنْ يَكِلُ الْأُمُورَ إِلَيْهِ أَضْعَفُ
لِمَاذَا مَاتَ وَهُوَ مَدِيرٌ كَوْنٍ؟
أَمَّا كَانَ الْبَقَا يَا قَوْمَ أَلْطَفُ؟

☆☆☆☆
حَدِيثٌ لَمْ يَجِئْنَا عَنْ رَسُولٍ
وَلَمْ نَقْرَأْهُ فِي آيَاتِ مَصْحَفٍ
حَدِيثٌ خِرَافَةٍ قَدْ زِيَفُوهُ
فَسُحْقًا لِلْمُزَيَّفِ وَالْمُزَيَّفِ
تَعَالَى اللَّهُ عَنْهَا تُرْهَاتٍ
يَسْمِيهَا الْوَرَى جَهْلًا تَصَوُّفٍ

(١) جملة «العارف لا يعرف»، كانت تتردد آلاف المرات في كل يوم على ألسنة زوار الأضرحة والمقامات.

(١٧٣)

شيخ العرب .. سيدي أحمد البدوي^(١)

[المتقارب]

أُتَاهَا، وَمَنْ مِثْلُ شَيْخِ الْعَرَبِ؟
تَعْدَى الْمَهَا، وَتَحْدَى الذَّهَبُ
دَنْتَ مِنْهُ دَنْيَا تَصْبُ الْهَوَى
فَقَالَ لَهَا: إِنَّنِي غَيْرُ صَبٍّ
بِهِ وَجْهَةُ النَّهْرِ فِي سِيرِهِ
فَسَلْ عَنْهُ مِنْبَعُهُ وَالْمَصَبَّ
سَقَى مَصْرَ مَنْ نَبَعِهِ فَاَنْحَنْتُ
عَلَى الْبَابِ فِي حَبِّ بَنِي لَأَبٍ
وَمَنْ لَمْ يَجِئْ بِأَبِهِ مِنْهُمْ
عَلَى رَغَبٍ، جَاءَهُ عَنْ رَهَبٍ

☆☆☆☆

لَهُ هَالَةٌ فَوْقَهَا هَالَةٌ
جَمَالُ الثُّقَى، وَجَلَالُ النُّسَبِ
سَلِيلُ «الْحَسَنِ» بِلَا مِرْيَةٍ
وَمَنْ قَالَ لَيْسَ سَلِيلًا كَذَبَ

☆☆☆☆

أَتَى مَصْرَ يَحْمِلُ فِي قَلْبِهِ
صِرَاطَ الْهَدَى، وَسِرَاجَ الْأَدَبِ

(١) من خط يد الشاعر.

أَتَى مَصْرَ يَغْزُو جُنَّاتَهَا
بِنُورٍ هُوَ الْمُجْتَبَى الْمُنْتَخَبُ
أَتَى مَصْرَ يَدْعُو إِلَى رَبِّهِ
وَلَيْسَ لَدَيْهِ سِوَى اللَّهِ رَبِّ
أَتَاهَا مُعَدًّا لِحَمْلِ الْأَذَى
مِنْ الْحَاسِدِينَ، وَحَمْلِ النَّصَبِ
فَلَمْ يَتَبَرَّمْ بِشَيْءٍ طَفًا
وَلَمْ يَتَأَلَّمْ لَشَيْءٍ رَسَبِ
وَكَمْ مِنْ دَعَاةٍ دَعَاوَا مِثْلَهُ
وَلَكِنْ دَعَوَتُهُمْ لَمْ تُجَبْ
وَبَاتُوا عَلَى الْغَيْظِ بَعْدًا لَهُمْ
دَعَا مُخْلِصًا، وَدَعَا عَنْ أَرْبِ
لَقَدْ فَاتَهُمْ أَنَّهُ غَيْرُهُمْ
وَأَنَّ الرِّيحَ غَيْرَ الْحَطَبِ
بَطِيءٍ مَنَابِتِ آبَائِهِ
زَكَا وَبَطُولِ السُّجُودِ اقْتَرَبِ

☆☆☆☆

وَلَسْتُ بِهَذَا الَّذِي قُلْتُهُ
أَشَايِعُ مَنْ قَالَ أَوْ مَنْ كَتَبَ
وَلَكِنْ رَبِّي، سُبْحَانَهُ
أَرَانِي مَكَانَتَهُ عَنْ كَثَبِ
أَرَانِي الْجَمَالَ الْبَعِيدَ الْمَدَى
فَأُحِبُّبَتُهُ، وَالْجَمَالَ يُحِبُّ

وأرسلتُ في دوحه المجتبى
أغاريدَ روعي، لهذا السببُ
وضاق بياني بوصف الذي
رأيتُ، لأنني رأيت العجب^(١)
عطاءً المهيمن، سبحانهُ
لأحمدَ فوق مقام الطلب
عطاءً حساباً، نرى بعضه
وأعظم مما نراه احتجب
كبحرٍ رَسَا الدُّرُّ في قاعه
وعام على جانبيه الخشب
ومن دون أحمد يا صاحبي
عبابُ المحيط ولفحُ اللهب
هو الباب لكن مفتاحه
جهادٌ وصبرٌ وخصبٌ وخُبُّ

(١) قال الشاعر مفسراً بهذا البيت: رؤيا منامية أيدها الواقع وأيدت الواقع؛ حسب عبارته.

(١٧٤)

النشأة الأولى^(١)

[الكامل]

النشأة الأولى دَعَتْ فَأَجَبْتُهَا
لَبَّيْكَ مُنْقِذَتِي مِنَ الْهَلَكَاتِ
مَا لِي وَلِلْسَمَكَاتِ؟ يَا بِنْتَ الْبَحَا
رِ نَجَوْتُ مِنْ شَصِّي وَمِنْ شَبِكَاتِي^(٢)
مَا لِي وَلِلْأَنْعَامِ؟ يَا بِنْتَ الْحُقُو
لِ، مَسَالِمُ لَكَ فَأُمْنِي حَرَكَاتِي
مَا لِي وَلِلْأَطْيَارِ؟ يَا ذَاتَ الْجَنَّا
حَيْنِ اسْلَمِي مِنِّي وَمِنْ فَتَكَاتِي
هَذَا نَبَاتُ الْأَرْضِ وَقَيَّ وَحْدَهُ
جَسْمِي، وَرَقِّي وَحْدَهُ مَلِكَاتِي

(١) من خط يد الشاعر، وقد نشر إسماعيل الصيفي في قسم المختار من مخطوطات الشاعر؛ بالديوان الكبير لشاعر البراري محمد السيد شحاتة ص ٢٥٦ مقطوعة بعنوان: «مسالم» تتداخل أبياتها مع أبيات هذه المقطوعة، ونصها:

مُرِّي فَأَنْتِ نَجَوْتُ مِنْ شَبِكَاتِي	مالي و«للسمكات»؟ يا سمكاتي
لِ مَسَالِمُ لَكَ فَأُمْنِي حَرَكَاتِي	مالي و«للأنعام»؟ يا بنت الحقو
حَيْنِ اسْلَمِي مِنِّي وَمِنْ فَتَكَاتِي	مالي و«للأطيار»؟ يا ذات الجنا
«جسمي» وَرَقِّي وَحْدَهُ «ملكاتي»	هذا «نبات الأرض» وَقَيَّ وَحْدَهُ

(٢) الشخص: من آلات الصيد.

(١٧٥)

شراع ورياح لها شكلان^(١)

[الكامل]

ملكوا غُدُوِّي وحدهُمْ، ورواحي
ولهُم مَسَائِي كُلُّهُ، وصباحي
روحي فداؤُهُمْ، وَمَن أنا في الوري
حتى أقول أنا الفِدا يا صاح؟
نظراتُهُمْ كتبتُ، وما كَتَبْتُه لا
يمحوه من بين الجوانح ماح
«عربٌ»، تقول خيامهم لمحبتهم
انشُرْ شراعك وانتفع برياحي

(١) من خط يد الشاعر، وتبدو الأبيات إعادة صياغة لنص آخر وجدناه بخط يد الشاعر بين أوراقه تحت عنوان: «يا بني»؛ يقول فيه:

ملكوا غدوي وحدهم ورواحي	إن الألى قد طفت بين خيامهم
ولهم مسائي كله وصباحي	ولهم رحيلى كله وإقامتي
يمحوه من بين الجوانح ماحي	كتبوا بنظرتهم وما كتبوه لا
انشر شراعك وانتفع برياحي	«عرب» تقول خيامهم لمحبتهم

(١٧٦)

البعث^(١)

[الكامل]

نحيا على وجه الثرى بين الدجى
والنور، ثم نموت، ثم نعاد
يُطوى لنا أجلٌ ويُنشر غيرُه
ولكلّ شيءٍ عنده ميعاد
بعض البرية لا يرى ما حوله
والبعض قد طويّت له الأبعاد

(١) من خط يد الشاعر.

(١٧٧)

وجود^(١)

[الوافر]

أوائلنا لهم فينا وجودٌ
إلى حدٍّ، ودنيانا حدودٌ
وفي الألفاظ تستتر المعاني
وفي الأحقاد تستتر الجدود

(١) من خط يد الشاعر.

(١٧٨)

لما التقينا^(١)

[مجزوء الكامل]

لما التقينا كنتُ وقُـ
تَ لِقائِهِ رَوْحًا وَنَفْسًا
فَسأَلْتُ عَنْ دِينِي وَعَنْ
دُنْيَايَ، إِعْلَانًا وَهَمْسًا
وَسَمِعْتُ مِنْهُ إِجَابَةً
وَشَرِبْتُ مِنْ لَحْظِيهِ كَأْسًا
وَلَسْتُ مَا هُوَ فَوْقَ طَو
رِ عَقُولِنَا يَا صَاحِ لِمَا
وَأَخَذْتُ عَنْهُ فَصَاحَتِي
وَصَرَاحَتِي يَا صَاحِ رَأْسًا
فَضِلْ عَلَيَّ الَّذِي الْجَلَا
لِ، وَمِثْلُ هَذَا لَيْسَ يُنْسَى

(١) من خط يد الشاعر.

(١٧٩)

العارفون^(١)

[البسيط]

العارفونَ ثَنُوا عنها نفوسَهُمْ
وَأَثَرُوا المَرَهْفَيْنِ : «الخوفَ والجوعا»
جَاعُوا فَشَقُّوا، وخافوا اللهَ فأنكشفتْ
لهم حقائقُها، شكلاً وموضوعاً

(١) من خط يد الشاعر.

(١٨٠)

رَأَيْتُ^(١)

[المتقارب]

رَأَيْتُ، وَلَكِنْ بَعَيْنِ الْأَدَبِ
وَذَبْتُ وَكَانَ الْجَمَالُ السَّبَبُ
رَأَيْتُ الْجَمَالَ الْبَعِيدَ الْمَدَى
وَبَعْضُ الْجَمَالِ يُرِيكَ الْعَجَبَ
وَلَمَّا اسْتَرَاخَ إِلَى مَنْطِقِي
طَلَبْتَ إِلَيْهِ وَنَلْتَ الطَّلَبَ

(١) من خط يد الشاعر.

(١٨١)

اعتراف^(١)

[الكامل]

لقد انطفأت بِقَدْرِ كُفْرَانِي بِهِ
وبقدر سُكْرَانِي يُعَاد تَوْقُدي
ولقد بكيْتُ بِقَدْرِ مَعْصِيَتِي لَهُ
وبقدر طَاعَاتِي يَكُونُ تَجَدُّدي

(١) من خط يد الشاعر.

(١٨٢)

مرور^(١)

[الكامل]

مَرُّوا بطنطا دون أن يتكلموا
ما ضَرَّ لو وَقَفُوا عَلَيَّ وَسَلَّمُوا
أَلْقُوا بنظرتهم إِلَيَّ فَشُقَّ فِي
قَلْبِي لَهُمْ نَفَقٌ وَشُيِّدَ سُلَّمٌ
عَرَبٌ إِذَا مَرُّوا بِنَا مَرُّوا وَهُمْ
مُتَنَكِّرُونَ، وَإِنَّ ذَلِكَ أَسْلَمٌ
لَوْ عُرِّقُوا لِلْمُسْلِمِينَ لَزَلُوا
أَوْ عُرِّقُوا لِلْمَجْرِمِينَ لِأَسْلَمُوا

(١) من خط يد الشاعر.

(١٨٣)

عرضوا الجمال^(١)

[الكامل]

لما عرضتْ هَوَايَ بَيْنَ خِيَامِهِمْ
عرضُوا الجمالَ مُؤَيَّدًا وَمُؤَيَّدًا
عَرَبٌ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ، لَا غَيْرَهَا
قَدْ أُسِّسَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَشُيِّدَا
امْتَنَزَ سَيِّدُهُمْ فَمَثَّلَ خَادِمًا
وامْتَنَزَ خَادِمُهُمْ فَمَثَلَ سَيِّدَا

(١) من خط يد الشاعر.

(١٨٤)

كشفوا^(١)

[الكامل]

كشفوا عن المستور بين خيامهم
فعرفتُ بعضَ حقائقِ الإسلامِ
ورأيتُ ما كتبوا، ويا عجباً لهم
كَتَبُوهُ بالنُّظَرَاتِ، لا الأَقْلَامِ
عربُ حقائقُ دينهم تُجَلَى على الـ
أَلْبَابِ فِي اليَقَظَاتِ والأَحْلَامِ
عربُ إذا حلَّ الضيوفُ بحيِّهم
حيُّوهمو بالعلم لا الأعلام

(١) من خط يد الشاعر.

(١٨٥)

يا بني^(١)

[الكامل]

هذا كتابُ الله بين خيامهم
يبدي العجَابَ إذا طلبتَ عُجَابَا
الله، جَلَّ اللهُ، جَلَّاهُ لَهُمْ
شهبًا، وفتَّحَهُ لَهُم «أبوابا»
وأسأَلَهُ فِيهِمْ بحورَ معارفٍ
يسقونَ من جناتِها الألبابا
فإذا اتَّصلتَ بهم على متن الجِها
دِ سَقُوكَ من تلك البحورِ شرابا

(١) من خط يد الشاعر.

(١٨٦)

يا بني^(١)

[الكامل]

هاجر إليهم، وامض بين خيامهم
في هجرة مَحْمِيَّةِ الحُرَمَاتِ
هاجر بروحك وخُذْهَا، هاجر على
حَسَنَاتٍ من عملٍ ومِنَ كلمات
وانظر إلى تلك الخيام وقل لها
أنا هنا يا مهبط الرِّحَمَاتِ
وانظر إلى الشَّهَوَاتِ في حذرٍ وقل
أنا لا أُغْذِّي النُّورَ بِالظُّلُمَاتِ

(١) من خط يد الشاعر.

(١٨٧)

يا بني^(١)

[الكامل]

لَمَّا نَشَرْتُ هَوَايَ بَيْنَ خِيَامِهِمْ
قَالُوا أَطُورِ أَطْرَافِ الظُّلَامِ سُجُودَا
إِنَّ الَّذِي يَطْوِي الظُّلَامَ تَهْجِدَا
غَيْرَ الَّذِي يَطْوِي الظُّلَامَ هُجُودَا
«عَرَبٌ» إِذَا لُقِّنْتَ مِنْهُمْ آيَةً
لُقِّيتَ مَعَهَا مَا يَعُكُّكَ جُودَا
شَادُوا أَصُولَ الدِّينِ وَالْدُنْيَا مَعًا
وَبَنُوا لَهُمْ فَوْقَ الْوُجُودِ وَجُودَا

(١) من خط يد الشاعر.

(١٨٨)

يا بني^(١)

[الكامل]

إن الألى قد طُفْتُ بين خيامهم
عربٌ، جوانحنا إليهم مُجْنَحُهُ
عربٌ كم انصهرت أمام عيونهم
مُهْجٌ، وكم خَفَقْتُ لديهم أجنحه
لَفَتَاتُهُمْ تدع القلوبَ دوامياً
في حبِّهم، ومن التلُقْتُ أسلحه
وخيامهم - لله دُرُ خيامهم -
ليست قِبَابًا، لا، وليست أضرحة

(١) من خط يد الشاعر.

(١٨٩)

يا بني^(١)

[الكامل]

إن الألى قد طفت بين خيامهم
جعلوا البصيرة للعقول عقالا
ومشوا خفافاً فوق أمكنة الهدى
ومشوا على أرض الضلال ثقالا
«عرب»، شمائلهم تضم إليهمو
من رَقَّ وجدانا وراق مقالا
يتعجبون له إذا هو لم يقل
ويرحبون به إذا هو قالا

(١) من خط يد الشاعر.

(١٩٠)

يا بني^(١)

[الكامل]

إن الألى قد طفتَ بين خيامهم
نشروا عبيرهمو فكان سلاما
ورنُّوا إليَّ فقلتُ للقلب استجبْ
للحبِّ، واصبر إن لقيتَ ملاما
عربُ إذا ما قست أي مُبرِّزِ
من بيننا بهموتراه غلاما
في عودهم طيبٌ، وفي نظراتهم
شيء سما عن أن يكونَ كلاما

(١) من خط يد الشاعر.

(١٩١)

تطورات^(١)

[الكامل]

فوجئتُ يومًا ما بكشفِ غيوبي
وأخذتُ بينَ خيامِهم بذنوبي
وتداركتُني بعد ذاك عنايةً
أشرقَّتْ معها بعد طول غروبي
كشفٌ جليٌّ، ثمَّ أخذتُمَّ محُ
—و، ثمَّ صخوُّ طاب فيه وثوبي
يا نفسُ أنتِ رأيتِ هذا كلُّه
ولذاك تُبِتِ، ولم أقلْ لكِ توبي

(١) من خط يد الشاعر.

فهرس القوافي

أولاً: قصائد موحدة القافية

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
قافية الهمزة			
١٢٣	وإن يستغيثوا	هل البائسون سوى العاشقين	٢٨٦ وهل هو إلا أشدُّ بلاء؟
١	طغيان الخداع	زرعْتُ في بعضهم وُدِّي وقلتُ لَهُ	٣٧ أنمِرْ، فقال وأين الخصبُ والماءُ
١٧	تزوج	إن تَغْنِ عنها فما للبيتِ إغناء	٦٣ البيتُ من غيرها صحراءُ قفراءُ
٦٦	يا أماء	أين نُطُسُ الأساةِ أين الدُّواءُ	١٧٣ كلُّ طِبٍّ لدى القضاءِ هباءُ
٥٥	إلى الزمن	ألا يا أيها الزُّمنُ المسيءُ	١٥٢ بودي لو تُسَاءُ كما تسيءُ
قافية الباء			
١٧٣	شيخ العرب..	أتاها، ومَن مثلُ شيخِ العرب؟	٣٦٦ تَعَدَّى المها، وتَحَدَّى الذَّهَبُ
١٨٠	رأيت	رأيتُ، ولكنْ بعينِ الأدبِ	٣٧٥ وذبْتُ وكان الجمالُ السَّبَبُ
١٣	الابتسامة المؤلمة	كلُّ ابتسامٍ قد حلا	٥٦ في نفسِ شرذمةٍ وطابُ
٤٩	اصفرار الشمس في الغروب	شمسُ الضحى ما بالها	١٣٩ تصفرُّ في وقتِ الغروبِ
١٥٥	الصيد والسمة	اصطادها سوداءٌ مِنْدُ	٣٣٤ لَ الليلِ أو حظُّ الأديبِ
١٤٤	إلى البراري	نأى عنك جسمي، وقلبي أبى	٣١٧ وظلُّ مقيماً بتلك الرُّبى
١٤٧	وردة الندى	سبحانهُ، في الروضِ ألْبَسَهَا الدُّ	٣٢٢ حُتِنَا قَضَيْنِ، الماءَ واللُّهبا

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
٩٠	لما غضبت علي	لَمَّا غَضِبْتَ عَلَيَّ ضَاقَ بِي الْفَضَا	٢١٩
١٨٥	يا بني	هَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ خِيَامِهِمْ	٣٨٠
٢٩	الفيضان	اخْلَعْ عَلَى مَصْرٍ ثَوْبًا وَشَيْءُ الذَّهَبِ	٩٥
٤٢	البؤس	البؤسُ نوعانٍ موروثٌ ومكسوبٌ	١٢٣
٨٥	إلام	إِلَامٌ إِلَامٌ يَسْأَلُكَ الْكَنْيَبُ؟!	٢١٢
٤٠	القمر	يَاسَاهُرُ أَفِي الدُّجَى خَوْفًا عَلَى الشُّهْبِ	١٢٠
٥٦	أنة	«ثَلَاثُونَ» عَامًا لَمْ أُرَوْعْ بِحَادِثٍ	١٥٤
١٠٥	صباح الشيب	صَبَاحُ الشَّيْبِ رَدَّ عَلَيَّ بَابِي،	٢٥٤
١٣٨	تعالى	قَدِيمٌ هَوَاكِ جَدَّدَهُ التَّصَابِي	٣٠٦
١٤٦	وردة الخريف	نَفْسُ الْخَرِيفِ ضَنِينَةٌ بِالطَّيِّبِ	٣٢٠
١٩١	تطورات	فَوَجِئْتُ يَوْمًا مَا بِكَشَفِ غَيُوبِي	٣٨٦
١٣٤	حبّ اليوم	يُرِيدُ «الْحَلْو» مَنِّي أَنْ أُحِبَّهُ	٢٩٩
٢٤	الفلاح المصري	مَلِكٌ فِي (الْحَقْلِ) مَيْمُونُ الْخُطَا	٨٣
قافية التاء			
٧٠	قوموا نحج إلى الفقيد	قَوْمُوا نَحْجُ إِلَى الْفَقِيدِ جَمَاعَةً	١٨٢
٩٦	أهلاً وسهلاً	أَهْلًا وَسَهْلًا بَنَاتِي هُنَّ بَنَاتِي	٢٣٢
١٠٦	ما كنت أبخل	مَلَأَ الْغَرَامُ عَلَيَّ كُلَّ جِهَاتِي	٢٥٧
١٤١	لو	لَوْ كُنْتُ حَاضِرَهَا وَقَدْ سَارَتْ بِهَا	٣١٠

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
١٧٤	النشأة الأولى	النشأة الأولى دَعَتْ فَأَجَبْتُهَا	٣٦٩
١٨٦	يا بني	هاجرُ إليهم، وامضِ بين خيامهم	٣٨١
٢	لا تنخدع	رُدَّ الفتى لأصله لا تنخدع بطيبته	٣٨
قافية الجيم			
١٤	الإنسان	الله أكبر «نطفة أمشاجا»	٥٨
١١٦	هي العيون	هي العيون ولا إثم ولا حرج	٢٧٧
١٥٤	على الساحل	ما هذه الوثبات يا موج؟	٣٣٣
قافية الراء			
٩٧	وشاح	يا ألف أهلاً يا «وشاح»	٢٣٣
١٦٥	يا ظل أصبع رسول الله	يا ظلُّ أُصْبِعِ أَحْمَدٍ يا ناقشاً	٣٥٢
١٤٩	التغذية النباتية	لما اتجهت إليها غير ملتفت	٣٢٤
١٧٥	شراع ورياح	ملكوا غُدُوِّي وحدهم، ورواحي	٣٧٠
١٨٨	يا بني	إن الألى قد طفت بين خيامهم	٣٨٣
١٥٩	الغروب	عبرت محيط الأنق سباحة	٣٤٢
قافية الدال			
٣٨	النجم الساهر	ما بال بعض النجم يسد	١١٥
٦٠	مكافاة	أحببتُها ملء الفؤاد	١٥٩
١٦٩	الله أكبر	الله أكبر، هذه الد	٣٦٠

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
٩٥	إلى الله	يا واهباً لي وقد ولّى الصّبا ولداً	٢٣١
١٨٣	عرضوا الجمال	لما عرضتْ هَوَايَ بين خيامهم	٣٧٨
٢٥	الفلاح وزراعة الأرز	مشى في «لُجَيْنِ» الماء يبذر «عسجدا»	٨٦
١٨٧	يا بُنَيَّ	لَمَّا نشرتْ هَوَايَ بين خيامهم	٣٨٢
٤٥	البحر الأبيض	مَرَّاهُ مدعاةُ السُّرُورِ وشكلُهُ	١٣٢
٨٧	ردُّوا	ردُّوا الرسائلَ نفسَها ردُّوا	٢١٥
٧٤	إلى الشيخ عبدالرازق أحمد	«ثُريَّاك» إن تغربْ فقد غادرتْ بعدُ	١٩٠
١٧٦	البعث	نحيا على وجه الثُّرى بين الدُّجى	٣٧١
٨٨	كرَّر رجاءك	كرَّر رجاءك أيها المنكوذُ	٢١٦
٨٣	هي الأيام	هي الأيامُ إن سَرَّتْ أساءتْ	٢٠٨
١١٩	يجود بقبلة	أقولُ له: لقد بلغ الهوى بي	٢٨٠
١٧٧	وجود	أوائِلُنَا لهمُ فينا وجودُ	٣٧٢
٢٧	القطن	(يا قطنَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ	٩٠
٨١	توديع	مَحا فراقُكَ يا ذا المجد والثَّادِ	٢٠٤
٧٥	إلى حسن بك أبو الفتوح	أعرفتْ تدفنُ فلذةَ الكبدِ	١٩٢
١٨١	اعتراف	لقد انطفأتْ بقدر كفراني به	٣٧٦
١١٢	إِنَّ أَشْكَوكَ	أ(سَيِّدَتِي) قفي بي عند حدِّ	٢٧٠
١١٥	أعبروني فؤاداً أعش به	أنا يا رفاقي قد فقدتْ فؤادي	٢٧٦

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
٩٢	زهر الأمانى	قَطَفْتُ زَهْرَ الْأَمَانِي مِنْكَ فِي الْعِيدِ	٢٢٢ فاسمِعْ إِنِّي يَا (سراج الدين) تغريدي
١٣١	عيد في روض	كَتَبْتُ لِي حَبِيبَتِي يَوْمَ عِيدِ	٢٩٤ بانتظاري لها بروضٍ بعيدٍ
١٣٢	أنصفيني (بس) يوماً	يَا نَصِيبِي مِنْ وَجُودِي	٢٩٦ قَصِيرِي عَهْدَ الصُّدُودِ
٧٦	عزيزي سالم	وَاللَّهِ رَبِّ «مَحْمَدٍ»	١٩٤ إني وجدتُ عليه وجَدُكَ
١٣٣	قولوا لها	قَمِ هَاتِ مِنْ تَحْتِ الْوَسَادَةِ	٢٩٨ يَا صَاحِبَ مَا كَتَبْتُ «سَعَادَةَ»
قافية الراء			
٩٤	زيارة الأمير	أَشْرَقَتْ يَا مَوْلَايَ إِشْرَافُ	٢٢٦ رَاقِ الرَّجَاءِ الْمُنْتَظَرُ
١١٣	ألقى عصاه	لِحَظَاكِ يَا ذَاتَ الْحَوَافِ	٢٧٢ أَسْرَا الْفَوَادِ عَلَى قَدَرِ
٧٩	إلى الثقافة	تَرْقُرُقُ فِيكَ جَمَالُ الصَّبَا	٢٠١ وَأَشْرَقَ مِنْكَ جَلَالُ الْكِبَرِ
١٠	الحياة	لِيَالٍ تَكُرُّ وَدَهْرٌ يَمُرُّ	٤٧ فَيَبْدَأُ عُمُرٌ وَيَقْضِي عُمُرُ
٤٣	تلميذ منتحر	ضَاقَتْ الْأَرْضُ عَلَى التَّلِّ	١٢٦ مِمِّزِ دَارًا بَعْدَ دَارِ
٢٨	زكاة الفطر	بِكَ مِنْ عَبِيدِكَ أُسْتَجِيرُ	٩٢ يَا مَنْ بَقْبُضَتِكَ الْأُمُورُ
٦٥	وقفة على قبر	يَا شِعْرُ فُضِّ فَهْنَا الشُّعُورُ	١٧١ وَهَنَا الْجَنَى وَهَنَا الزُّهُورُ
٤٨	بين نحلة وروض	قَالَتِ النَّحْلَةُ لِلرَّوْضِ النَّضِيرُ	١٣٨ أَزْهُورُ تِلْكَ أَمْ تِلْكَ ثَغُورُ
٥٠	الحارس	أَيَا حَارِسَ الرُّوضَةِ ارْقُدْ فَإِنَّ	١٤٠ أَقْلُ اللَّصُوصِ لَصُوصَ الزُّهُورِ
١٢٩	سألته	سَأَلْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ	٢٩٢ سَوَّالَ صَبٍّ مُخَاطَرُ
٤٧	جيوب الموظف	يَمِينُ اللَّهِ مَا عُمِدُ «السَّرَايِرِ»	١٣٦ وَإِنْ خَدَعْتَ مَنَاطِرَهَا النَّوَاطِرُ
١٣٠	رد الحبيب على العذول	قَالَ الْعَذُولُ لِمَنْ أُحِبُّ	٢٩٣ بَ «مَحْمَدُ» بِسَوَاكَ مُغْرَى

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
١٠٢	الشعر في الريف	مَلَّ أهدوثة الوري	٢٤٦
٧١	بدر العشيرة	بدرُ العشيرة في جوفِ الثرى غارا	١٨٣
٦٤	الموت	ملكٌ يغارُ على الملوكِ جهارا	١٦٨
٢١	في شمال الوادي	لَبِسَ الحِمَارُ هنا «الخِمَارا»	٧٤
٩٣	نات	نأَتْ مسرُّتنا لمَّا دنا السُّفُرُ	٢٢٤
١٥٦	النمل ومعيشتة	مِنْ أين للنمل هذا الحبُّ يا عُمُرُ	٣٣٦
١٥٧	النجوم	ما بال طرفكِ بين النجمِ دَوَّارُ	٣٣٨
٦٣	الذاهبون	ركبوا الفناءَ إلى البقاءِ وساروا	١٦٥
٣٤	كفارة	أيُفِيدُهُ ذبْحٌ مِنَ البَقْرِ	١٠٥
١٤٠	عجبا لها	وَدُعْتُ أُمسٍ شقيقةَ البدرِ	٣٠٩
١٠٤	طلائع الشيب	يا نجومًا طلعتُ في ليلِ شعري	٢٥٣
٦٩	أتدري	أتدري بأنَّا الآن في ليلةِ الفُطْرِ	١٨٠
١٥٣	منظر البحر عند رأس البر	وبحرٍ كمثلِ الدَّهرِ في المدِّ والجزرِ	٣٣٢
٣٠	جنية البحر	(خُرَافَاتُ) الوري زادت	٩٧
٣٢	إلى الجنية	ألا يا حضرةَ الجنِي	١٠١
٣١	إلى الناس	تعالوا يا أولي الأُنْكَا	٩٩
٣٣	الزَّار	دارَ الزمانِ وظلُّ الزَّارِ في الدارِ	١٠٣
١٥٠	الندى	أدموعُ العشاقِ في الأسحارِ	٣٢٥

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
٧٢	أبكيك	أبكيك يا غصنُ دوماً فالردى هصرَكَ في ساعةٍ كنتُ فيها أُجْتَنِّي ثمرَكَ	١٨٦
١٢٨	فؤادي	فؤادي لو نضاً حُبِّي ولم يحمل أعاصيرَهُ	٢٩١
١١٤	في الحب	وفي المنازلِ غُصْنُ أَدْمُعِي ثمرَهُ سَهَرْتُ فيه، وفي غير الهوى سهرَهُ	٢٧٥
٤	الدهر	هو الدهرُ لا تخذَعْ منه ابتسامةً أساريرُهُ بيضٌ، وسودُ سرائرُهُ	٤٠
٢٦	القطن	تكوّن القطنُ من يأسٍ ومن أملٍ فاسودَّ باطنُهُ وأبيضَ ظاهرُهُ	٨٨
قافية السين			
٨٩	خذني ليدك	منصورُ جئتُكَ أشتكي شكوى الجريح لخيرِ أش	٢١٧
١٦٤	نلتُ	نِلْتُ الفصاحةَ والصُّرا حَةً من رسول الله رأساً	٣٥١
١٧٨	لما التقينا	لما التقينا كنتُ وقفاً سَ لِقائِهِ روحاً ونَفْساً	٣٧٣
١٥	اجتياز	وتركتُ جسمي مطلقاً بين الورى وسجنتُ نفسي	٥٩
١٣٥	البسة	قصدتُ حبيبتي خلسةً لأجلس عندها جلسةً	٣٠١
قافية الضاد			
١٧١	مريضة	عانقتُها، أفقاً وأرضاً وضممتُها طولاً وعَرْضاً	٣٦٣
١٠٧	يا خَلِيَّ القلبِ	قد تَبَدَّى مثلَ غصنٍ ومضى فسبى قلبي المَعْنَى ومضى	٢٦٠
قافية الطاء			
١٣٦	التشبيب الفلاحي	يا بنتَ مَنْ أَكَلَ السَّبَّاحُ غبيطَهُ فغدت حمارته بغير غبيطِ	٣٠٣
قافية العين			
٥٣	شجون	هل يضمُّ الليلُ غيري موجعاً؟ يصطلي شكوي أو نشكو معا	١٤٨

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
٥٧	طلع البدر	هل يضمُّ الليلُ غيري مولعا	١٥٥
١٧٩	العارفون	العارفون ثنوا عنها نفوسهم	٣٧٤
١٣٩	في الخال	يا مرسل الشعر فوق الورد يحرسه	٣٠٨
١٦	على استطاعه	المرء طيرٌ سابح	٦٠
قافية الفاء			
١٦٨	أرأيت يا موسى؟	أرأيتَ لمَّا جئتَه	٣٥٩
١٢٧	قلت	قلتُ للقلب: أعفني	٢٩٠
١٧٢	أحمد البدوي	تصرَّف أيها البدوي تصرَّف	٣٦٤
٣٥	أقبل الريف	أقبلَ الريفُ يحلفُ	١٠٦
٧٣	امزج دموعك بالدماء	امزجْ دموعَكَ بالدماء وواف	١٨٨
قافية القاف			
٤٤	سل الحمام	إليكَ عنِّي بكاسِ الخمر يا ساقِي	١٣٠
١٥٨	إلى القمر	يا ساهراً كالوالهِ المشتاقِ	٣٤٠
قافية الكاف			
١٥٢	الطائر الباكي	بينَ الزهور؛ وتبكي أيها الباكي	٣٣٠
١٢٠	قصدي	يا أختَ أغصانِ الأراك	٢٨٢
١٣٧	تهنئي يا سعاد	تَنازعُني على كِبدي	٣٠٥

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
قافية اللام			
٥	الحظ	يا رَبُّ ذِي مَالٍ كَثِيرٍ فِي الْوَرَى	٤١
١٨٩	يا بُنَيَّ	إِنْ الْأَلَى قَدْ طَفَتْ بَيْنَ خِيَامِهِمْ	٣٨٤
٦	أنا والدنيا	عيونني تطلبُ الدنيا جمالا	٤٢
١٠٨	تشكو الهوى	تشكو الهوى حالَ أَنْ الظِّلَّ معتدلٌ؟	٢٦١
٥٨	في طلل	يا مَنْزِلًا سَجَدَتْ جِوَانِبُهُ	١٥٦
١٦٣	يا رسول الله	لَكَ التَّخْيِيرُ، تَرَحَّلْ أَوْ تَحِلْ	٣٥٠
١١٧	كانها	مَنْ لِي بِهَا «قَبْطِيَّةٌ» لَوْ أَدْرَكْتُ	٢٧٨
١٠١	فلأسمع الصخر الأصم توجعي	مالتُ وَأَيَّامُ (الأديب) تميلُ	٢٤٤
١١٨	في حبيب بعث يعاتب	تلا لِي آيَ الْعِتَابِ الرَّسُولُ	٢٧٩
١١	الأمل	ما (الْخُرْدُ الْخَوْدُ) تَحْتَ الْحَلِيِّ وَالْحُلِّ	٥٠
٨٠	أيها الوفاق	لِبَسْتَ مَا شِئْتَ مِنْ حُلِيٍّ وَمِنْ حُلٍّ	٢٠٢
٣٦	الأعيان الذين امتدحتهم	ما الذنبُ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ مَدَحْتُهُمْ	١٠٧
٣٧	في الليل	كَمْ فِيكَ يَا لَيْلٌ مِنْ مُرٍّ وَمِنْ حَالٍ	١١٠
٨٤	خَلَّ الدَّلَالُ	خَلَّ الدَّلَالُ «لِذِي اللَّمَى وَالْخَالِ»	٢١٠
١٧٠	البناء الناقص	يا بَانِي الدُّنْيَا وَتَارَكَ «أَخْتَهَا»	٣٦٢
١٠٣	حظ الأديب	حَظُّ الْأَدِيبِ (براعةٌ استهلال)	٢٤٨
٧	ماذا تبغي؟	تَبْغِي خُلُوءَ الْبَالِ؟	٤٣

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
٦٧	إلى فضيلة الأستاذ البهوتي	رَضِيتُ «زَوَاجَ الْقَبْرِ» ضَنَا بِهَا وَبِ	١٧٧
١٢٦	قلت	قَلْتُ يَوْمًا لِحَبِيبِي لَا تُجَرِّبْ فِئِّي عَدْلُكَ	٢٨٩
٨٦	طال انتظاري	طال انتظاري وما وافئت رسائلُكا يا قاسي القلب فاسمح لي أسألكُا	٢١٤
قافية الميم			
١٢	الدهر	هذا هو الدهرُ لا إلًا ولا زمما يرعى وليس يبالي خان أو ظلما	٥٣
١٢١	سيان	قَلْتُمْ عَلَيَّ لَقَدْ غَوَى وَأَضَلَّهُ عَشْقُ الدُّمَى	٢٨٤
١٩٠	يا بني	إِن الْأَلَى قَدْ طَفَتْ بَيْنَ خِيَامِهِمْ نَشَرُوا عَبِيرَهُمْو فَكَانَ سَلامًا	٣٨٥
١٨	غلاء المهر والمماطلة	هَيِّمْتُهُ بِحَبِّهَا فَاسْتَهَامَا لَمْ يَخَفْ فِي الْهِيَامِ يَوْمًا مَلامًا	٦٥
١٠٠	يميئًا	يَمِئًا لَا أَقُولُ الشَّعْرَ عَامَا وَأِنْ مَلَّتْ قَوَافِيهِ الْفِطَامَا	٢٤٢
١٦٢	النبيُّ اليتيم	النَّبِيُّ الَّذِي اسْتَهْلَّ يَتِيمَا نَالَ فَضْلًا مِنَ الْإِلَهِ عَظِيمَا	٣٤٩
٤١	أربعة	اثنانِ، رُوحِي تَسْتَرِيحُ إِلَيْهِمَا مَنْ لَا يُحِبُّ وَمَنْ يَحِبُّ وَيَسْلَمُ	١٢٢
١٨٢	مرور	مَرُّوا بَطْنِطًا دُونَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا مَا ضَرَّ لَوْ وَقَفُوا عَلَيَّ وَسَلَّمُوا	٣٧٧
٩٩	أنا الروض	أَنَا الرُّوضُ لَمْ أُرْزَقْ رِبْعًا وَلَا نَدَى وَلِي رَغْمٌ هَذَا نَفْحَةٌ وَلِئَامُ	٢٤١
١١٠	تسلُّوا عن غرامي	سَهَرْتُ اللَّيْلَ بَعْدَهُمْو وَنَامُوا إِنْ فَعَلَيْكَ يَا دُنْيَا السَّلامُ	٢٦٦
١٨٤	كشفوا	كَشَفُوا عَنِ الْمُسْتَوْرِ بَيْنَ خِيَامِهِمْ فَعَرَفْتُ بَعْضَ حَقَائِقِ الْإِسْلَامِ	٣٧٩

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
١٦٠	إلى الله	رَبُّاهُ أَنْتَ مَنْحَتْنِي	٣٤٧
٢٠	الذرية	تَعَالَى اللَّهُ، كَمْ فِي الْقَوْمِ «مُثَرِّ»	٧٢
قافية النون			
١٦٧	يوسف أيها الصديق	أَرَأَيْتَ لِمَا أَجْمَعُوا	٣٥٨
٥٢	إلى العيد	يَا عَيْدُ يَا دَاعِي الْمَسْرُ	١٤٥
٩٨	أيها السجين	أَيُّهَا الْمَنْقُولُ فِي الدُّنْيَا - عَلَى	٢٣٥
١٢٤	إني أرى	يَا لَأَيْمَنِي لَأَنْنِي	٢٨٧
١٠٩	ألم يكفكم	حَبِيبُكُمْ شَمُوسَ الْكُتُبِ مِنْ زَمَنِ عَنَّا	٢٦٤
٣	تَقَبَّلْ كَلْبَهَا	مَا قَبَّلْتُ كَلْبَهَا وَجِدًّا وَلَا وَلَهَا	٣٩
١٩	في الريف	يَا رَبُّ «رِيحَانَةٍ» فِي الرِّيفِ نَاضِرَةٍ	٧١
٤٦	جزى الله الشدائد كل خير	لَمَّا مَرَضْتُ وَزَنْتُ النَّاسَ فِيهِ، وَقَدْ	١٣٥
٦١	طنطا	رَأَيْتُ طَنْطًا أَخِيرًا غَيْرَ وَاسِعَةٍ	١٦١
١٥١	البلبل	عَنِّي «سَلِيمَانُ» فِي دُنْيَا «سَلِيمَانَا»	٣٢٧
١٢٥	يخطبون	يَخْطُبُونَ الْوُدَادَ مِنْكَ، وَلَمَّا	٢٨٨
٧٨	دنيا	سَلِ الْأَهْرَامَ كَيْفَ حَمَلْتَ دُنْيَا	١٩٨
٦٢	سبورة الحائط	يَا أَخْتَ حَظِّي فِي السَّوَادِ لَقَدْ	١٦٢

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
٨	أين النار؟	تساءل الناس، أين النار، قلت لهم:	٤٤
١٢٢	وشاية	وشى بي عندها قومٌ	٢٨٥
١١١	أظن سعاداً حملته رسالة؟	تدلى فأوثقه هناك غصونٌ	٢٦٨
٦٨	كان	يا مَنْ تَرَحَّلَ عن دار الفنا وأنا	١٧٨
٥١	يا عيد	يا عيدُ عدتْ فهُزْنِي شجني	١٤٣
٥٤	بالأمس	بالأمس قد كنتُ في أحضان أوطاني	١٥٠
١٦٦	الخريدة	يا أكرم الثقلين يا مَنْ لم يزلْ	٣٥٤
٣٩	الفرقدان	نَبَّئَانِي، أَخْوَانِ	١١٧
٩١	اجن المناقب	اجنِ المناقبَ يا سراج الدينِ	٢٢٠
١٤٣	الربيع	سَلَوْتُ ولكنَّ الربيعَ أسالني	٣١٦
٨٢	يا صبا المنشاة	يا صَبَا (المنشاة) هَبِّي	٢٠٦
قافية الهاء			
٧٧	عبرة على صديق	يا كوكباً ظنَّ الثرى	١٩٥
٥٩	الأمل الضائع	يا أيها الحلم اللذيذُ	١٥٧
قافية الياء			
١٦١	شريعة محمد	هي يا صاحبي عصاً موسويَّة	٣٤٨
١٤٨	في وردة	ووردةٌ بُسْتَانٍ كَحَدِّ خريدةٍ	٣٢٣

رقم القصيدة	العنوان	مطلع القصيدة	ص
-------------	---------	--------------	---

ثانيًا - قصائد متعددة القوافي

٩	نظرة في الحياة	يا رحلة الدنيا ترى	ماذا وراءك في التراب ٤٥
١٤٥	الروض	أيها الـروضُ الأغنُ	فُحْ أريجًا وازدهرُ ٣١٨
١٤٢	ليل الريف	تغربُ الشمسُ فتبكيها السُّما	بدموعٍ لُمَّعِ هُنَّ النجومُ ٣١٣
٢٢	فتاة الريف في الصباح	صَحَّتْ من نومها الهادئ	وعين الشمس نعسانه ٧٥
٢٣	عهد الطفولة في الريف	هل تذكرين ونحن نجمانِ	متلألئانِ بمطلع القرية ٧٩

قائمة بأهم المصادر والمراجع

أ - القرآن الكريم.

ب - قصائد مخطوطة من شعر محمد السيد شحاتة (شاعر البراري).

ج - الدواوين المطبوعة من شعر محمد السيد شحاتة (شاعر البراري).

- ديوان شاعر البراري، الجزء الأول، ط المطبعة الأهلية الكبرى بطنطا، مصر ١٩٢٨م .
- ديوان شاعر البراري، الجزء الثاني، ط مطبعة عروس الزقازيق، مصر ١٩٢٩م .
- ديوان خمر وجمر، ط مطبعة الوفاق، بلقاس، مصر ١٩٣٥م .
- ديوان نجوم ورجوم، ط مطبعة الوفاق، بلقاس، مصر ١٩٣٦م .
- ديوان وحي البراري، ط مطبعة الوفاق، بلقاس، مصر ١٩٣٩م .
- ديوان بين أحضان الطبيعة، الجزء الأول، ط مكتبة نهضة مصر، القاهرة، مصر ١٩٤٢م .
- ديوان بين أحضان الطبيعة، الجزء الثاني، ط القاهرة ١٩٤٨م .
- ديوان مع الدين، الجزء الأول، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٥٤م .
- ديوان مع الدين، الجزء الثاني، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٥٤م .
- ديوان مع الدين، الجزء الثالث، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٥٥م .
- ديوان بين الماضي والحاضر، ط ١٩٥٦م .
- ديوان مع مجلس الأمة.. حول ملابس النساء، ط ١٩٥٧م .
- ديوان مع الطبيعة، ط ١٩٦١م .

د - الدوريات:

١ - جريدة الأخبار.

٢ - جريدة الأهرام.

٣ - جريدة الوفاق.

٤ - مجلة الثقافة.

٥ - مجلة الدوحة.

٦ - مجلة المقتطف.

٧ - مجلة منبر الإسلام.

هـ - الديوان الكبير لشاعر البراري، جمعت المادة الشعرية ابنة الشاعر توبة محمد السيد شحاتة، أعدّه للنشر وصدره إسماعيل الصيفي، منشورات ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٦م.

و - الفؤاديات، لفؤاد بك محمد أحمد، ط ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٨م.

ز - معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨م.

المحتوى

- تصدير، أ. عبدالعزيز سعود البابطين ٣
- شكر وتحية (أسرة شاعر البراري) ٥
- إهداء ٧
- مقدمة الديوان، أ.د. محمد مصطفى أبوشوارب ٩

مع الحياة

- طغيان الخداع ٣٧
- لا تتخدع ٣٨
- تقبل كلبها ٣٩
- الدهر ٤٠
- الحظ ٤١
- أنا والدنيا ٤٢
- ماذا تبغي؟ ٤٣
- أين النار؟ ٤٤
- نظرة في الحياة ٤٥

- ٤٧ الحياة -
- ٥٠ الأمل -
- ٥٣ الدهر -
- ٥٦ الابتسامة المؤلمة -
- ٥٨ الإنسان -
- ٥٩ اجتياز -
- ٦٠ على استطاعه -

مع المجتمع

- ٦٣ تزوج -
- ٦٥ الزواج في البراري، غلاء المهر والمماطلة «قصة» -
- ٧١ في الريف -
- ٧٢ الذرية -
- ٧٤ في شمال الوادي -
- ٧٥ فتاة الريف في الصباح -
- ٧٩ عهد الطفولة في الريف -
- ٨٣ الفلاح المصري -
- ٨٦ الفلاح وزراعة الأرز -

- ٨٨ القطن -
- ٩٠ القطن -
- ٩٢ زكاة الفطر في الريف لماذا يأخذها الفقهاء؟ -
- ٩٥ الفيضان -
- ٩٧ جنية البحر -
- ٩٩ إلى الناس -
- ١٠١ إلى الجنية -
- ١٠٣ الزار -
- ١٠٥ كفارة -
- ١٠٦ أقبل الريف -
- ١٠٧ الأعيان الذين امتدحتهم في الديوان الأول كيف خاب الرجا فيهم؟ -
- ١١٠ في الليل -
- ١١٥ النجم الساهر -
- ١١٧ الفرقدان -
- ١٢٠ القمر -
- ١٢٢ أربعة -
- ١٢٣ البؤس -
- ١٢٦ تلميذ منتحر -

- ١٣٠..... سل الحمائم -
- ١٣٢..... البحر الأبيض المتوسط كما يرى عند المصايف المصرية -
- ١٣٥..... جزى الله الشدائد كل خير -
- ١٣٦..... جيوب الموظف بعد يوم عشرين من الشهر -
- ١٣٨..... بين نحلة وروض -
- ١٣٩..... اصفرار الشمس في الغروب -
- ١٤٠..... الحارس -

مع الشكوى

- ١٤٣..... يا عيد -
- ١٤٥..... إلى العيد -
- ١٤٨..... شجون -
- ١٥٠..... بالأمس -
- ١٥٢..... إلى الزمن -
- ١٥٤..... أنة -
- ١٥٥..... طلع البدر لكي يشهد لي -
- ١٥٦..... في طلل -
- ١٥٧..... الأمل الضائع -

- ١٥٩ مكافأة -
- ١٦١ طنطا -
- ١٦٢ سبورة الحائط -

مع الراحلين

- ١٦٥ الذاهبون -
- ١٦٨ الموت -
- ١٧١ وقفة على قبر -
- ١٧٣ يا أماء -
- ١٧٧ إلى فضيلة الأستاذ البهوتي -
- ١٧٨ كان -
- ١٨٠ أتدري -
- ١٨٢ قوموا نحج إلى الفقيد -
- ١٨٣ بدر العشيرة في جوف الثرى -
- ١٨٦ أبكيك -
- ١٨٨ أمزج دموعك بالدماء -
- ١٩٠ إلى الشيخ عبدالرازق أحمد أديب بلقاس عزاءً له في حرمه -
- ١٩٢ إلى حسن بك أبو الفتوح -

- ١٩٤ عزيزي سالم -
- ١٩٥ عبرة على صديق -
- ١٩٨ دنيا -

مع الأصدقاء

- ٢٠١ إلى الثقافة -
- ٢٠٢ أيها الوفاق -
- ٢٠٤ توديع -
- ٢٠٦ يا صبا المنشأة -
- ٢٠٨ هي الأيام -
- ٢١٠ خلّ الدلال -
- ٢١٢ إلام -
- ٢١٤ طال انتظاري -
- ٢١٥ ردُّوا -
- ٢١٦ كرّر رجاءك -
- ٢١٧ خذني لديك -
- ٢١٩ لما غضبت علي -
- ٢٢٠ أجن المناقب -

- ٢٢٢ زهر الأمانى -
- ٢٢٤ نأت -
- ٢٢٦ زيارة سمو الأمير -

مع الأقربين

- ٢٣١ إلى الله -
- ٢٣٢ أهلاً وسهلاً -
- ٢٣٣ وشاح -
- ٢٣٥ أيها السجين -

مع الشعر

- ٢٤١ أنا الروض -
- ٢٤٢ يميناً -
- ٢٤٤ فلأسمع الصخر الأصم توجعي -
- ٢٤٦ الشعر في الريف -
- ٢٤٨ حظ الأديب -

مع الشيب

- ٢٥٣ طلائع الشيب -
- ٢٥٤ صباح الشيب -

مع المرأة

- ٢٥٧ ما كنت أبخل -
- ٢٦٠ يا خلي القلب حاذر -
- ٢٦١ تشكو الهوى -
- ٢٦٤ أَلَمْ يَكْفِكُمْ -
- ٢٦٦ إِذْنُ فَهَمُو تَسْلُؤًا عَنْ غَرَامِي -
- ٢٦٨ أَظُنْ سَعَادًا حَمَلَتْهُ رِسَالَةٌ؟ -
- ٢٧٠ إِذْنُ أَشْكُوكَ -
- ٢٧٢ أَلْقَى عَصَاهُ وَاسْتَقَرَّ -
- ٢٧٥ فِي الْحَبِّ -
- ٢٧٦ أَعِيرُونِي فَوَادًا أَعْشَ بِهِ -
- ٢٧٧ هِيَ الْعَيُونُ -
- ٢٧٨ كَأَنَّهَا -
- ٢٧٩ فِي حَبِيبٍ بَعَثَ يِعَاتِبَ -
- ٢٨٠ يَجُودُ بِقَبْلَةٍ وَيَمْلُ مِنْهَا -
- ٢٨٢ قَصْدِي -
- ٢٨٤ سَيِّانَ -

- ٢٨٥ وشاية -
- ٢٨٦ وإن يستغيثوا -
- ٢٨٧ إني أرى -
- ٢٨٨ يخطبون -
- ٢٨٩ قلت -
- ٢٩٠ قلت -
- ٢٩١ فؤادي -
- ٢٩٢ سألته -
- ٢٩٣ رد الحبيب على العذول -
- ٢٩٤ عيد في روض -
- ٢٩٦ أنصفيني (بس) يوماً -
- ٢٩٨ قولوا لها -
- ٢٩٩ حب اليوم -
- ٣٠١ البسة -
- ٣٠٣ التشبيب الفلاحي -
- ٣٠٥ تهني يا سعاد -
- ٣٠٦ تعالي -
- ٣٠٨ في الخال -

٣٠٩ عجباً لها -

٣١٠ لو -

مع الطبيعة

٣١٣ ليل الريف -

٣١٦ الربيع -

٣١٧ إلى البراري -

٣١٨ الروض -

٣٢٠ وردة الخريف -

٣٢٢ وردة الندى -

٣٢٣ في وردة -

٣٢٤ التغذية النباتية -

٣٢٥ الندى -

٣٢٧ البلبل -

٣٣٠ الطائر الباكي -

٣٣٢ منظر البحر عند رأس البر -

٣٣٣ على الساحل -

٣٣٤ الصياد والسمة -

- النمل ومعيشته ٣٣٦
- النجوم (بين محمود وفضل وهما في الخلاء ليلاً) ٣٣٨
- إلى القمر ٣٤٠
- الغروب ٣٤٢

مع اليقين

- إلى الله ٣٤٧
- شريعة محمد ٣٤٨
- النبي اليتيم ٣٤٩
- يا رسول الله ٣٥٠
- نلت ٣٥١
- إلى ظل أصبع رسول الله ٣٥٢
- الخريدة ٣٥٤
- يوسف أيها الصديق ٣٥٨
- أرايت يا موسى؟ ٣٥٩
- الله أكبر ٣٦٠
- البناء الناقص ٣٦٢

- ٣٦٣ مريضة -
- ٣٦٤ أحمد البدوي -
- ٣٦٦ شيخ العرب.. سيدي أحمد البدوي -
- ٣٦٩ النشأة الأولى -
- ٣٧٠ شراع ورياح لها شكلان -
- ٣٧١ البعث -
- ٣٧٢ وجود -
- ٣٧٣ لما التقينا -
- ٣٧٤ العارفون -
- ٣٧٥ رأيت -
- ٣٧٦ اعتراف -
- ٣٧٧ مرور -
- ٣٧٨ عرضوا الجمال -
- ٣٧٩ كشفوا -
- ٣٨٠ يا بني -
- ٣٨١ يا بني -

٣٨٢	- يا بني
٣٨٣	- يا بني
٣٨٤	- يا بني
٣٨٥	- يا بني
٣٨٦	- تطورات
٣٨٧	- فهرس القوافي
٤٠٠	- قائمة بأهم المصادر والمراجع
٤٠٢	- المحتوى



